

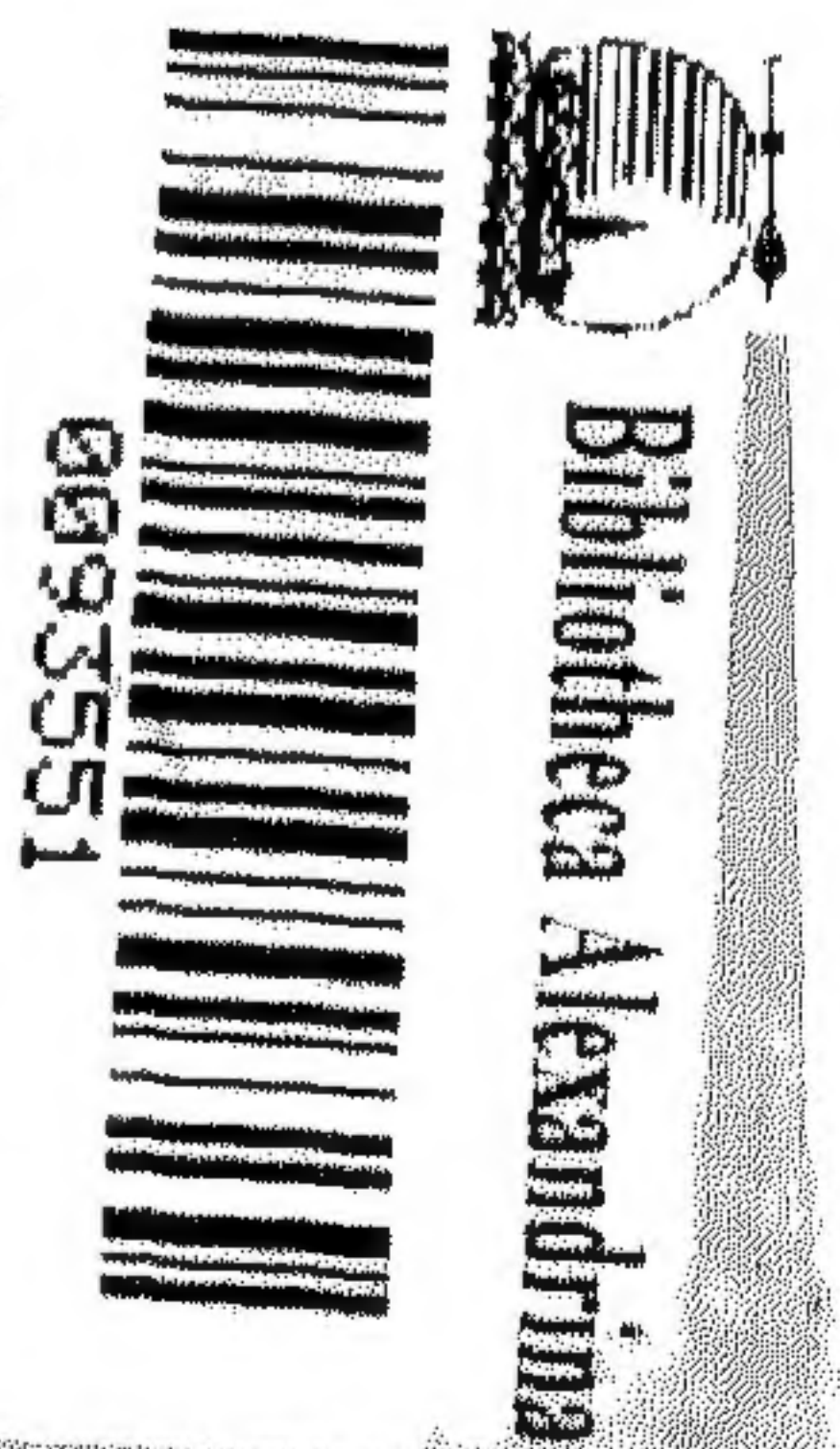
الإيمان

أركانه - حقيقته - نواقضه

تأليف
الدكتور محمد نعيم ياسين



دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع



كتاب

الإيمان

أركانه - حقيقته - نواقضه

تأليف

الدكتور / محمد نعيم ياسين

دار عمر بن الخطاب

طبع - نشر - توزيع

الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . ونشهد أن لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا .
أما بعد

فان أصل الفساد مخالفة الحق ، وتنكب طريقة ، وصلاح الأمر كله في اتباع الحق والتزام طريقه ، والحق هو الوضع الثابت الذي خلق الله عليه مخلوقاته . أو أرادها أن تكون عليه . ذلك أنه ليس من مخلوق في الدنيا الا وخلق الله وحده . لم يشاركه أحد في خلقه . وليس من مخلوق في الدنيا الا وجعله الله سبحانه وتعالى على وضع معين . ودبر أمره بكيفية معينة . والله سبحانه وتعالى كامل منزّه عن الخطأ : فالصلاح كله في خلقه وتدبيره . وكل شيء يحول عن الوضع الالهي والتدبير الرباني يفسد : فهذه السموات والارض خلقهما الله بالحق ، ودبر أمرهما بحكمته ، فصلحتا بخلقته وتدبيره سبحانه : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ٩)^(١)

والانسان مخلوق من مخلوقات الله عز وجل . وصلاح حياته مرهون بمعرفة الحق واتباعه . وفسادها نتيجة محتومة لجهله بالحق . أو تمرده عليه وان عرفه . ولما كان الله سبحانه هو الحق ، ومنه الحق وأمره وتدبيره هو الحق . فان سبب فساد الحياة البشرية كلها هو الكفر بالخالق ، والكفر بأمره وتدبيره . وبما أنزل من الحق . وسبب صلاح هذه الحياة كلها هو الايمان بالله عز وجل ، وبما نزل منه ، والالتزام بأمره وأمره في اوضاع الانسان كلها . ولذلك قال عز من قائل : (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيام أعمى) ولا يتبع هداه الا من آمن به . وذكره . واستشعر وجوده . وصفاته ، وعظمته سبحانه ومن نسي ذكر الله أعرض عن هداه ، والانسان ممتحن في هذه الدنيا بهذين الأمرين : ذكر الله واتباع هداه . أو نسيانه والضلال ، فهو على مفرق طريقين لاثالث لهما :

(١) الاسماء الآية ٢٢

(٢) طه الايمان ١٣٢ ١٣٤

طريق الايمان والهدى والسعادة في الدنيا والاخرة ، وطريق الكفر والضلال والشقاء في الدارين .
لذا كان اشرف ما يتعلمه الانسان ، ويعلمهمه لغيره أمور الايمان وأركانه ومقتضياته وأحوط ما يحتاج
ويتسلح به معرفة معالم الكفر ، وأسبابه ، ومقتضياته ، فان كان على بصيرة من هذين الأمرين الخطيرين
، عرف الانسان طريق سعاده ، فالتزمه ، ولم يجد عند ، وطريق شقائه ، فاجتنبه
وفي هذا الكتاب نرجو أن نوضح - بما يمن الله علينا من العلم ، ويفتح علينا من الحق - أمور
الايمان وأركانه ، ومعالم الكفر ، وأسبابه ، ومداخله ، والله سبحانه وتعالى هو الموفق للصواب : فما
أصبنا فيه الحق ، فهو من الحق جل وعلا ، وما أخطأنا فهو من أنفسنا ومن الشيطان ، ونتضرع الى الله
ان يغفره لنا ، ويسخر من عباده الصالحين من يصوبه ويبين الحق فيه .
هذا ونجعل هذا الكتاب في قسمين اثنين :
الاول : و نتناول فيه أركان الايمان ، وحقيقته .
الثاني : و نتناول فيه أسباب الكفر ومداخله

القسم الاول في أركان الايمان

قال الله عز وجل : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير) البقرة - ٢٨٥
وقال سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالا بعيدا) النساء - ١٣٦

وقال أيضا : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين) البقرة - ١٧٧

وفي حديث جبريل المشهور ، حين جاء الى النبي ﷺ في صورة اعرابي يسأله عن الاسلام والايمان والاحسان ، قال ﷺ عن الايمان : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره)

فهذه الامور الستة هي أركان الايمان ، وهي الاصول التي بعث بها الرسل عليه صلوات الله وسلامه ، ونزلت بها الكتب . ولا يعم ايمان احد الا اذا آمن بها جميعا ، على الوجه الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن جحد شيئا منه خرج عن دائرة الايمان وصار من الكافرين .

(١) رواه الامام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١٥٧ ، وأخرج البخاري نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه - انظر البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٩٦، ٩٧

الايان بالله عز وجل

والايان بالله عز وجل معناه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شئ ومليكه وخالقه ، وانه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة : من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع . وأنه المتصف بصفات الكمال كلها ، المنزه عن كل نقص .

فالايان بالله سبحانه يتضمن توحيداً في ثلاثة : في ربوبية ، وفي الوهية ، وفي أسمائه وصفاته ، ومعنى توحيداً في هذه الأمور اعتقاد تفرد سبحانه بالربوبية والالوهية ، وصفات الكمال وأسماء الجلال : فلا يكون العبد مؤمناً بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شئ ولارب غيره ، واله كل شئ ولا اله غيره ، وانه الكامل في صفاته واسمائه ، ولا كامل غيره .

فهذه ثلاثة أنواع من التوحيد تدخل في معنى الايمان بالله عز وجل ^(١) وفيما يلي تفصيل الكلام في كل نوع منها :

النوع الاول : توحيد الربوبية :

ومعناه الاجمالي الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شئ ولا رب غيره .

وبيانه : ان الرب في اللغة هو المالك المدبر ^(٢) وربوبية الله على خلقه تعنى تفرد سبحانه في خلقهم وملكتهم وتدير شؤونهم . فتوحيد الله في الربوبية هو الاقرار بأنه سبحانه وحده خالق الخلق ، ومالكهم ، ومحبيهم ومبغضهم ، ونافعهم وضارهم ، مجيب دعائهم عند الاضطرار ، والقادر عليهم ، ومعطيهم ومنانهم ، وله الخلق ، وله الامر كله ، كما قال سبحانه عن نفسه : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

ويدخل في هذا التوحيد الايمان بقدر الله سبحانه : أى الايمان بأن كل محدث صادر عن علم الله عز وجل وإرادته وقدرته

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٦ وتيسير العزيز الحميد ص ١٧ والروضة الندية ص ٩ نقلاً عن مدارج السالكين . وقد أعاد بعض العلماء هذه الأنواع الثلاثة للتوحيد الى نوعين : نوع في العلم والاعتقاد ويدخل فيه توحيد الله في الربوبية وتوحيده في الأسماء والصفات ، ونوع في الإرادة والقصد ، وهو توحيد الله في الوهية سبحانه - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٨ وفتح المجيد ص ١٥ وشرح قصيدة من نقيح ٢ ص ٢٥٩ وتطهير الاعتقاد ص ٣

(٢) انظر المصباح المنيّر

(٣) الاعراف اية رقم ٥٤

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٦، ٧٧ تيسير العزيز الحميد ص ١٧، ١٨

وبعبارة أخرى فإن هذا التوحيد معناه الاقرار بأن الله عز وجل هو الفاعل المطلق في الكون : بالخلق ، والتدبير والتغيير ، والتيسير ، والزيادة ، والنقص والاحياء ، والاماتة ، وغير ذلك من الافعال ، لايشاركة أحد في فعله سبحانه .

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد جد الافصاح ، ولاتكاد سورة من سوره تخلو من ذكره أو الإشارة اليه ، فهو كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى ، لأن الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده ، بالتوجه اليه بالعبادة والخشوع والخضوع ، وهو المستحق وحده ، للحمد والشكر ، والذكر ، والدعاء ، والرجاء ، والخوف ، وغير ذلك . والعبادة كلها لايصح أن تكون الا لمن له الخلق والامر كله (١)

ومن جهة أخرى فان الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده بصفات الجلال والجمال والكمال ، لأن هذه الصفات لا تكون الا لرب العالمين ، اذ يستحيل ثبوت الربوبية والملك لمن ليس بحى ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أقواله وأفعاله (٢) . ولهذا فانا نجد أن القرآن الكريم قد ذكر هذا النوع من التوحيد في مقام الحمد لله ، وعبادته ، والانقياد له والاستسلام . وفي مقام بيان صفاته الجليلة وأسمائه الحسنى :

ففي مقام الحمد يتلو المسلم في كل ركعة يصلحها (الحمد لله رب العالمين) (٣) ويقول سبحانه وتعالى (قل لله الحمد رب السموات والارض رب العالمين) (٤) وفي مقام الاستسلام لله والانقياد له قال عز وجل : (قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين) (٥)

وفي مقام التوجه لله عز وجل واخلاص القصد اليه قال عز وجل : (قل ان صلاتى ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين) (٦)

وفي مقام تولى الله عز وجل دون غيره قال سبحانه (قل أغير الله اتخذ وليا ، فاطر السموات والارض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل أي أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) (٧)

(٥) انظر تفسير الطبرى ج ٥ ص ٣٩٥ شرح ملا على القاري على الفقه الاكبر ص ٩

(٦) فتح المجيد ص ١٣ الاسئلة والاجوبة ص ٣٠، ٢٩

(٧) الفاتحة - اية ٢

(٨) الجاثية - اية ٣٦

(٩) الانعام - اية ٧١

(١٠) الانعام - اية ١٦٢

(١١) الانعام - اية ٦٤

وفي مقام الدعاء قال عز وجل: (إلا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين) ^(١٢)

وفي مقام عبادة الله عز وجل قال سبحانه: (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) ^(١٣) وقال أيضا (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) ^(١٤)

فإن خالق السموات والأرض وما فيهن هو وحده الذي يستحق أن يتخذ العبد الها ووليا ويسلم نفسه إليه ، ويدعوه ، ويتوجه إليه .

ومن جهة أخرى فإننا نجد القرآن الكريم يجمع بين ربوبية الله عز وجل المتمثلة في ملكه للسموات والأرض وما فيهما ، وقيوميته عليهما ، وبين أسمائه الحسنی وصفاته العلی : فتدبر قوله تعالى في آية الكرسي: (الله لا اله الا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ، وهو العلي العظيم) ^(١٥) فإن الذي خلق السموات والأرض هو وحده الحي الذي لا يموت ، القيوم ، العليم ، الحفيظ ، العلي ، العظيم ، ثم انظر الى قوله تعالى: (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ^(١٦) وقوله تعالى (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ^(١٧) فانه لا جدال أبدا في ان الذي خلق الخلق هو الرقيب عليهم ، اللطيف الخبير بما يعملون .

وأما الذين يقرون بأن الله رب كل شئ وخالق كل شئ ، ولا يوحّدونه في الوهيته فيشركون معه غيره في عبادته ، ولا يوحّدونه في أسمائه وصفاته ، فيعطلونها أو يشبهونها بصفات المخلوق ، أو يؤولونها تأويلات فاسدة لأوجه له ، فإن هذا التوحيد لا ينفعهم ، ولا يخرجهم من دائرة الكفر الى دائرة الايمان ، فقد حكى الله سبحانه وتعالى عن المشركين انهم كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شئ وظلوا مع ذلك مشركين ^(١٨) لأنهم لم يوحّدوا الله في الوهيته ، فعبدوا غيره سبحانه ، ولأنهم لم يوحّدوا الله في أسمائه وصفاته ، فجحّدوا بعضها ، ولم يؤمنوا بها ولذلك قال عنهم الله عز وجل: (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ^(١٩) فقد قال مجاهد في هذه الآية: (إيمانهم بالله قولهم ان الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا ،

(١٢) الاعراف - الايتان ٥٤ ، ٥٥

(١٣) يس - اية ٢٢

(١٤) البقرة - الايتان ٢١ ، ٢٢

(١٥) البقرة - اية ٢٥٥

(١٦) المالك - اية ١٤

(١٧) ق - اية ١٦

(١٨) شرح القعدة الطحاوية ص ٢٩ ، فتح المجد ص ١٧ ، تيسر العزيز الحميد ص ١٧ ، تطهير الاعتقاد ص ٥

(١٩) يوسف - الآية ١٦

فهذا ايمان مع شرك عبادتهم غيره^(٢١) وقالت طائفة من السلف : (تسألهم : من خلق السموات والارض ؟ فيقولون : الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره)^(٢٢) وقد اخبر سبحانه عن المشركين أنهم كانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المالك ، فقال عز من قائل (ولئن سألتهم : من خلقهم ؟ ليقولن الله)^(٢٣) وقال ايضا (قل من يرزقكم من السماء والارض ، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون)^(٢٤)

وهكذا فانه ليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شئ يكون موحدًا له في الوهيته وصفاته وأسمائه^(٢٥) واكثر العباد لا ينكرون الخالق ، وربوبيته على الخلق ، ولكن معظم كفرهم من عبادتهم غير الله عز وجل^(٢٥)

النوع الثاني : توحيد الالهية:

ومعناه بعبارة اجمالية الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الاله الحق ، ولا اله غيره وافراده سبحانه بالعبادة ، وبيانه : أن الاله هو المألوه^(٢٦) اي المعبود والعبادة في اللغة هي الانقياد والتذلل والخضوع^(٢٧) وقد عرفها بعض العلماء بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع^(٢٨)

فتوحيد الالهية مبنى على اخلاص العبادة لله وحده ، في باطنها وظاهرها ، بحيث لا يكون شئ منها لغيره سبحانه : فالؤمن بالله يعبد الله وحده ولا يعبد غيره فيخلص لله الحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع وجميع انواع العبادة واشكالها

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع انواع التوحيد الاخرى فيتضمن توحيد الله في ربوبيته وتوحيده في اسمائه وصفاته وليس العكس فان توحيد العبد لله في ربوبيته لا يعنى انه يوحد في الوهيته فقد يقر بالربوبية ولا يعبد الله عز وجل ، وكذلك توحيد الله في اسمائه وصفاته لا يتضمن أنواع التوحيد الاخرى . ولكن العبد الذي يوحد الله في ألوهيته على الخلق ، فيقر انه سبحانه هو ، وحده ، المستحق

(٢٠) انظر تفسير الطبري ج ١٦ ص ٢٨٧

(٢١) ذكره ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن يزيد ابن اسلم - انظر تفسير ابنى كثير ج

٢ ص ٤٩٤ وتفسير الطبري ج ١٦ ص ٢٨٦-٢٨٨

(٢٢) العنكبوت - اية ٦٣ (٢٣) يونس - اية ٣١

(٢٤) فتح المجيد ص ١٧ شرح ملا على القاري على الفقه الاكبر ص ٩

(٢٥) احياء علوم الدين ج ١ ص ١٨٢ شرح العقيدة الخطابية ص ٧٨

(٢٦) فهو على وزن فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب - المصباح المنير، وانظر ايضا طريق الوصول الى السلم المأمول ص ١٢

(٢٧) نقول : طريق معبد : اى مذل - انظر اساس البلاغة للزمخشري والمصباح المنير وتطهير الاعتقاد ص ٦

(٢٨) شرح قصيدة ابن القيم ج ٢ ص ٢٥٩ ، اغائة اللهفان ج ٢ ص ١٢٨ ، ١٢٩

(٢٩) هذا مع ملاحظة ان وحدانية الله في ربوبيته على الخلق دليل قاطع على انه سبحانه هو وحده الذي يستحق العبادة كما تقدم عند الكلام عن توحيد الربوبية ولكن كثيرا من الناس لا يأخذون بمقتضى الدليل عنادا وكفرا فيقولون بالربوبية ، ولا يقولون بما تدل عليه من وحدانية الله في الالهية.

للعبادة ، وأن غير ولا يستحقها ، ولا يستحق شيئا منها يقر في الواقع بأن الله رب العالمين ، وبأن له الاسماء الحسنى ، والصفات الكاملة ، لأن اخلاص العبادة لا يكون لغير الرب ولا يكون لمن فيه نقص (٣٠) إذ

كيف يعبد من لم يخلق ولم يدبر أمر الخلق ، وكيف يعبد من كان ناقصا ؟
ومن هنا كانت شهادة أن (لا اله الا الله) متضمنة لجميع انواع التوحيد : فمعناه المباشر توحيد الله في ألوهيته ، الذي يتضمن توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته .
من أجل ذلك كان هذا التوحيد أول الدين وآخره وباطنه وظاهره ، ومن أجله خلقت الخليقة ، كما قال الله تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (٣١)

يقول ابن تيمية : (وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركون ، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والاخرة ، فمن لم يأت به كان من المشركون) (٣٢)

ومن أجله أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، فما من رسول أرسله الله الى العباد الا وكان هذا التوحيد أساس دعوته وجوهرها ، قال عز وجل : (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٣٣) وقال سبحانه : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) (٣٤) وأخبر عز وجل عن رسله نوح وهود وصالح وشعيب أنهم كانوا جميعا يقولون لا قومهم هذه الكلمة : (اعبدوا الله مالكم من اله غيره) (٣٥) ، كما أخبر سبحانه وتعالى عن ابراهيم عليه السلام انه قال لقومه : (الى وجهتي وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركون) (٣٦)

ولما كان هذا التوحيد هو حقيقة دين الاسلام فقد كانت الشهادتان أول ركن من أركان هذا الدين ، قال رسول الله ﷺ : (بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت) (٣٦)

هذا ويستلزم توحيد الله في ألوهيته أن نتوجه اليه ، وحده بجميع انواع العبادة واشكالها ونخلص قلوبنا فيها من أية وجه اخرى وهذه عبارة يدخل فيها أمور كثيرة نذكر منها :

١. وجوب اخلاص المحبة لله عز وجل ، فلا يتخذ العبد ندا لله في الحب ، يحبه كما يحب الله ، أو يقدمه في المحبة على حب الله عز وجل ، فمن فعل ذلك كان من المشركون ،

(٣٠) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٩ وما بعدها

(٣١) الذاهيات - آية ٥٦

(٣٢) رسالة الحسنة والسيئة لابن تيمية ضمن مجموعة رسائل ص ٢٦١

(٣٣) النحل - الآية ٤٠

(٣٤) الانبياء - الآية ٢٥

(٣٥) المؤمنون - الآية ٢٣ . هود - الآية ٦١ . الاعراف - الآية ٦٥

(٣٦) رواه البخاري ومسلم - انظر : زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ١٠ ص ١٢٩

قال عز وجل: (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) ^(٣٧) فمن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه : ان يتخذ العبد من دون الله ندا يحبه كما يحب الله عز وجل ^(٣٨) وإذا كان الإنسان مفطورا على حب الذات والآباء والأوطان والأموال فإن اخلاص العبودية لله لاتعنى القضاء على هذه الفطرة ، وإنما المطلوب من المؤمن ان يكون حب كل شئ في الدنيا عنده بعد حب الله عز وجل وحب الله سبحانه عنده فوق كل حب حتى يضحى بكل هذه القيم في سبيل الله اذا وقع تعارض بينها وبين ما يقتضيه حبه لربه ، وقد توعد الله عز وجل من يقدمون هذه القيم الدنيوية على حب الله وحب رسوله ﷺ فقال سبحانه (قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فمريصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) ^(٣٩)

٢ - وجوب افراد الله تعالى في الدعاء والتوكل والرجاء فيما لا يقدر عليه الا هو سبحانه قال عز وجل (ولا تدع من دون الله مالا يفعلك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا من الظالمين) ^(٤٠) وقال تعالى : (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) ^(٤١)

وقال تعالى : (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله) ^(٤٢)

٣ - وجوب افراد الله عز وجل بالخوف منه، فمن اعتقد ان بعض المخلوقات تضره بمشيئتها وقدرتها ^(٤٣) فخاف منها فقد أشرك بالله، لقوله تعالى : (فايأى

فارهبون) ^(٤٤) ولقوله ايضا : (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو، وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) ^(٤٥)

٤ - وجوب افراد الله سبحانه بجميع انواع العبادات البدنية من صلاة وركوع وسجود وصوم وذبح وطواف وجميع العبادات القولية من نذر واستغفار وغير ذلك

(٣٧) البقرة - الآية ١٦٥

(٣٨) شرح قصيدة ابن القيم ج ٢ ص ٢٦٨

(٣٩) التوبة - الآية ٢٤

(٤٠) يونس - الآية ١٦

(٤١) المائدة - الآية ٢٣

(٤٢) البقرة - الآية ٢١٨

(٤٣) هذا القيد للتمييز بين خوف العبادة والخوف الفطرى والاول لا يصح الا لله عز وجل ومعناه ان يعتقد الانسان ان القادر على الضر بمشيئته وقدرته هو الله وغيره لا يضر ولا ينفع الا ان يجعله الله سببا للضرر والترفع من علامات خوف العبادة انه يقع في القلب كلما ذكر للخوف منه واما الخوف الفطرى كخوف الحيوان المفترس او الخوف عند اشهار السلاح ونحوه فلا يحدث في القلب الا عند مباشرة المكره وهذا لا يضر بالتوحيد لانه من فطرة الانسان التي فطر الله الناس عليها

(٤٤) النحل - الآية ٥١

(٤٥) يونس - الآية ١٠٧

فهذه العبادات وغيرها يجب ان تكون لله تعالى وحده ، ومن صرف شيئا منها لغير الله فقد اشرك ، وقد قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا)^(٤٦)

النوع الثالث : توحيد الاسماء والصفات :

ومعناه بعبارة اجمالية الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال ومنتزه عن جميع صفات النقص ، وانه متفرد بهذا عن جميع الكائنات وذلك باثبات ما أثبتته سبحانه لنفسه أو أثبتته رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف الفاظها أو معانيها ولا تعطيلها بنفي بعضها عن الله عز وجل ، ولاتكييفها بتحديد كنهها واثبات كيفية معينة لها ولا تشبيهها بصفات المخلوقين

وواضح من هذا التعريف ان توحيد الاسماء والصفات يقوم على ثلاثة اسس ، من حاد عنها لم يكن موحدًا ربه في اسمائه وصفاته^(٤٧) :

الاول : تنزيه الله جلا وعلا عن مشابهة الخلق وعن اى نقص.

الثاني : الايمان بالاسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة دون تجاوزها بالنقص منها أو بالزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها

الثالث : قطع الطمع عن ادراك كيفية هذه الصفات

فأما الاساس الاول فهو تنزيه الله عز وجل عن ان يشبه شئ من صفاته شيئا من صفات المخلوقين. وهذا الاصل يدل عليه قوله تعالى (ليس كمثله شئ)^(٥٠)

يقول القرطبي عند تفسير قوله تعالى (ليس كمثله شئ) والذي يعتقد في هذا الباب أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبهه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به ، وما أطلقت الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي ، اذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق^(٥١) وقال الواسطي رحمه الله (ليس كذاته ذات ، ولا كاسمه اسم ، ولا كفعله فعل ، ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ ، وجلت الذات القديمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثه صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة)^(٥٢)

(٤٦) النساء - الآية ٤٨

(٤٧) انظر: منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات للشيخ محمد الامين الشنقيطى: ص ٢٥٣

(٤٨) الشورى - الآية ١١

(٤٩) الانحلاص - الآية ٤

(٥٠) النحل - الآية ٧٤

(٥١) تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٨ (مطبعة دار الكتب المصرية)

(٥٢) في ظلال القرآن الكريم ج ٧ ص ٢٧٢

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى عند تفسير الآية المذكورة: (والفطرة تؤمن بهذا بداهة، فخالق الاشياء لا تماثله هذه الاشياء التي هي من خلقه) ^(٥٣).

ويدخل في هذا الاساس تنزيه الله سبحانه عن كل ما يناقض ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ : فتوحيد الله في صفاته يقتضي المسلم أن يتزه ربه عن الزوجه والشريك والكفر والظهير والشفيع (بدون اذن الله) والولى من الذل ، ويقتضيه أن يتزه الله عن النوم والاعياء والتعب والموت والجهل والظلم والغفلة والنسيان والنعاس والتحيز وغير ذلك من صفات النقص .

وأما الاساس الثانى فيقتضى وجوب الاقتصار فيما ثبت لله من الاسماء والصفات على ما روى منها فى القرآن الكريم أو فى السنة الثابتة ، فهى تتلقى عن طريق السمع ، لا بالآراء ، فلا يوصف الله عز وجل الا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ .

ولا يسمى الا بما سمي به نفسه او سماه به رسوله ﷺ لأن الله عز وجل أعلم بنفسه وصفاته وأسمائه قال تعالى (أنتم أعلم أم الله) ^(٥٤) فإذا كان أعلم بنفسه ، وكان رسله صادقين مصدقين ، لا يخبرون الا بما أوحى اليهم من ربه ، فإذا يجب الرجوع فى باب الاسماء والصفات نفياً والباتاً الى ما اخبر به الله عز وجل واخبر به رسوله ﷺ قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى: (لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن والحديث) ^(٥٥).

وقال نعيم بن حماد شيخ البخارى: (من شبه الله بخلقه كفر ، ومن حجد ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول تشبيه ولا تمثيل) ^(٥٦).

ويقتضى هذا الاساس كل عبد مكلف ان يؤمن بما ورد من الصفات والاسماء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويجربها على معانيها الواضحة الظاهرة فى لغة العرب ، ولا يعطلها اى يجحدها او ينفى بعضها عن الله عز وجل ، ولا يحرفها عن معانيها الظاهرة .

وأما الاساس الثالث فيقتضى من العبد المكلف ان يؤمن بتلك الصفات والاسماء المنصوص عليها فى الكتاب والسنة من غير سؤال عن كيفيتها ، ولا بحث عن كونها وذلك لأن معرفة كيفية الصفة موقفة على معرفة كيفية الذات لان الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها وذات الله عز وجل لا يسأل عن كونها وكيفيتها ، فكذلك صفاته سبحانه لا يصح السؤال عن كيفياتها ^(٥٧) ولذلك أثر عن كثير من السلف انهم قالوا عندما سئلوا عن كيفية

(٥٣) لى ظلال القرآن الكريم ج ٧ ص ٣٧٢

(٥٤) البقرة - الآية ١٤٠

(٥٥) الروضة الندية ص ٢٣ شرح العقيدة الواسطية محمد خليل مراس ص ٢١

(٥٦) النظر المرجعين السابقين واتحاف الكائنات ص ٦ وشرح ملا على القارى ص ١٥

(٥٧) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات - محمد الامين الشنيطى ص ٢٥. الروضة الندية ص ٢٣ ، ٢٨

استواء الله عز وجل: (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به ^(٥٨) واجب والسؤال عنه بدعة ^(٥٩) . فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا ، وأن السؤال عنه بدعة .

فلو أن قائلا قال لنا : كيف ينزل ربنا الى سماء الدنيا ؟ قيل له : كيف هو ؟ فاذا قال : لا أعلم كيفيته ، قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله ، اذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، وهو فرع وتابع له ، فكيف تطالبنا ببيان كيفية سمع الله وبصره وتكلمه واستوائه ونزوله ؟ وانت لاتعلم كيفية ذاته ! واذا كنت تقر بأن الله عز وجل حقيقة ثابتة في نفس الامر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شئ فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستوائه ثابت في نفس الامر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستوائهم ^(٦٠) ويتبين مما تقدم أن هذا التوحيد يقدر فيه عدة أمور يجب ان لا يقع فيها المسلم ، وهي :

- ١ - التشبيه : اى تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق ، كتشبيه النصارى المسيح ابن مريم بالله سبحانه ، وتشبيه اليهود عزيرا بالله ، وتشبيه المشركين أصنامهم بالله وتشبيه بعض الطوائف وجه الله بوجه المخلوق ، ويد الله بيد المخلوق ، وسمع الله بسمع المخلوق ، ونحو ذلك ^(٦١)
- ٢ - التحريف ، أو التغيير والتبديل ، كتحريف الفاظ الاسماء والصفات بزيادة أو نقصان أو تغيير الحركات الاعرابية ، أو تحريف معناها مما سماه بعض المتبدعين تأويلا ، وهو حمل اللفظ على معنى فاسد لم يعهد به استعمال في اللغة ، كتأويل الوجه بالذات ، والاستواء بالاستيلاء ^(٦٢)
- ٣ - التعطيل : وهو معنى الصفات الالهية ، وانكار قيامها بذات الله سبحانه ، كتعطيل الله جل وعلا عن كماله المقدس ، وذلك بجحد أسمائه وصفاته ، كتعطيل معاملة الله عز وجل بترك عبادته ، كتعطيل المصنوع من صانعه كمن قال بقدم المخلوقات ، وجحد أن الله خلقها وصنعها ^(٦٣)
- ٤ - التكيف : وهو تعيين كيفية الصفات ، وإثبات كنهها

وهذا المنهج في اخذ الصفات والاسماء المذكورة في القرآن والسنة على ظاهرها من دون تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكيف هو مذهب السلف من الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعين وتابعيهم ، يقول الشوكاني : (ان مذهب السلف من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو ايراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيئ منها ولا تشبيه ،

(٥٩) الروضة الندية ص ٢٩

(٥٨) اى بالاستواء

(٦٠) انظر الروضة الندية ص ٣٤

(٦١) الاسئلة والاجوبة الاصولية - تأليف عبد العزيز الحميد السلطان ص ٣٥ ، الروضة الندية ص ٣٥

(٦٢) الروضة الندية ص ٢٥ ، الاسئلة والاجوبة ص ٣٢، ٣٣

(٦٣) انظر المرجعين السابقين

ولا تعطيل يفضى اليه كثير من التأويل وكانوا اذا سأل سائل عن شئ من الصفات تلووا عليه الدليل ، وأمسكوا عن القول القليل ، وقالوا : قال الله هكذا ، ولاندرى بما سوى ذلك ، ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ، ولا اذن الله لنا بمجاوزته ، فان أراد السائل ان يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب مالا يمكن الوصول اليه الا بالوقوع في بدعة من البدع التى هى غير ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله ﷺ وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة والطريقة لهم جميعا متفقة وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به ، وكلفهم القيام بفرائضه من الايمان بالله واقام الصلاة وابتاء الزكاة والصيام والحج والجهاد وانفاق الاموال في انواع البر وطلب العلم النافع ، وارشاد الناس الى الخير على اختلاف انواعه ، والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة والنجاة من النار ، والقيام بالامر المعروف والنهي عن المنكر ، والاحذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة وبما تبلغ اليه القدرة ، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعمله ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته ، فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع (٦٤)

أنواع الصفات :

والصفات التى وردت في الكتاب والسنة نوعان^(٦٥) : صفات ذاتية ، وصفات فعل : فأما الصفات الذاتية فهى التى لا تنفك عن الله سبحانه كالنفس والعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والوجه والكلام والقدم والملك والعظمة والكبرياء والعلو والغنى والرحمة والحكمة ، وضابط هذا النوع من الصفات الملازمة لذات الله عز وجل فانها قائمة في الله سبحانه لا ينفك عنها .

وأما صفات الفعل فهى ما تعلق بمشيئة الله وقدرته ، كالاستواء والنزول والنجى والعجب والضحك والرضى والحب والكراهة والسخط والفرح والغضب والمكر والكيد والمقت . والواجب في هذه الصفات بنوعها اثباتها لله عز وجل على حسب المعنى الذى يليق بكمال الله تعالى ، وهو المعنى الحقيقى لها اذ ليس فيه تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ، وان نقول مثل ما قال الامام الشافعى ، رضى الله عنه : (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله ، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ)^(٦٦) أسماء الله عز وجل

وأما أسماء الله عز وجل ، فهى أعلام عليه ، أخبرنا بها الله في كتابه ، والرسول ﷺ في سنته ، وكل اسم من هذه الاسماء يدل على صفة أو صفات لله سبحانه . وكل اسم منها مشتق من مصدره ، كالعليم والقدير والسميع والبصير ، ونحوها ، فالعليم مشتق من العلم ، وهو يدل على صفة العلم للبارى ، وكذلك بقية الاسماء

(٦٤) انظر : التحف في مذاهب السلف للشوكال ص ٧

(٦٥) انظر : الاسئلة والاجوبة ص ٤٨ والفقه الاكبر وشرحة لملا على الفارى ص ١٥

(٦٦) الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٥٠

والاسم الجامع لمعاني الاسماء كلها ، والصفات كلها هو « الله » وقد اختلفوا في اشتقاقه : فقال جماعة : هو مشتق ، واصله « الاله » حذفوا الهزة ، وأدغموا اللام في اللام فصارتا لاما واحدة مشددة مضخمة ، ورجح هذا ابن القيم وسيبويه والطبري ، وذهب بعضهم الى انه ليس بمشتق (٦٧)

هذا ولا تنافي بين كون هذه الاسماء نعوتا لله عز وجل وأعلاما عليه ، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه ، وكل اسماء الله تدل على معانيها وجميعها أوصاف مدح وسميت « الحسنی » لدلالاتها على أحسن مسمى ، وأشرف مدلول وتوحيد الله في اسمائه يقتضي الايمان بكل اسم سمى به نفسه ، وبما دل عليه هذا الاسم من معنى وبما تعلق بهذا الاسم من آثار فمثلا : ورد في القرآن اسم الله (الرحيم) فنؤمن بأن هذا علم على الله عز وجل ، ونؤمن بأن هذا الاسم يدل على أن الله ذو رحمة ، ونؤمن أيضا ان الله يرحم من يشاء وكذلك كل اسم ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (٦٨)

وأما عدد أسماء الله جل وعلا ، فالذي ورد النص عليه تسعة وتسعون اسما : جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا . من أحصاها دخل الجنة ، إنه وتر يحب الوتر) (٦٩) وقد اتفق العلماء على ان قول النبي ﷺ « تسعة وتسعين اسما » لا يفيد انها محصورة في هذا العدد ، وإنما غاية ما في الحديث الصحيح ان لله هذه الاسماء المذكورة من احصاها دخل الجنة وليس فيه نفى غيرها عن الله سبحانه فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بمحصر الاسماء (٧٠)

ويدل على أن هناك أسماء لم يخبرنا بها الباري ، وإنما استأثر بها في علم الغيب ماورد عن رسول الله ﷺ انه قال : (ما أصاب مسلما قط هم ولا حزن فقال : اللهم اني عبدك وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو انزلته في كتابك ، أو علمته أجدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء خزي ، وذهب همي وغمي ، الا اذهب الله عنه همه وابدله مكان همه فرحا ، قالوا : يا رسول الله : الا نتعلم هذه الكلمات ؟ قال : بلى . ينبغي لمن سمعهن ان يتعلمهن) (٧١)

(٦٧) انظر : فتح المجيد ص ١١ وقد قال الطبري في معنى لفظ الجلالة الله ذو الالهية والمعبودية على خلقه اجمعين - تفسير الطبري

٢٠ ص ١٢٣

(٦٨) فتح المجيد ص ١٤ الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٤٤

(٦٩) الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٤٤

(٧٠) أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه - انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٥ ص ٣٧٢ وهداية الباري ج ١ ص ١٣٥

وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ٥

(٧١) الاسماء والصفات للبيهقي ص ٦ ، اثار الحق على الخلق للمرئضي اليماني ص ١٦٩ ، وفتح الباري ج ١١ ص ١٨٣ تفسير القاسمي ج ٧ ص ٢٩١١ ،

شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٠ ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ٥

(٧٢) رواه احمد وابو عوانه في صحيحه ، قال الميثمي في مجمع الزوائد : رواه احمد وابو يعلى والبخاري ورجال احمد ر جال الصحيح تغير الى سلمة -

الجهني وقد وثقه ابن حبان . انظر اثار الحق ص ١٧٠ وانظر الاسماء والصفات للبيهقي ص ٧٤٦ وشرح العقيدة الطحاوية ص ١١٠

وأما معنى احصاء اسماء الله الوارد في الحديث السابق فهو : معرفتها وحفظها ، وفهمها ، والايمان بها ، وحسن المراعاة لها ، والمحافظة على حدودها في معاملة الله بها ، ودعاء الله عز وجل بها ، فيكون معنى ماورد في الحديث : من حفظها متفكرا في مدلولاتها معتبرا بمعانيها عاملا بمقتضاها مقدسا لمسامها دخل الجنة ^(٧٣)

أدلة توحيد الاسماء والصفات :

وأدلة هذا النوع من التوحيد في القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة ، كثيرة جدا بل انه لا تخلو سورة من سور القرآن ، ولاصفحة من صفحاته ، من ذكر صفات الله وأسمائه ، فتجده يذكرها ويذكر بها في مختلف موضوعاته ، من توحيد ، وعبادة وتثريب ، وفي مقام أمره ونهيه ، ووعدته ووعيده ، وقصصه وأمثاله ، ونذكر لك في هذا المقام سورة جامعة في توحيد الاسماء والصفات ، واعظم آية من آي القرآن فأما السورة ، فهي سورة الاخلاص ، التي تعدل ثلث القرآن ، كما اخبر المصطفى ﷺ ^(٧٤) حيث يقول الله عز وجل : (قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد) فهذه السورة العظيمة تضمنت اثبات كل كمال الله عز وجل ، ونفى كل نقص عنه ، فقد اخبر سبحانه فيها انه هو الله الاحد الصمد ، وانه لم يلد ولم يولد ، وليس له كفو ، ومعنى الاحد ، الذي لا شبيه له ولا نظير ^(٧٥) فيدل هذا الاسم الكريم على ان الله سبحانه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة له ومعنى الصمد السيد الذي يصمد اليه في الامور ويقصد في الحوائج والتوازن ^(٧٦) فيدل هذا الاسم على أن الله وحده هو المستحق لان يقصد بالحوائج والمسائل ، ولا يبطل هذا الاستحقاق بذهاب من يذهب عن الحق ويضل السبيل ، فيقصد الخلق ، ويعرض عن الخالق جلا وعلا ، لانه اذا كان الله هو الخالق والمدبر لما خلق ، لا خالق غيره ولا مدبر سواه ، فالاعراض عن قصده سبحانه جهل وحق ، لان الامر كله بيده ^(٧٧) وهكذا اثبت اسم الاحد نفى جميع صفات النقص عن الله عز وجل ، فان هذا الاسم (الصمد) قد أثبت لله تعالى جميع صفات الكمال والجلال ^(٧٨)

(٧٣) الاسماء والصفات للبيهقي ص ٦ والاسئلة والاجوبة ص ٤٥ ، فتح الباري ج ١٣ ص ٣٢٢ ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ٦٥

(٧٤) فقد روى البخارى في صحيحه عن ابي سعيد الخدرى ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد ، يرددها فلما أصبح جاء الى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتفاهما ، فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسى بيده انها تعدل ثلث القرآن » وعن ابي سعيد قال : قال النبي ﷺ لاصحابه « ايعجز احدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فشق ذلك عليهم ، فقالوا : ايها يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : الله الواحد الصمد ثلث القرآن. انظر صحيح البخارى مع فتح الباري ج ٩ ص ٤٩ والاحاديث في فضل سورة الاخلاص كثيرة جدا : زاد المعاد ج ١ ص ٨٢

(٧٥) الاسماء والصفات ص ٢١ شرح ملا على القارى على الفقه الاكبر ص ١٤

(٧٦) فتح الباري ج ٨ ص ٦٠١ الاسماء والصفات ص ٥٨ شرح ملا على القارى على الفقه الاكبر ص ١٤

(٧٧) الاسماء والصفات ص ٥٨ .

(٧٨) فتح الباري ج ٩ ص ٥٠

ومن هنا تدرك لم أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام ان هذه السورة تعدل ثلث القرآن الكريم فانها قد تضمنت عقيد الاسلام كلها ، القائمة على اثبات صفات الكمال للمخالق ونفى صفات النقص عنه ، واستحقاقه سبحانه للعبادة والتوجه اليه . والقرآن بمجموعه عقيدة تبين للعباد مايجب عليهم من معرفة الله وأسمائه وصفاته ، وشريعة تبين لهم حقوقهم وواجباتهم ، وكيفية التعامل بينهم ، وأخبار وقصص تبين للعباد سنن الله في معاملته الخلق ، وتفصل لهم ثواب الله وعقابه ، ووعدته ووعدته ، يقول ابن القيم في بيان حقيقة هذه السورة : (فسورة الاخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة ومايجب اثباته للرب تعالى من الاحدية المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه ، والصمدية ، ونفى الولد والوالد الذي هو من لوازم الصمدية ، ونفى الكفو المتضمن لنفى التشبيه والتمثيل والتنظير ، فتضمنت هذه السورة اثبات كل كمال له ، ونفى كل نقص عنه ، ونفى اثبات شبيه او مثل له في كماله ، ونفى مطلق الشريك عنه ، وهذه الاصول هي مجامع التوحيد العلمى الاعتقادى الذى يباين صاحب جميع فرق الضلال والشرك)^(٧٩)

وأما الآية ، فهي آية الكرسي ، التى أخبر الرسول ﷺ انها أعظم آية في القرآن ، وفيها يقول سبحانه وتعالى : (الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الارض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم)^(٨٠)

فهذه الآية العظيمة تضمنت قواعد التوحيد بأنواعه الثلاثة ، فقد اشتملت على صفات وأسماء ، كل منها يعيش قاعدة من قواعد العقيدة الاسلامية :

فقوله تعالى (الله لا اله الا هو) قرر قاعدة الألوهية ، التى هي اساس التوحيد ، والتى ينبثق منها منهج الاسلام للحياة كلها ، وهى تستلزم الاتجاه الى الله وحده بالعبودية والعبادة : فلا يكون الانسان عبدا الا لله ولا يتجه بالعبادة الا لله عز وجل ، ولا يلتزم بطاعة الا طاعة الله ، ولا يحتكم الا الى الله ولا يستمد شرعة ولا قيمة ولا أخلاقه ولا مفاهيمه الا من الله سبحانه وتعالى^(٨١)

وقوله تعالى (الحى القيوم) اثبت لذاته العلية اسمين عظيمين :

والحى : هو الذى له الحماة الدائمة ، والبقاء الذى لا أول له ولا آخر^(٨٢) فالحياة التى يوصف بها الله هي الحياة الذاتية التى لم تأت من مصدر آخر كحياة الخلائق المكسوبة الموهوبة لها من الخالق ، كذلك هي الحياة الازلية الابدية التى لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهى الى نهاية^(٨٣)

والقيوم : هو القائم بأمر الخلق ومدبر العالم في جميع أحواله فهو القيم على كل شئ يرزقه ويحفظه ويرعاه ويدبره بما يريد جلا وعلا^(٨٤)

(٧٩) انظر زاد المعاد في هدى خير العباد ج ١ ص ٨١ ، ٨٢ .

(٨٠) البقرة - الآية ٢٥٥

(٨١) في ظلال القرآن - المجلد الأول ص ٤١٨ - ٤١٩

(٨٢) تفسير الطبرى ج ٥ ص ٣٨٨ ، الاسماء والصفات ص ٢٠

(٨٣) في ظلال القرآن المجلد الأول ص ٤١٨ ، ٤١٩

(٨٤) الاسماء والصفات ص ٤٨ شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٤ تفسير الطبرى ج ٥ ص ٣٨٨ الروضة الندية ص ٦١

وهذان الاسمان (الحى القيوم) من أعظم اسماء الله الحسنى ، اذ عليهما مدار الاسماء الحسنى كلها ، واليهما ترجع معانيها ، فان الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ، فلا يتخلف عنها صفة منها الا لضعف الحياة ، فان كان لله تعالى الحياة الكاملة فله كل كمال ، وصفة القيومية تتضمن كمال غناه سبحانه وكال قدرته ، فهو القائم بنفسه ، فلا يحتاج الى غيره بوجه من الوجوه ، وهو المقيم لغيره ، فكل موجود مرتكن الى وجود الله وتدبيره^(٨٥)

ولهذين الاسمين أثر عظيم فى حياة المسلم ، الذي يؤمن بهما ، ويستحضر مافيهما من معان عظيمة ، فان ضميره يظل مرتبطا بالله ، حبا وعبادة وطاعة ، لانه يعلم أن ربه هو الذى يصرف أمره وأمر كل شئ حوله ، وفق حكمة وتدبير ، فيلتزم فى حياته بالمنهج المرسوم القائم على الحكمة والتدبير ، ويستمد منه قيمه وموازنه ، ويرقبه فى جميع احواله^(٨٦)

وقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) تؤكد لقيامه سبحانه على كل شئ وقيام كل شئ به ، لان السنة - وهى النعاس - والنوم ينافیان الحياة الكاملة والقيومية الكاملة^(٨٧)

وقوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض) يقرر ملكيته سبحانه الشاملة لكل شئ المطلقة من أى قيد المنزهة عن أية شركة وهذه العقيدة اذا استقرت فى قلوب الناس أثر عظيم فى حياتهم : يقول سيد قطب رحمه الله تعالى (فاذا تمخضت الملكية الحقيقية لله ، لم يكن للناس ملكية ابتداء لشيئ انما كان لهم استخلاف من المالك الواحد الاصلى الذى يملك كل شئ ومن ثم يجب أن يخضعوا فى خلافتهم لشروط المالك المستخلف فى هذه الملكية وشروط المالك المستخلف قد بينها لهم فى شريعته ، فليس لهم أن يخرجوا عنها والا بطلت ملكيتهم الناشئة عن عهد الاستخلاف ووقعت تصرفاتهم باطلة ... على أن مجرد استقرار هذه الحقيقة فى الضمير مجرد شعور الانسان بحقيقة المالك سبحانه لما فى السموات وما فى الارض ، مجرد تصور الانسان لخلو يده هو من ملكية أى شئ مما يقول : انه يملكه ، ورد هذه الملكية لصاحبها مجرد احساسه بأن مافى يده عارية لأمد محدود ، ثم يستردها صاحبها الذى اعارها له فى الاجل المرسوم .. مجرد استحضار هذه الحقائق والمشاعر كفيل وحده بأن يطامن من حدة الشرو والطمع ، وحدة الشح والحرص ، وحدة التكالب المسعور ، وكفيل كذلك بأن يكسب فى النفس القناعة والرضى بما يحصل من الرزق ، والسماحة والجود بالموجود ، وأن يفيض على القلب الطمأنينة والقرار فى الوجدان والحرمان على السواء ، فلا تذهب النفس حسرات على فائت أو ضائع ، ولا يتحرق القلب سعارا على المرموق المطلوب^(٨٨))

وقوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) توضيح لمقام الالهية ومقام العبودية ، فكل مخلوق عبد لله ، لا يتجاوز حد العبودية ، ولا يتعداه ، فليس له الشفاعة عند الله الا باذنه ، وهذا تضع

(٨٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٤ - ١٢٥

(٨٦) فى ظلال القرآن المجلد الاول ص ٤١٩

(٨٧) المرجع السابق الروضة الندية ص ٦٣

(٨٨) فى ظلال القرآن - المجلد الاول ص ٤٢٠ ، ٤٢١

هذه العقيدة فاصلا واضحا بين حقيقة العبودية وحقيقة الربوبية ، فلا يختلطان ولا يتشاركان في شئ من الصفات أو الخصائص (٨٩)

وقوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) اثبات لاحاطة علمه سبحانه وشموله للزمان والمكان والاشياء ، وبيان لعجز المخلوقات ونقص علمهم الا ماشاء الله أن يعلمهم (٩٠) وإيمان المسلم بهذه الصفة لله

عز وجل ، واستحضارها في قلبه يجعله مراقبا لربه دائما ، مراعيًا لحدوده ، سريع التوبة اليه ان أساء ، وادراكه لحقيقة نفسه ، ونعمة الله عليه فيما يعلمه اياه من الحقائق يجعله دائما شديد الشكر لله ، وبعيدا عن البطر والكبر والتبجح

وقوله تعالى : (وسع كرسيه السموات والارض ، ولا يؤده حفظهما) دليل على كمال قدرته سبحانه وتعالى .

ثم ختم سبحانه هذه الآية العظيمة بذكر اسمين من اسمائه الحسنی فقال (وهو العلي العظيم) والعلی : ذو العلو والارتفاع على خلقه (٩١) فلا يتناول احد الى مقامه الا ويرده الله الى الخفض والهون في الدنيا ، والعذاب في الآخرة والهوان والعظيم ذو العظمة الذي كل شئ دونه فلا شئ اعظم منه سبحانه^{٩٢} وعندما تستقر حقيقة علو الله وعظمته في نفس الانسان فانه يعرف قدر نفسه ويثوب الى مقام العبودية لله عز وجل فلا يتكبر ولا يطفئ وإنما يخاف الله ويهابه ويتأدب معه ومع خلقه سبحانه (٩٣)

ذلك بعض من مظاهر عظمة آية الكرسي، فينبغي لكل مسلم ان يحرص عليها ويحفظها ويتدبر معانيها ويستحضرها ويراعى حقوقها وقد ورد في فضلها احاديث صحيحة منها : مارواه البخاري عن ابي هريرة من حديث طويل أن الرسول ﷺ قال له : (اذا أويت الى فراشك ، فاقرا آية الكرسي : الله لا اله الا هو الحي القيوم .. حتى ختم الآية - فانه لن يزال عليك من الله حافظ - ولا يقربك شيطان حتى تصبح) (٩٤) وما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ :

يا أبا المنذر : أتدرى اى آية من كتاب الله معك اعظم ؟ قال : الله ورسوله اعلم ، قال : يا أبا المنذر أتدرى اى آية من كتاب الله معك اعظم ؟ قال قلت : الله لا اله الا هو الحي القيوم ، قال : فضرب في صدرى : والله ليهنك العلم أبا المنذر (٩٥)

(٨٩) المرجع السابق

(٩٠) تفسير الطبري ج ٥ ص ٣٩٦، ٣٩٧ الروضة الندية ص ٦٤

(٩١) تفسير الطبري ج ٥ ص ٤٠٥

(٩٢) المرجع السابق

(٩٣) في ظلال القرآن، المجلد الأول ص ٤٢٤

(٩٤) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ٢٨٤

(٩٥) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٩٣

الايان بالملائكة .

ومن اركان الايمان ، الايمان بالملائكة
والمقصود به الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور وانهم لا يعصون الله ما أمرهم ، وانهم
قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها^(١)
فهم نوع من مخلوقات الله عز وجل لا يصلح ايمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد في حقهم من
صفات واعمال في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف
قال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)^(٢)
وفي الحديث الذي اخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه والبخاري عندما سأل جبريل
عليه السلام عن الايمان قال ﷺ (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره
وشره)^(٣)

فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه شك ومن هنا كان انكار وجودهم كفرا
باجماع المسلمين بل بنص القرآن العظيم فقد قال عز وجل « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا »

والذي يستقصي الايات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة التي تكلمت عن الملائكة
وأوصافهم واعمالهم واحوالهم يلاحظ انها تناولت في الغالب

• يقول ابن حجر في معنى الملائكة (جمع ملك بفتح اللام فقليل مخفف من مالك وقيل مشتق من اللوكة وهي الرسالة وهذا قول سيويه
والجمهور . وأصله لأك وقيل : أصله الملك بفتح الميم وسكون اللام وهو الانخذ بقوة وأصل وزنه « مفعل » فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال
وظهرت في الجمع .. وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين : الملائكة اجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السموات فتح

الباري ج ٦ ص ٢٣٢

(١) انظر الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢١

(٢) البقرة الآية ٢٨٥

(٣) تقدم ترجمته في صفحة رقم ٥

(٤) النساء الآية ١٣٦

مايين علاقتهم بالخالق سبحانه ، وبالكون والانسان فعرّفنا سبحانه من ذلك على ماينفعنا في تطهير عقيدتنا وتزكية قلوبنا وتصحيح أعمالنا

واما حقيقة الملائكة، وكيف خلقهم، وتفصيلات احوالهم فقد استأثر سبحانه بها وهذه خصيصة عامة من خصائص العقائد الاسلامية تناولت الحقائق الكونية والتعريف بها في حدود مايجتاج اليه البشر ويصلح احوالهم في المعاش والمعاد وما تطيقه عقولهم فلا يطلعنا الله جل وعلا على جميع المغيبات سواء منها ماتعلق بجلاله وصفاته وأسمائه وما تعلق بمخلوقاته الغيبية والمؤمن الصادق يقر بكل ما أخبر به الخالق ، مجملا أو مفصلا ولايزيد على ذلك ، ولا ينقص منه ولايتكلف البحث عما لم يطلعنا عليه منه ، ولا يخوض فيه .

صفاتهم الخلقية :

وبناء على ذلك فان الخالق عز وجل لم يخبرنا من صفاتهم الخلقية الاالنذر القليل : فأخبرنا سبحانه انهم خلقوا قبل خلق آدم^(٥) اذ ورد في القرآن ان الله اخبرهم بأنه سيخلق الانسان ويجعله في الارض قال تعالى (واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون)^(٦)

وأما عن الماهة التي خلقوا منها، فقد اخبرنا الرسول ﷺ ان الله خلقهم من نور فقد اخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله ﷺ قال : (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم)^(٧)

وتدل النصوص في مجموعها على أن الملائكة مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الانسانية وانهم ليسوا كالبحر فلا يأكلون ولايشربون ولا

ينامون ولايتزوجون مطهرون من الشهوات الحيوانية ومنزهون عن الاثام والخطايا ولايتصفون بشئ من الصفات المادية التي يتصف بها ابن آدم^(٨)

غير أن لهم القدرة على ان يمثلوا بصور البشر باذن الله تعالى كما أخبر الله عز وجل عن جبريل عليه السلام انه جاء مريم في صورة بشرية فقال تعالى (واذكر في الكتاب مريم اذا انتبذت من أهلها مكان شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)^(٩)

وفي حديث جبريل المشهور حين جاء يعلم الصحابة معنى الاسلام والايمان والاحسان واشراط الساعة ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه جاء على هيئة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه اثر السفر وانه جلس الى النبي ﷺ فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم شرع

(٥) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٢٣٤

(٦) البقرة - الآية ٣٠

(٧) اخبره مسلم واحمد في المجيد - انظر فتح الباري ج ٦ ص ٢٣٢

(٨) شرح ملا على القاري على الفقه الاكبر ص ١١ ، العقائد الاسلامية - سيد سابق ص ١١١ ، فتح الباري ج ٦ ص ٢٣٢

(٩) مريم - الايتان ١٦ ، ١٧

في السؤال^(١٠)

ومن صفاتهم الخلقية التي أخبرنا الله بها انه جعل لهم اجنحة يتفاوتون في أعدادها فقال سبحانه (الحمد لله فاطر السموات والارض، جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في خلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير)^(١١) وقد اخرج مسلم والبخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستائة جناح^(١٢) هذا هو ما أخبرنا به ربنا تبارك وتعالى عن هذه المخلوقات الكريمة من حيث خلقتها ونؤمن به كما جاء ولا نسأل عن غيره ولو كان في التفصيل نفع لعباد الله لما حجب عنهم معرفته فهو اللطيف الرحيم بهم يعلمهم الحق والخير

عباد مكرمون

وأما علاقتهم بالله فهي علاقة العبودية الخالصة والطاعة والامتثال، والخضوع المطلق لأوامره عز وجل ، لا ينتسبون اليه سبحانه الا بهذه النسبة، فهم ليسوا آلهة

من دونه سبحانه، ولا ذرية له ولا بنات كما قال المشركون من قبل (بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، لا يشفعون الا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون)^(١٣) وقال تعالى (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)^(١٤) وقال ايضا (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)^(١٥) فهم خلق من مخلوقات الله الكثيرة يطيعونه سبحانه ولا يقدرّون على شئ من تلقاء انفسهم ، وهم لا يستطيعون أن يقترحوا على الله شيئا بفضله قوتهم ، وهم منقطعون دائما لعبادة الله وطاعة أمره قال تعالى (وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون، وانا لنحن المسبحون)^(١٦)

واذا كانت هذه حقيقة أمرهم ، فمن الشرك بالله ان يعبدوا، أو يستعان بهم أو يعتقد أن لهم من الامر شيئا قال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا يأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون)^(١٧)

(١٠) تقدم تحريمه في ص ٥

(١١) فاطر - الآية ١

(١٢) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٢٤٢

(١٣) الانبياء - الايتان ٢٧ ، ٢٨

(١٤) النحل - الآية ٥٠

(١٥) التحريم - الآية ٦

(١٦) الصافات - الايتان ١٦٥ ، ١٦٦

(١٧) آل عمران - الآية ٨٠

علاقتهم بالكون والانسان :

واذا كانت تلك هي صلتهم برهم : عبودية كاملة له سبحانه ، وطاعة تامة لأوامره عز وجل ، فان صلتهم بالكون والانسان هي فرع تلك العبودية ، وتلك الطاعة ، ذلك ان عبادتهم لله كما أخبر سبحانه لا تقتصر على تسييحهم بحمد الله ، وتمجيدهم له ، وانما تشتمل على تنفيذ ارادته جل وعلا بتدبير امور الكون ورعايته ، بكل ما فيه من مخلوقات وما فيه من حركة ونشاط وما فيه من حياة وجماد وما فيه من قوانين ونواميس وانفاذ قدره وفق قضائه في هذه المخلوقات كلها وتنفيذ ارادته سبحانه في مراقبة وتسجيل كل ما يحدث في الكون من حركات ارادية وغير ارادية : فهم الموكلون بالسموات والارض وكل حركة في العالم تدخل في اختصاصهم^(١٨)

كما اراد بحالهم تبارك وتعالى ، كما قال سبحانه : (المديرات أمرا)^(١٩) ، وكما قال : (فالمقسمات أمرا)^(٢٠) وهي الملائكة عند اهل الايمان واتباع الرسل عليهم السلام

وقد دل الكتاب والسنة على اصناف الملائكة وانها موكلة بأصناف المخلوقات وأنه سبحانه وكل بالشمس والقمر ملائكة وبالأفلاك ملائكة وبالجبال ملائكة وبالسحاب ملائكة وبالمطر ملائكة وبالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ، وبالموت ملائكة ، ووكل بكل عبد ملائكة ، يحفظونه ، وبكل مخلوق ، وبكل حوادث الكون وظواهره ملائكة^(٢١)

ولا ينافي هذا ما يلاحظ في الكون من قوانين وأسباب يرتبط بعضها ببعض لان هذه القوانين والاسباب انما هي مخلوقات من مخلوقات الله والملائكة موكلة بها ايضا وموكلة برعايتها كما ترعى المخلوقات الاخرى ولولا ارادة الله في حفظ هذه الاسباب والقوانين ولولا قدره في تسخير الملائكة للحفاظ عليها فان العقل لا يستلزم أبدا بناءها على هذه الآماد الطويلة في انتظامها وتناسقها

وأما الانسان فيدخل بحياته الفطرية في تلك الرعاية التي وكل الله سبحانه الملائكة بها لانه مخلوق من مخلوقات الله في الكون ، بل هو المخلوق الذي سخر الله له ما في الكون كله كما قال تعالى : (الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض)^(٢٢) فحفظ الملائكة ورعايتها للسموات والارض وما فيهن رعاية له ، وعون له على القيام بحق الخلافة ومسئوليتها

وفوق هذا فان للملائكة اعمالا اخرى في حياة الانسان الارادية هدفها - كما حدده الله لهم - هداية البشر واسعادهم ومساعدتهم على عبادة الله وعونهم على اختيار الهدى والصلاح ، واجتناب الشر والفساد والضلال ، فهم الذين اختارهم رب العالمين لايصال هداه الى اهل الارض عن طريق رسله الكرام ، والملك المختار لهذه المهمة هو

(١٨) اغانة اللفهان ج ٢ ص ١٢٠ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٥

(١٩) النازعات - الآية ٥

(٢٠) الذاريات - الآية ٤

(٢١) اغانة اللفهان ص ١٢٠

(٢٢) اغانة اللفهان ج ٢ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٥

(٢٣) لقمان - الآية ٢٠

جبريل عليه السلام ، قال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك ، لتكون من المنذرين)^(٢٤)

وهم يلزمون الانسان في حياته كلها وجميع صحبتهم للانسان لاسعاده وهدايته يلهمونه الحق والخير ويحثونه عليهما ، فقد قال المصطفى عليه الصلاة والسلام : (ان للشيطان لمة^(٢٥) لابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاذ بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فايعاذ بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم انه من الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم)^(٢٦)

كما اخبرنا عز وجل انه سخرهم للدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم فقال سبحانه : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وزرياتهم ، انك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم)^(٢٧) ويقول رسول الله ﷺ (ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الاخر : اللهم أعط ممسكا تلفا)^(٢٨)

وهم يشجعون العبد على طاعة ربه ، وعبادته ، ويحبونه بالذكر والقران ويحثونه على العلم والخير ، ويحضرون صلاته وقراءته ، وفي ذلك كله احاديث صحيحة من ذلك ما اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة ، وذلك أن احدهم اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد ، لا ينهزه الا الصلاة ، لا يريد الا الصلاة ، لم يخط خطوة ، الا رفع له بها درجة وحط

عنه بها خطيئة ، حتى يدخل المسجد ، فاذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة تجبسه ، والملائكة يصلون على احدكم مادام في مجلسه الذي صلى فيه ، ثم يقولون : اللهم ارحمه ، الله اغفر له ، الله تب عليه ، مالم يؤذ فيه ، مالم يحدث فيه)^(٢٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : (الملائكة يتعاقبون ، ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة

(٢٤) الشعراء - الايتان ١٩٣ ، ١٩٤

(٢٥) اللمة هي الخطرة بالقلب ، ويكون لمة الشيطان بوسوسته للانسان بالسوء ولمة الملك بايئاته بالخير

(٢٦) البقرة - الآية ٣٦٨ ، والحديث اخرجه الترمذي وقال عنه : حسن غريب والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود - انظر : فيض القدير

للمناوي ج ٢ ص ٤٤٩

(٢٧) غافر - الايات ٧ ، ٨ ، ٩ .

(٢٨) متفق عليه - انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٢٣٧

(٢٩) متفق عليه واللفظ لمسلم . انظر فتح الباري ج ١ ص ٤٤٨ ، وصحيح مسلم بشرح النووي أ - ج ٥ ص ٢٢٩

العصر ، ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم : كيف تركتم عبادى ؟ فقالوا : تركناهم يصلون وأتيناهم يصلون (٣٠)

وفي حضورهم يجالس الذكر قال رسول الله ﷺ (ان لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون اهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرن الله تنادوا : هلموا الى حاجتكم ، قال فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم عز وجل وهو اعلم بهم : ما يقول عبادى ؟ قال : تقول : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله مارأوك . قال : فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال : يقولون لو رأوك كانوا اشد لك عبادة وأشد لك تمجيذا وأكثر لك تسبيحا . قال : يقول : فما يسألوني ؟ قال : فيقولون : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يارب مارأوها قال : فيقولون : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا اشد عليها حرصا واشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال : فممن يتعذون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يارب مارأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا اشد منها فرارا واشد لها مخافة ، قال : فيقول فأشهدكم انى قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم ، انما جاء لحاجة ، قال : هم المجلساء لايشقى جلسهم (٣١)

وفي تشجيعهم لاهل العلم قال رسول الله ﷺ (ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة اجنحتها رضا بما يصنع) (٣٢)

وهم ايضا يثبتون العبد على العمل الصالح ، وخاصة الجهاد في سبيل الله تعالى ، كما قال الله عز وجل (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألنى في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الاعناق ، واضربوا منهم كل بنان) (٣٣)

ومن أعمالهم التى اخبرنا عنها رب العالمين ، مما له أثر عظيم فى تقويم حياة العباد وحفظهم من المعصية والشر ، ما وكل اليهم من مراقبة اعمال العباد وكتابتها بعد احصائها ، فقال سبحانه وتعالى : (ولقد خلقنا الانسان وتعلم ماتوسوس به نفسه ، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ، اذ يتلقى المتلقين عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (٣٤) وقال ايضا : (وأن عليكم لحافظين كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون) (٣٥) وقال ايضا (أم يحسبون اننا لانسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لديهم يكتبون) (٣٦)

(٣٠) متفق عليه واللفظ للبخارى - انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٦ ص ٢٣٩

(٣١) متفق عليه واللفظ للبخارى - انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١١ ص ١٧٥ ، ١٧٦

(٣٢) رواه الترمذى وصحيحه وابن ماجه واللفظ له وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد - انظر الترغيب والترهيب ج ١ ص ١٠٤

(٣٣) الانفال - الآية ١٣

(٣٤) ق - الآية ١٦

(٣٥) الانفطار - الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢

(٣٦) الزخرف - الآية ٨٠

وفي ختام الكلام عن علاقة الملائكة بالانسان ، وأثرهم في أعماله الارادية ، وغير الارادية نثبت كلمة جامعة لابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى عن هذا الموضوع فقد قال في كتابه (اغاثة اللفهان من مصايد الشيطان) : (والملائكة الموكلة بالانسان من حين كونه نقطة الى آخر أمره ، لهم وله شأن آخر ، فانهم موكلون بتخليقه ونقله من طور الى طور ، وتصويره ، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث ، وكتابة رزقه وعمله ، وأجله وشقاوته ، وسعادته ، وملازمته في جميع أحواله ، واحصاء اقواله وافعاله ، وحفظه في حياته ، وقبض روحه عند وفاته ، وعرضها على خالقه وفاطره ، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ ، وبعد البعث ، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب ، وهم المشتبون للعبد المؤمن باذن الله والمعلمون له ماينفعه ، والمقاتلون الذابون عنه وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة ، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونهم اليه ، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه ، فهم أولياؤه وانصاره ، وحفظته ومعلموه ، وناصحوه ، والداعون له ، والمستغفرون له ، وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه ، ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير ، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه ، وعند موته ، ويوم

بعثه ، وهم الذين يزهدونه في الدنيا ، ويرغبونه في الآخرة ، وهم الذين يذكرونه اذا نسي وينشطونه اذا كسل ، ويثبتونه اذ جزغ وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخريته فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده تنزل بالامر من عنده في أقطار العالم ، وتصعد اليه بالامر^(٣٧))
عدد الملائكة :

وهم كثرة ، لا يحصى عددهم الا الله ، قال تعالى : (وماجعلنا اصحاب النار الا ملائكة وماجعلنا عدتهم الا فئة للذين كفروا ، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ، ويزداد الذين آمنوا ايمانا ، ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون : ماذا أراد الله بهذا مثلا ، كذلك يفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ، وما يعلم جنود ربك الا هو ، وما هي الا ذكرى للبشر)^(٣٨) واخرج الترمذي وابن ماجه والبخاري من حديث ابى ذر مرفوعا : (اطلقت السماء وحق لها أن تثط ما فيها موضع اربع اصابع الا وعليه ملك ساجد)^(٣٩) وفي حديث المعراج قال رسول الله ﷺ (فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصل فيه كل يوم سبعون ألف ملك ...)^(٤٠)

الايان بالملائكة تفصيل واجمالى :

ويجب الايمان بالملائكة التى وردت اسمائهم فى الكتاب أو السنة بالتفصيل ومن هؤلاء رؤسائهم الثلاث : جبريل ، وميكائيل ، واسرافيل^(٤١) وجبريل هو الملك الموكل بالوحي الذى به حياة القلوب

(٣٧) اغاثة اللفهان من مصايد الشيطان ج ٢ ص ١٢٥ ، ١٢٦

(٣٨) المذثر - الآية ٣١

(٣٩) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٢٣

(٤٠) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٦ ص ٢٢٣

(٤١) اغاثة اللفهان ج ٢ ص ١٢٢ ، الكواشف الجلية عن معالى الواسطية ص ٣٦

والأرواح^(٤٢) وقد ورد ذكره هو وميكائيل في القرآن الكريم قال تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل

وميكال فان الله عدو للكافرين)^(٤٣) وقد اثنى الله سبحانه عليه في القرآن احسن الثناء ووصفه بأجمل الصفات ، من ذلك قوله تعالى (فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ، والليل اذا عسى ، والصبح اذا تنفس ، انه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين)^(٤٤) وقال تعالى في وصفه (علمه شذيد القوى ذو مرة^(٤٥) فاستوى)^(٤٦) أما ميكائيل فهو الملك الموكل بالقطر الذى به حياة الارض والنبات والحيوان^(٤٧) واما اسرافيل فهو الملك الموكل بالنفخ في الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم^(٤٨) ومن الملائكة الذين ورد ذكرهم في القرآن مالك خازن النار قال تعالى (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك)^(٤٩) كما ورد ذكره في الحديث الصحيح^(٥٠)

فهؤلاء وغيرهم ممن ورد ذكر اسمائهم في أحاديث ثبتت صحتها يجب الايمان بهم وبما نيظ بهم من الوظائف والاعمال واما الملائكة الذين لم يرد ذكرهم فيجب ان نؤمن بهم بصورة اجمالية ونؤمن بما ذكر من أصنافهم وأفعالهم في القرآن والسنة^(٥١) فنؤمن بالكرام الكاتبين الذين جعلهم الله علينا حافظين كما قال تعالى (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون)^(٥٢) وكما قال ايضا (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله)^(٥٣) وكما قال (أم يحسبون

(٤٢) اغانة اللهفان ج ٣ ص ١٢٢

(٤٣) البقرة - الايات ٩٥ ، ٩٦

(٤٤) التكوين - الايات ١٥ ، ٢١

(٤٥) المقصود بالمرء: صحة الجسم وسلامته من الافات والعامات - اغانة اللهفان ج ٢ ص ١٢

(٤٦) النجم - الايات ٥ ، ٦

(٤٧) اغانة اللهفان ج ٢ ص ١٢٢ اصول الايمان لمحمد بن عبد الوهاب ص ١٤

(٤٨) انظر المرجعين السابقين

(٤٩) الزخرف - الآية ٧٧

(٥٠) انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٦ ص ٣٤٢

(٥١) افرد الامام البخارى بابا خاصا لما ورد من الاحاديث الصحيحة في ذكر الملائكة وقد ذكر فيه ما يزيد عن ثلاثين حديثا - انظر صحيح البخارى مع فتح البار ج ٦ ص ٢٣٢

(٥٢) الانفطار - الايات ١٠ - ١٢

(٥٣) الرعد - الآية ١١

انا لانسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لذيهم يكتبون (٥٤) وقد ورد في بعض كتب التفسير انهم اثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الاعمال صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من امامه وواحد من ورائه فهو بين اربعة ملائكة (٥٥) وروى الامام مسلم والامام احمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالو : وايك يارسول الله ؟ قال : وايك لکن الله اعانى عليه ، فأسلم ، فلا يأمرنى الا بخير) (٥٦)

ونؤمن كذلك بملك الموت الموكل بقبض ارواح العالمين قال تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ، ثم الى ربكم ترجعون) ولم يصرح القرآن باسمه ولا الاحاديث الصحيحة وجاء في بعض الآثار تسميته بعزرائيل (٥٨) فالله اعلم

ونؤمن بحملة العرش الذين اخبر عنهم الله في القرآن فقال سبحانه (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) (٥٩) ومنهم اسرافيل الذى ينفخ فى الصور (٦٠)

ونؤمن كذلك بالملائكة الموكلين بالنار أعادنا الله منها - وهم الزبانية ، ومقدموهم تسعة عشر قال تعالى (وقال الذين فى النار لحزنه جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) (٦١) وقال تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون

الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (٦٢) وقال ايضا (عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) (٦٣) ونؤمن ايضا بالملائكة الموكلين بالجنات الذين يبيتون الضيافة لساكنيها من ملابس وماكل ومشارب ومصانع وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

أثر الايمان بالملائكة فى حياة الانسان :
تقدم أن الله سبحانه لم يطلعنا على شئ من غيبه الا وفيه نعمة عظيمة على الخلق وكان من فضله جلا وعلا علينا أن عرفنا بهذه المخلوقات الكريمة والايمان بها هو من الايمان بالغيب الذى وصف به المتقون قال

(٥٤) الزخرف - الآية ٨٠

(٥٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٩

(٥٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ١٥٧ ومعنى (اسلم) اى استسلم وانتقادل ولهذا قال (فلا يأمرنى الا بخير) وليس المقصود ان الشيطان آمن لان الشياطين لا تكون مؤمنة . وقد روى بعض الميم فيكون الضمير فيه عائدا الى النبي ﷺ اى اعانى عليه فأنا أسلم منه ولا يؤثر

على ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٩

(٥٧) السجدة - الآية ١١

(٥٨) اصول الايمان لمحمد بن عبد الوهاب ص ١٤

(٥٩) الحاقة - الآية ١٧

(٦٠) اصول الايمان ص ١٤

(٦١) غافر - الآية ٤٩

(٦٢) التحريم - الآية ٦

تعالى : (الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ^(٦٤)

وللايمان بالملائكة آثار عظيمة في حياة المؤمن :

منها : ان الله سبحانه جنبنا بما اطلعنا من امر هذه الارواح المؤمنة وأفعالها الوقوع في الخرافات والاهام التي وقع فيه من لا يؤمنون بالغيب ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الالهي ومنها : الاستقامة على امر الله عز وجل فإن من يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحى من الله ومن جنوده فلا يخالفه ولا يعصيه لا في العلانية ولا في السر اذ كيف له ذلك وهو يعلم ان كل شئ محسوب ومكتوب ومشهود عليه ومنها : الصبر ومواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى وعدم اليأس والشعور بالانس والطمأنينة فهذه المعاني من لوازم الايمان بالملائكة وما اخبر الله من أفعالها واحوالها : فعندما يضل الراكب عن الطريق وتسود الجاهلية الجهلاء ويصبح المؤمن غريبا في وطنه وبين اهله وقومه ويجد منهم الصدد والاستهزاء والتخذيل والتثبيط عن طاعة الله والاستقامة على امره في هذه الغربة يجد المؤمن انيسا ورفيقا يصحبه ويرافقه ويواسيه ويصبره ويطمأنه ويشجعه على مواصلة السير على درب

الهدى ، فهذه جنود الله معه: تعبد الله كما يعبد، وتتجه الى خالق السموات والارض كما يتجه وتبارك خطواته وتشهد من أزره وتذكره بالخير عند ربه فهو اذا ليس وحده في الطريق الى الله ولكنه يسير مع الراكب العظيم ومع الاكثرية من مخلوقات الله عز وجل : مع الملائكة الكرام ومع الانبياء عليهم السلام ومع السموات والارض فهو الاكثر رفيقا وهو الاقوى سندا فتجعله هذه المشاعر الصادقة صابرا مطمئنا لا يزيد صدود الناس الا ثباتا وجهادا

فانظر يا أخى كم انعم الله علينا بخلق الملائكة، كم انعم علينا بالايمان بهم مما له اشد الاثر في قلوبنا واعمالنا واستقامة حياتنا والايمان بهم تصديق لقرآن الله ولرسوله الصادق الامين عليه افضل الصلاة واتم السلام

الايمان بالانبياء والمرسلين

ومن أركان الايمان : الايمان بأنبياء الله ورسله

ومعناه : الايمان بمن سمي الله تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه، والايمان بأن الله عز وجل أرسل رسلا سواهم وانبياء لم يعلم عددهم واسماءهم الا الله تعالى الذى أرسلهم قال جل وعلا : (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصصهم عليك) ^(١) وقال تعالى : (وان من امة الا خلا فيها نذير) ^(٢) وقال ايضا : (ولكل امة رسول) ^(٣)

الانبياء والرسل ^(٤) المذكورون في القرآن

(٦٣) المدثر - الآية ٣١

(٦٤) البقرة - الايات ١ . ٢ . ٣

(١) عافر - الآية ٧٨

(٢) فاطر - الآية ٣٤

والمذكورون في القرآن الكريم من الانبياء والرسل خمسة وعشرون وهم : آدم ونوح وادريس وصالح وإبراهيم وهود ولوط ويونس وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وإيوب وشعيب وموسى وهارون واليسع وذو الكفل وداود وزكريا وسليمان والياس ويحيى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ، ووهبنا له اسحق ويعقوب ، كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وإيوب ويوسف وموسى وهرون ، وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين)^(٥) وورد ذكر الآخرين في مواضع من القرآن : قال تعالى : (والى عاد أخاهم هودا)^(٦)

وقال : (والى ثمود أخاهم صالحا)^(٧) وقال : (والى مدين أخاهم شعيبا)^(٨) وقال : (ان الله اصطفى آدم ونوحا)^(٩)

وقال : (وإسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين)^(١٠) وقال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)^(١١) فهؤلاء الرسل والانبياء يجب الايمان برسالتهم ونبوتهم تفصيلا ، بمعنى أن الانسان لو عرض عليه واحد منهم ، لم ينكر نبوته ، ولا رسالته ، ان كان رسولا ، فمن أنكر نبوة واحد منهم ، أو أنكر رسالة من بعث منهم برسالة ، كفر^(١٢)

وأما الانبياء والرسل الذين لم يقصهم القرآن علينا ، فقد أمرنا أن نؤمن بهم اجمالا . وليس لنا أن نقول برسالة احد من البشر أو نبوته مادام القرآن لم يذكره في عداد الانبياء والرسل ، ولم يخبرنا به رسول الله ﷺ

(٣) يونس - الآية ٤٧

(٤) النبي هو كل من أوحى اليه من الله تعالى سواء أمر بتبليغ غيره أم لم يؤمر فان لم يؤمر بالتبليغ فهو نبي وليس رسولا وان امر بالتبليغ فهو نبي ورسول وهكذا فان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ ، وشرح ملا على القاري على الفقه الاكبر ص ٦٠

(٥) الانعام - الآيات ٨٣ - ٨٦

(٦) هود - الآية ٥٠ ، الاعراف - الآية ٦٥

(٧) هود - الآية ٦١ ، الاعراف - الآية ٧٣

(٨) الاعراف - الآية ٨٥ ، هود - الآية ٨٤

(٩) آل عمران - الآية ٣٣

(١٠) الانبياء - الآية ٨٥

(١١) الفتح - الآية ٢٩

(١٢) غير أن العامي لا يحكم عليه بالكفر الا اذا كان انكاره بعد تعلمه - شرح البيهقوري على الجوهرة ص ٤٧

أولو العزم^(١٣) من الرسل :

وأولو العزم من الرسل ، كما ذكر كثير من العلماء خمسة هم : محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، ونوح ، وعيسى ، عليهم افضل الصلاة والسلام^(١٤) وقد ذكرهم الله تعالى في قوله : (واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم)^(١٥)

موضوع الرسالة :

ويجب علينا أن نؤمن بأن الله بعث رسله الى الخلق لتبشيرهم واندازهم ، تبشيرهم برضوان الله وثوابه وجنته ان آمنوا به وبرسله وأطاعوه ، واندازهم من غضب الله ان كفروا وعصوا قال عز وجل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا يخوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا يمسه العذاب بما كانوا يفسقون)^(١٦)

كما يجب علينا ان نؤمن بأن جميع هؤلاء الرسل بعثهم الله لتحقيق غرض أساسى واحد هو عبادة الله عز وجل ، وإقامة دينه ، وتوحيده في ربوبيته والوهيته وأسمائه وصفاته ، فقد قال سبحانه (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا انا فاعبدون)^(١٧) وقال ايضا : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)^(١٨) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)^(١٩) الواجب علينا نحو الرسل :

ويجب علينا تصديق رسل الله جميعا بعد الايمان بهم وبرسالتهم وأن لانفرق بينهم فمن فرق بين رسل الله فأمن ببعضهم وكفر بالآخرين أو صدق بعضهم وكذب بعضا كان من الكافرين بنص القرآن الكريم قال عز وجل (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا)^(٢٠)

(١٣) اصل العزم في الامر : الجِد والاجتهاد فيه انظر المصباح المنير وقد ورد في القرآن الاشارة الى ان من اهم خصال أولي العزم الصبر وتقوى الله قال تعالى : (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) ، ال عمران - الآية ٤٢ . وقال ايضا (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) - الاحقاف - الآية ٣٥ وقال ايضا : (ولقد عهدنا الى ادم من قبل فسي ولم نجد له عزما) - طه الآية ١١٥

(١٤) انظر الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢٢ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٩

(١٥) الاحزاب - الآية ٧

(١٦) الانعام - الايتان ٤٨ ، ٤٩

(١٧) الانبياء - الآية ١٥

(١٨) الشورى - الآية ١٣

(١٩) النحل - الآية ٤٠

(٢٠) النساء الايتان ١٥٠ ، ١٥١ وقال الامام الطبري عند قوله (يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ..) يعنى انهم يقولون نصدق هذا ونكذب بهذا كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى وعهدا ﷺ وتصديقهم بموسى وسائر الانبياء قبله بزعمهم وكما فعلت النصارى من تكذيبهم بمحمد ﷺ وتصديقهم بعيسى وسائر الانبياء قبله بزعمهم - انظر تفسير الطبري ج ٩ ص ٢٥٢

كما يجب علينا أن نؤمن بأن كل رسول أرسله الله أدى أمانته ، وبلغ رسالته على الوجه الاكمل وبينها بيانا واضحا شافيا كافيا

ويجب علينا طاعتهم وعدم مخالفتهم لان ذلك من طاعة الله سبحانه قال تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله)^(٢١) وقال ايضا (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)^(٢٢)

ويجب علينا ان نعتقد بأنهم أكمل الخلق علما وعملا ، وأصدقهم ، وأكملهم اخلاقا وان الله سبحانه خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها احد ، وانه عصمهم ونزههم عن الكذب والخيانة والكتمان والتقصير في التبليغ ، وعن الكبائر كلها والصغائر^(٢٣) وقد تقع منهم زلات وخطيئات اى عثرات بسيطة بالنسبة الى ما هم عليه من علو المقامات كما وقع لآدم عليه السلام في اكله من الشجرة على وجه النسيان^(٢٤) ولكنهم لا يقرون عليها بل يوفقون للتوبة منها

كما يجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله جميعا كانوا رجالا من البشر فلم يكونوا من الملائكة ولم يعث الله انشى قال تعالى (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم)^(٢٥)

ونؤمن ان الله سبحانه لم يخصصهم بطبائع اخرى غير الطبائع البشرية وانما اختارهم سبحانه من الرجال الذين يأكلون ويشربون ويمشون فى الاسواق وينامون ويجلسون ويضحون ولهم أزواج وذرية ، ويتعرضون للاذى ، وتمتد اليهم ايدى الظلمة ، وينالهم الاضطهاد وانهم يموتون قد يقتلون بغير حق وانهم يتألمون ويصيبهم المرض وسائر الاعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية بين الخلق. وقد دل على ذلك كثير من النصوص منا قوله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب

على عقبيه فلن يضر الله شيئا)^(٢٦) وقوله تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق)^(٢٧) وقوله تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية)^(٢٨) وقوله تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام)^(٢٩)

(٢١) النساء - الآية ٨٠

(٢٢) النساء - الآية ٦٤

(٢٣) انظر الفقه الاكبر وشرحه لملا على القارى ص ٥٦

(٢٤) انظر الفقه الاكبر لآى حنيفة وشرحه لملا على القارى ص ٥٧ وشرح العقائد النفسية ص ٤٦٧

(٢٥) الانبياء - الآية ٧

(٢٦) آل عمران - الآية ١٤٤

(٢٧) الفرقان - الآية ٢٠

(٢٨) الرعد - الآية ٢٨

(٢٩) المائدة - الآية ٧٥

(٣٠) أخرجه البخارى فى أول كتاب النكاح

وقد قال رسول الله ﷺ: (ولكنى أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء)^(٣١) وكان ﷺ يمرض ويتألم وكان يصيبه الحر والبرد والجوع والعطش والغضب والضجر والتعب ونحو ذلك مما لانقص عليه فيه^(٣٢) ونؤمن انهم لا يملكون شيئا من خصائص الالهية فلا يتصرفون في الكون ولا يملكون النفع او الضرر ولا يؤثران في ارادة الله تعالى ولا يعلمون الغيب الا ما اطلعهم الله عليه قال تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)^(٣٣) وقال ايضا (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول)^(٣٤) وانما خصهم الله عز وجل بمؤهلات من المزايا والفضائل والأخلاق تؤهلهم لتلقى الوحي ، والاضطلاع بأعباء الرسالة ليكونوا قدوة للناس وأسوة يقتدى بهم في أمور الدين والدنيا فيجب علينا ان نؤمن بأن رسل الله معصومون عن اية نقيصة تقدر في دينهم وطاعتهم لله جل وعلا او في مقدرتهم على تبليغ الرسالة التي حملوها^(٣٥) فقد قال سبحانه في حقهم (اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . اولئك الذي هدى الله فبهداهم اقتده)^(٣٦) فهم قد كملهم الله سبحانه في الامانة والصدق والفظانة والتبليغ وغيرها من الاخلاق التي لا بد منها للقيام بالحمل الذي حملهم الله اياه، وبالمسؤولية التي اناطها بهم وقد شهد الله تعالى لهم بالصدق فقال عز شأنه عن اسماعيل عليه السلام : (انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا)^(٣٧) وقال عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا)^(٣٨) الى غير ذلك من الآيات الربانية التي شهدت لهم بالصدق والهدى ويجب علينا أن نؤمن بأن الله سبحانه أيدهم بالمعجزات الباهرات، والآيات الظاهرات الدالة على صدقهم فيما جاءوا به من عند ربهم تبارك وتعالى ، والمعجزات هي ما يجريه الله على ايدي رسله وانبيائه من خوارق العادات التي يتحدون بها العباد^(٣٩) فنؤمن بكل ما ذكر في القرآن الكريم منها وبما وردت فيه الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ وهذا القدر من المزايا يتساوى فيه جميع من اصطفى الله من الرسل، ونؤمن مع هذه المماثلة ان الله

(٣١) يظهر ذلك جليا من دراسة سيرته عليه الصلاة والسلام وقد افردت مصنفات وكتب جليلة في شمائله ﷺ واخباره واحواله - انظر مثلا

كتاب الترمذي (الشمائل النبوية) وكتاب (الوفا بأحوال المصطفى) لابن الجوزي وغيرها

(٣٢) الاعراف - الآية ١٨٨

(٣٣) الجن - الايتان ٢٦ ، ٢٧

(٣٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣ ص ٥٣

(٣٥) الانعام - الايتان ٨٩ ، ٩٠

(٣٦) مريم - الآية ٥٤

(٣٧) مريم - الآية ٤١

(٣٨) انظر لمع الادلة لامام الحرمين ص ١١٠

فضل بعضهم على بعض لقوله عز من قائل (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض : منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم اليينات وأيدناه بروح القدس)^(٣٩) ونؤمن أن افضلهم وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا محمد بن عبد الله ﷺ وقد فسر بعض السلف قوله تعالى (ورفع بعضهم درجات) بأنه سيدنا محمد ﷺ^(٤٠) وفي ذلك أحاديث صحيحة ، ومنها ما صبح عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال (انا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول

مشفع)^(٤١) وما رواه وائلة بن الاسقع رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم)^(٤٢) فهذه الاحاديث وغيرها تدل بوضوح على أن محمدا بن عبد الله ﷺ هو افضل الخلق كلهم^(٤٣)

الايان بمحمد ﷺ :

ويجب علينا أن نؤمن بأن محمد بن عبد الله ﷺ نبي الله ورسوله وعبد ووصفيه ، ولم يعبد صنما ولم يشرك بالله طرفة عين قط ولم يرتكب ولا كبيرة قط^(٤٤)

ونؤمن انه خاتم الانبياء لما ورد في كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ فأما القرآن فقد قال سبحانه (ولكن رسول الله وخاتم النبيين)^(٤٥) وأما السنة فقد قال ﷺ (مثل ومثل الانبياء كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وجهه الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة وانا خاتم النبيين)^(٤٦) وقال ايضا : (انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحي بي الكفر

(٣٩) البقرة - الآية ٢٥٢

(٤٠) انظر تفسير الطبري ج ٥ ص ٣٧٨

(٤١) أخرجه الامام مسلم وغيره: انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٣٧ ، ٣٨

(٤٢) أخرجه الامام مسلم والترمذي ، وقال عنه حديث حسن صحيح - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ٢٦ والترمذي بشرح ابن

العرى المالكي ج ١٣ ص ١٠٢ - ١٠٣

(٤٣) واما ما ورد عن رسول الله ﷺ انه قال (لا تفضلوني على موسى) وهو حديث متفق عليه فالجواب عليه ان المذموم الذي نهي عنه الرسول

عليه الصلاة والسلام هو التفضيل على وجه الفخر أو على وجه الانتفاص بالمفضل فان الحديث المذكور كان له مسبب يدل على هذا فانه كان قد

قال يهودى : لا والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه مسلم ، وقال : اتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا فجاء اليهودى واشتكى من

المسلم الذي لطمه فقال النبي ﷺ هذا - وعمل هذا يحمل ايضا قوله ﷺ (لا تفضلوا بين أنبياء الله) - انظر صحيح مسلم بشرح النووي

عليه ج ١٥ ص ٣٧ ، ١٢٠ وشرح المفيدة الطحاوية ص ١٧١ (٤٤) انظر الفقه الاكبر مع شرحه لملا على القارى ص ٥٩ - ٦١

(٤٥) الاحزاب - الآية ٤٠

(٤٦) متفق عليه واللفظ لمسلم - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٥١

وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبى^(٤٧) وأنا العاقب ، والعاقب ليس بعده نبي^(٤٨) ونعتقد اعتقادا جازما انه لانبوة بعده ﷺ ، وان كل من ادعاها بعده فهو كذاب ، قال رسول الله ﷺ (وانه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعده)^(٤٩)

كذلك يجب ان نؤمن بأنه عليه الصلاة والسلام أمام المتقين ، الذى يقتدى به في الخير كله ، وانه وحده الجدير بالافتداء والتأسي به دون غيره قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(٥٠) وقال ايضا (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حربا مما قضيت ، ويسلموا تسليما)^(٥١)

كما نؤمن انه عليه الصلاة والسلام حبيب الرحمن ، وان له اعل مرتبة محبة الله عز وجل ، وهى الخلعة ، فقد قال رسول الله ﷺ (لو كنت متخذًا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه اخي وصاحبي وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا)^(٥٢)

كما يجب ان نعتقد أنه مبعوث الى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى : فقد حكى الله سبحانه في القرآن قول الجن : (يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم ذنوبكم ويمحرمكم من عذاب أليم)^(٥٣)

وأما أنه صلوات الله وسلامه عليه مبعوث للناس جميعا ، فقد قال سبحانه وتعالى في ذلك : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)^(٥٤) وقال : (قل: يا أيها الناس الى رسول الله اليكم جميعا)^(٥٥) وقال ايضا (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)^(٥٦) وقال ﷺ (فضلت على الانبياء بست : اعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الفنائم ، وجعلت لى الارض طهورا ومسجدا ، وارسلت الى الخلق كافة ، وختم لى النبيون)^(٥٧) قال شارح العقيدة

(٤٧) ورد فى رواية اخرى (يحشر الناس على قدمي) ومعناها : يحشرون على الثرى وزمان نبوتى وليس بعدى نبي وقيل : يتبعون - انظر شرح

النوى على صحيح مسلم ج ١٥ ص ١٠٥

(٤٨) متفق عليه واللفظ لمسلم - انظر صحيح مسلم بشرح النوى ج ١٥ ص ١٠٤

(٤٩) اخرجه مسلم - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٨

(٥٠) ال عمران - الآية ٣١

(٥١) النساء - الآية ٦٥

(٥٢) صحيح مسلم بشرح النوى ج ١٥ ص ١٥٢

(٥٣) الاحقاف - الآية ٣١

(٥٤) سبأ - الآية ٣٨

(٥٥) الاعراف - الآية ١٥٧

(٥٦) الفرقان - الآية ١

(٥٧) متفق عليه واللفظ لمسلم - انظر مسلم بشرح النوى ج ٥ ص ٥ هذا وقد ذكر ابن الجوزى كثيرا مما فضل به محمد ﷺ على عدد من

الانبياء والرسل فى اخر الجزء الاول من الوفا بأحوال المصطفى

الطحاوية (وكونه ﷺ مبعوثا الى الناس كافة معلوم من دين الاسلام بالضرورة)^(٥٨)
 ويجب علينا ان نقدم محبته على الوالد والولد والنفس^(٥٩) عن علي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول
 الله ﷺ (لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين)^(٦٠) وعن عبد الله بن
 هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر : يا رسول
 الله لانت أحب الى من كل شئ الا نفسي . فقال ﷺ (لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك
 من نفسك) قال عمر : فأنت الآن والله احب الي من نفسي فقال النبي ﷺ (الآن يا عمر)^(٦١)
 كذلك يجب علينا أن نؤمن بأن الله جل وعلا قد أيدته بالمعجزات الدالة بيقين على صدقه ﷺ في
 كل ما جاء به وأن القرآن العظيم معجزته الباهرة ، تحدى به العالمين ، فعجزوا عن الاتيان بمثله ، أو بمثل
 بعض منه ، قال تعالى : (وان

كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم ، من دون الله ، ان كنتم
 صادقين ، فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)^(٦٢)
 ونؤمن بأن الله عز وجل أيدته بالمعجزات الحسية ، المذكورة في الاحاديث الصحيحة مثل انشقاق القمر
 وتسليم الحجر عليه وحنين الجذع اليه ونبوع الماء من بين اصابعه واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل
 وشهادة الشاة المشوية أمامه واطلال السحاب له قبل مبعثه وما كان من حال الى جهل وصخرته حين
 اراد ان يضربها على رأسه ، وما كان من شاة ام معبد حين مسح يده المباركة على ضرعها ، ورميته التراب
 في وجوه المشركين ، واصابتهم به ، واخباره بالمغيبات التي وقعت كما اخبر عليه الصلاة والسلام
 واستجابة الله سبحانه لدعائه ، وعصمته من القتل ، وغير ذلك مما الفت فيه الكتب ، وصنفت فيه
 المصنفات الواسعة)^(٦٣)

وقد ورد في معجزاته الحسية اخبار كثيرة ، بعضها متواتر وكثير منها مشهور وهي مجموعها تفيد العلم
 اليقيني بوقوع تلك المعجزات اولا وبصدق هذا الرسول صلوات الله وسلامه عليه^(٦٤)
 كما نؤمن ان الله سبحانه قد أيدته بالحجج البالغة ، والادلة الظاهرة الماثلة في ذاته وصفاته واخلاقه

(٥٨) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٨

(٥٩) انظر الوفا بأحوال المصطفى ج ١ ص ٣٨٢

(٦٠) متفق عليه انظر صحيح البخارى ج ١ ص ٤٩ وصحيح مسلم بشرح النووي ص ١٥

(٦١) أخرجه البخارى في كتاب الايمان والنذور

(٦٢) البقرة - الايتان ٢٣ ، ٢٤

(٦٣) تجرد هذه المعجزات وغيرها من دلائل نبوة محمد ﷺ في كثير من كتب السيرة ، والحديث كما افرد البخارى بابا لذلك سماه (باب
 علامات النبوة) وكذلك صنع مسلم بن الحسن القشيري في باب (معجزات الرسول ﷺ) وافرد لها بعض العلماء مؤلفات خاصة
 مثل : كتاب (دلائل النبوة) للام ابى نعمي احمد بن عبد الله الاسهبالي صاحب حلية الأولياء ، وكتاب (اعلام النبوة) لابي الحسن
 علي بن محمد الماوردي ، وكتاب (دلائل النبوة) للبيهقي ، وكتاب (الوفا بأحوال المصطفى) لابن الجوزي

(٦٤) انظر : الوفا بأحوال المصطفى ج ١ ص ٣٣٩

فنؤمن ان الله عز وجل حباه خلقه وصورة يحكم المتفرس فيها بأنها دالة على نبوته ، وصدقه عليه الصلاة والسلام^(٦٥) وما أحسن قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لو لم يكن فيه آيات مبينه * * * كانت بديته تأتيك بالخبر

ونؤمن بأن الله سبحانه وتعالى حباه اخلاق القرآن كلها مما يدل على صدق وتأيد الله له : فما سمع احد منه كذبا لا في امور الدين ولا في امور الدنيا ولا قبل البعثة ولا بعدها ولو صدر عنه شئ من ذلك مرة واحدة لاجتهد اعداؤه في نشره واظهاره وما فعل فعلا قبيحا أو متفرا، لا قبل النبوة ولا بعدها ، وما فر من أحد من أعدائه مهما عظم الخوف واشتد الامر يوم أحد ويوم الاحزاب ، وكان عظيم الرحمة بامته ، حتى خاطبه ربه تبارك وتعالى بالتخفيف من ذلك ، كما قال تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات)^(٦٦) وقال ايضا : (عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)^(٦٧) وكان في أعظم درجات الكرم والسخاء وكان زاهدا في الدنيا قانعا باليسير منها لا يدخر شيئا ، وكان في غاية الفصاحة ، واعطى جوامع الكلم ، وكان حليما صفوحا ، لا يفضب الا الله تعالى ، متواضعا للمؤمنين ، عابدا لله ، مجاهدا في سبيله متوكلا عليه ، وقد ظل عليه صلوات الله وسلامه على صفاته واخلاقه الربانية من أول عمره الى آخره ما غير ولا بدل ، وهذا ما أشار اليه تعالى في قوله (وما أنا من المتكلفين)^(٦٨) والمتكلف لا يمكنه الثبات على ذلك طوال عمره، وقد كان في هذه الخصال وغيرها من الاخلاق الكريمة ، في كل واحدة منها في الغاية القصوى من الكمال ولا يتفق ذلك لاحد من الخلق ، غير أولئك الذين عصمهم الله تعالى ، فكان اجتماع هذه الصفات والاخلاق له عليه الصلاة والسلام من أعظم دلائل نبوته^(٦٩)

ولهذا فانا نجد كثيرا من العقلاء قد حكموا بصدقه عليه الصلاة والسلام ، لما يعرفونه من أخلاقه ، وصدقه ، وسيرته العطرة : فهذه خديجة رضى الله تعالى عنها ، لما كانت تعلم من النبي ﷺ أنه الصادق الأمين ، فعندما أخبرها بما لقيه من الوحي ، وقال لها (اني خشيت على نفسي) قالت (كلا والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق)^(٧٠)

(٦٥) انبار الحق على الخلق ص ٨٠

(٦٦) فاطر - الآية ٨

(٦٧) التوبة - الآية ١٢٨

(٦٨) ص - الآية ٨٦

(٦٩) انظر انبار الحق على الخلق ص ٨٠

(٧٠) انخرجه البخارى - انظر : صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١ ص ٢٠

وكذلك هرقل ملك الروم ، فان النبي ﷺ لما كتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ، طلب من كان في بلاده من العرب ، وكان أبو سفيان في طائفة من قريش في تجارة الى بلاد الشام فاستدعاهم هرقل الى مجلسه ، وحوله عظماء الروم ودعا بترجمانه وشرع يسألهم عن أحوال النبي ﷺ فيصل بعد ماسمع منه الى نتيجة قاطعة : وهى أنا ماسمع من أحوال محمد ﷺ وصفاته وسيرته فيهم لتدل على صدقه فيما جاء به وانه نبي مرسل ومن المفيد في هذا المقام ان ثبت هذا الحوار الذى دار بين هرقل وأبي سفيان كما نقله امام المحدثين واميرهم البخارى في صحيحه لما فيه من العظة والعبرة والدليل على أن رسولنا الكريم عليه افضل الصلوة وأتم التسليم قد أنعم عليه ربه تبارك وتعالى بالحجج البالغة والبراهين القاطعة على صدقة الماثلة في اخلاقه وصفاته واحواله فضلا عما ايده به من القرآن العظيم والمعجزات الباهرة : فقد قال البخارى رحمه الله تعالى (حدثنا ابو اليمان الحكم بن نافع قال : اخبرنا شعيب عن الزهرى ، قال : اخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس اخبره ان أبا سفيان بن حرب اخبره أن هرقل أرسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة^(٧١) التى كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بأيلياء ، فدعاهم في مجلسه ، وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا بترجمانه

فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم انه نبي ؟ فقال أبو

سفيان : فقلت أنا اقربهم نسبا

فقال : أدنوه مني ، وقربوا اصحابه ، فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه : قل لهم ، اني سائل هذا عن هذا الرجل ، فان كذبتى فكذبوه - فوالله لولا الحياء من أن يأتروا على كذبا لكذبت عنه^(٧٢) - ثم كان أول ما سألتى عنه أن :

قال : كيف نسبه فيكم

قلت : هو فينا ذو نسب

قال : فهل قال هذا القول منكم احد قط قبله ؟

قلت : لا

قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟

قلت : لا

قال : فاشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم

قلت : بل ضعفاؤهم .

قال : ايزيدون ام ينقصون ؟

قلت : بل يزدون

(٧١) معنى مدة صلح الحديبية

(٧٢) الكلام لابي سفيان

قال : فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟
قلت : لا
قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال ؟
قلت : لا
قال : فهل يغدر ؟
قلت : لا ، ونحن منه في مدة لاندرى ماهو فاعل فيها
قال أبو
سفيان : ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة
قال
هرقل : فهل قاتلتموه ؟
قلت : نعم
قال : فكيف كان قتالكم اياه ؟
قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه
قال : ماذا يأمركم ؟
قلت : يقول اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة
فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه ، فذكرت انه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك : هل قال احد منكم هذا القول ، فذكرت لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت : رجل يأتي بقول قبله ، وسألتك هل كان من آباءه من ملك ، فذكرت أن لا ، قلت : لو كان من آباءه ملك قلت : رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل ، وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الايمان حتى يم ، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك : هل يغدر ، فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك : بم يأمركم ، فذكرت أنه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت اعلم انه خارج ، لم أكن اظن انه منكم ، فلو اني اعلم اني اخلص اليه ، لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه^(٧٢)

(٧٢) انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١ ص ٢٦-٣١

الايان بكرب الله عز وجل

ومن أركان الايمان ان نؤمن بالكرب التي انزلها الله على انبيائه ورسله ، فكما أن الله عز وجل قد انزل القرآن على محمد ﷺ فقد انزل كربه من قبل على سائر الرسل ومن هذه الكرب ما سماه الله لنا في القرآن الكريم ، ومنها ما لم يسم ، والذي اخبرنا به عز وجل منها :

١ - التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام ، حيث قال سبحانه : (أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار ، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء)^(١)

٢ - والانجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام ، حيث قال تعالى : (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)^(٢)

٣ - والزبور الذي نزل على داود عليه السلام قال تعالى (وآتيناه داود زبوراً)^(٣)

٤ - والصحب التي انزلها الله على ابراهيم وموسى ، التي اخبر عنها الله تعالى بقوله : (أم لم ينبا بما في صحف موسى ، وابراهيم الذي وفى ، الا تزرر وازرة وذر اخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاولى ، وان الى ربك المنتهى)^(٤) ويقول ايضا (قد افلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصل ، بل تؤثرن الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى . ان هذا لفي الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى)^(٥)

واما الكرب الاخرى التي نزلت على سائر الرسل ، فلم يخبرنا الله تعالى عن اسمائها ، وانما اخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه ، فقال : (كان الناس امة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)^(٦)

فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكرب التي لم تسم اجمالا ، ولا يجوز لنا ان ننسب كتابا الى الله تعالى سوى ما نسبته الى نفسه مما اخبرنا عنه في القرآن الكريم

كما يجب أن نؤمن بأن هذه الكرب نزلت بالحق والنور والهدى ، وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته والوحيته واسمايته وصفاته ، وأن ما نسب اليها مما يخالف ذلك انما هو من تحريف البشر وصنعهم ، قال تعالى عن التوراة : (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور)^(٧) وقال تعالى عن الانجيل : (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)^(٨)

(٥) الاعلى - الايات ١٤ - ١٩

(٦) البقرة - الاية ٢١٣

(٧) المائدة - الاية ٤٤

(٨) المائدة - الاية ٤٦

(١) المائدة - الاية ٤٤

(٢) المائدة - الاية ٤٦

(٣) الاسراء - الاية ٥٥

(٤) النجم - الايات ٣٦ - ٤٢

وينجب علينا أن نؤمن بأن القرآن العظيم هو آخر كتاب نزل من عند الله تعالى وأن الله عز وجل قد خصه بمزايا تميزها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة من أهمها :

١ - أنه تضمن خلاصة التعاليم الالهية ، وجاء مؤيدا ومصدقا لما جاء في الكتب السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته ، وجمع كل ما كان متفرقا في تلك الكتب من الحسنات والفضائل ، وجاء مهيمنا ورقيبا ، يقر ما فيها من حق ، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير قال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)^(٩) وأنه جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الدارين ، نسخ بها جميع الشرائع العملية الخاصة بالاقوام السابقة وأثبت فيها الاحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان

٢ - ان القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه فقال عز من قائل : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)^(١٠) وقال ايضا : (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد)^(١١)

وهذه مزية متفرعة عن مزية اخرى ، وهي ان القرآن انزله الله على رسوله محمد ﷺ للناس كافة وليس خاصا بقوم معينين كما كانت تنزل الكتب السابقة ، فكان حفظه من التحريف ، وصيانته من عبث الناس ، ليبقى مافيه حجة الله على الناس ، قائمة حتى يرث الله الارض ومن عليها

وأما الكتب الاخرى ، فقد وجه الكلام في كل واحد منها الى امة خاصة دون سائر الامم وهي وان اتفقت في اصل الدين ، الا ان ما نزل فيها من الشرائع والاحكام كان خاصة بأزمنة معينة وأقوام معينين قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)^(١٢) لذلك لم يتعهد الله سبحانه بحفظ أى منها على مدى الازمان كما هو الحال بالنسبة للقرآن بل اخبر عز وجل في اخر كتبه عن التحريف الذى وقع على تلك الكتب : فعن التحريف والتغيير الذى أدخله اليهود على التوراة قال سبحانه (أفنطمعون أن يؤمنوا لكم) ، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون)^(١٣) وقال ايضا (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه)^(١٤)

وأما عن التحريف الذى أدخله النصارى على الانجيل قال تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم ، فنسوا حظا مما ذكروا به ، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء ، الى يوم القيامة ، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون . يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)^(١٥)

(٩) المائدة - الآية ٤٨

(١٠) الحجر - الآية ٩

(١١) فصلت - الايتان ٤١ - ٤٢

(١٢) المائدة - الآية ٤٨

(١٣) البقرة - الآية ٧٥

(١٤) النساء - الآية ٤٦

(١٥) المائدة - الايتان ١٤ ، ١٥

هذا ومن التحريفات التي أدخلها اليهود والنصارى في دينهم ما زعمه اليهود من أن العزيز ابن الله سبحانه ، وما زعمه النصارى أن المسيح ابن الله قال تعالى (وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله انى يؤفكون)^(١٦)

فصح لهم القرآن هذا الانحراف الذى صنعوه بأنفسهم ، فبين لهم ان الله سبحانه منزّه عن ان يكون له ولد ، فقد تعالى (قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد)^(١٧) وقرر أن الرسل جميعا بشر ، خصهم الله بالوحى ، وبما يؤهلهم لتلقيه وتبليغه للناس ، فقال سبحانه مخاطبا رسوله ﷺ (قل ، انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الحكم اله واحد)^(١٨)

ومن التحريف الذى اقترفه النصارى ، واخبرنا به الله عز وجل في القرآن الكريم ما أدخله على حقيقة النبوة ، من تأليه جماعة منهم لعيسى ابن مريم ، وقول بعضهم بالتثليث ، قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم)^(١٩) وقال ايضا : (لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد)^(٢٠) فجاء القرآن الكريم ، وبين هذا التحريف وبين العقيدة السليمة من عيسى واهله ، فقال تعالى : (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر انى يؤفكون)^(٢١)

والحق الذى لا يمارى فيه منصف انه لا يوجد اليوم على ظهر الارض كتاب تصلح نسبته الى الخالق تبارك وتعالى سوى القرآن الكريم ، يدل على هذه الحقيقة ادلة حسية فضلا عما اخبر به القرآن عن التحريف الواقع في الكتب الموجودة من هذه الادلة :

أ - ان الكتب التى نزلت قبل القرآن ، قد ضاعت نسخها الاصلية ، ولم يبق في ايدي الناس الا تراجمها ، اما القرآن فانه لا يزال محفوظا بسوره وآياته وكلماته وحركاته كما تلاه جبريل على رسول الله ﷺ وكما تلاه رسول الله ﷺ على صحابته رضوان الله عليهم^(٢٢)

ب - أن هذه الكتب قد اختلط فيها كلام الله بكلام الناس : من تفسير وتاريخ وسير الانبياء وتلاميذهم ، واستنباطات الفقهاء ، فلا يعرف فيها كلام الله من كلام البشر ، وأما القرآن فهو جميعه كلام الله تعالى ، ولم يختلط به غيره من حديث الرسول ﷺ أو أقوال الصحابة أو

(١٦) التوبة - الآية ٣٠

(١٧) سورة الانخلاص

(١٨) الكهف - الآية ١١٠

(١٩) الكهف - الآية ٧٢

(٢٠) المائدة - الآية ٧٣

(٢١) المائدة - الآية ٧٥

(٢٢) مبادئ الاسلام . المرددى ص ٧٧

غيرهم^(٢٣) قال ابو الوفا على بن عقيل : (اذا اردت ان تعلم ان القرآن ليس من قول رسول الله ﷺ انما هو ملقى عليه ، فانظر الى كلامه كيف يمتاز عن القرآن وتلمح ما بين الكلامين والأسلوين ومعلوم ان كلام الانسان يتشابه ، وما للنبي ﷺ كلمة تشاكل القرآن)^(٢٤) وقال ايضا (ومن اعجاز القرآن انه لا يمكن احد ان يستخرج منه اية قد اخذ معناها من كلام قد سبق فانه مازال الناس يكشف بعضهم عن بعض ، فيقال مثلا المتنبي اخذ من البحترى)^(٢٥) ج - ان تلك الكتب ليس منها كتاب تصح نسبه الى الرسول الذي ينسب اليه فليس لاي منها سند تاريخي موثق فالاسفار الموجودة ضمن ما يسمى بالعهد القديم ويطلق عليه التوراة انما دونت بعد موسى عليه السلام بقرون عديدة يقول محمد فريد وجدى نقلا عن دائرة معارف لاروس ماخلاصته (العلم العصري ولاسيما النقد الالماني اثبت بعد اجداث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات ان التوراة لم يكتبها موسى عليه السلام وانها عمل احبار لم يذكروا اسمهم ، الفوها على التعاقب ، معتمدين في تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل اسر بابل ، بل ذهب بعض العلماء الى ان هذه الاسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الاسرائيلية ولكنها تحتوى على اشارات ورموز وحكايات)^(٢٦)

واما القرآن العظيم فهو الكتاب الوحيد الذي ثبتت نسبه بصورة قطعية الى الرسول الذي أوحى اليه ، وهو محمد ﷺ فقد نقل هذا الكتاب بسورة واياته وطريقة ترتيبها وكيفية تلاوته الى كل عصر جاء بعد عصر نزوله بالتواتر ، بحيث لايشك في ان القرآن الذي نزلوه هو الذي نزل الله على رسوله الكريم ﷺ^(٢٧) ومن الادلة على وقوع التحريف في تلك الكتب تعدد نسخها واختلافها فيما نقلته من الاقوال والآراء^(٢٨)

ومن القرائن القاطعة على وقوع التحريف في هذه الكتب ماتضمنته من العقائد الفاسدة والتصورات الباطلة عن الخالق سبحانه وعن رسله الكرام عليهم السلام فانك تجد فيها تشبيه الخالق بالانسان والقدح بالانبياء بما يمس شرفهم ويتنافى مع عصمتهم^(٢٩)

(٢٣) المرجع السابق

(٢٤) انظر : الوفا بأحوال المصطفى ج ١ ص ٢٧٠ (٢٦) انظر : العقائد الاسلامية لنديم الملاح ص ٥٧

(٢٥) المرجع السابق (٢٧) مبادئ الاسلام - المودودي ص ٧٨

(٢٨) انظر العقائد الاسلامية - سيد سابق ص ١٦٨ فقد جاء فيها ، ويكفى لحصر التدليل على التحريف في الاناجيل المتداولة بأهذى النصرارى الان انها أربعة اختيرت من نحو سبعين انجيلا ، وهذه الاناجيل تناولت الكتابة عن سيرة سيدنا عيسى عليه السلام ، ومؤلفوها معروفون ، وأسماءهم مكتوبة عليها وقد قرر نقاد المسيحيين أنفسهم أن عقائد الاناجيل هى رأى بولس دون سائر الحوارين . ودون أقرب الأقربين الى عيسى . وقد وجد فى مكتبة أمير من الأمراء فى باريس نسخة من انجيل برنابة . وقد طبعت مطبعة المنار بعد ترجمته الى العربية وهو يخالف الاناجيل الاربعة مخالفة كبيرة .

(٢٩) من ذلك ما جاء فى التوراة المتداولة فى سفر التكوين ٢٢/٣ ، فيه (وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا ، عارفا بالخير والشر) وفيه ايضا (فحزن الرب انه عمل الانسان وتأسف فى قلبه) وما جاء فيه ايضا مما يمس شرف الانبياء ويتنافى مع عصمتهم ما قالوه عن ابراهيم عليه السلام انه كذاب .. وان لوطا زنى بابنتيه . وان هارون دعا الاسرائيليين الى عبادة العجل . وان داود زنا ، وأن سليمان عبد الاصنام ارضاء لزوجته ، فهل ثم دليل على التحريف اقوى من هذا - نقلا عن العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ١٦٧

وازاء هذا التحريف والتغيير الذى طرأ على الكتب السابقة فان الايمان بها يكون بالتصديق انها من عند الله فى اساسها نزلها على رسله لنفس الغرض الذى انزل من اجله القرآن ، ولا نؤمن بشئ من محتوياتها انه من عند الله الا بما ذكره القرآن فيجب علينا أن نؤمن بأنه كلام الله الخالص ، وهو الحق ، وان كل لفظ فيه محفوظ ، ويجب اتباع امره ، واجتناب نهيه ، وتصديق خبره ، ورفض ما يخالفه .

الايمان باليوم الآخر

ومعناه بصورة اجمالية : الايمان بكل ما اخبر به الله عز وجل فى كتابه واخبر به رسوله ﷺ مما يآخرون بعد الموت من فتنه القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار وما اعد الله تعالى لاهلهما جميعا .

اهتمام القرآن بهذا الركن وحكمته

ولقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر واهتم بتقريره فى كل موقع ونبه اليه فى كل مناسبة واكد وقوعه بشتى الاساليب العربية

ومن مظاهر هذا الاهتمام بهذا اليوم العظيم فى كتاب الله انه كثيرا ما ربط الايمان به بالايمان بالله عز وجل ومن امثلة ذلك : قوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر)^(١) وقوله تعالى : (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)^(٢) وقوله تعالى (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر)^(٣) وقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر)^(٤) وقوله تعالى (اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض)^(٥) وأمثال هذه الايات كثير جدا فى كتاب الله عز وجل

ومن مظاهره ايضا اكثار القرآن من ذكر اليوم الآخر حتى انك لاتكاد تمر على صحيفة من صحائف القرآن الا وتجده فيها حديثا عن اليوم الآخر وما سيكون فيه من الاحداث والاحوال بأساليب كثيرة ومتنوعة كذلك تجد القرآن يفصل احوال ذلك اليوم تفصيلا قلما تجده فى امور الغيب الاخرى

ومن مظاهره ايضا كثرة ماسماه الله من الاسماء التى يدل كل واحد منها على ماسيقع فيه من الاحوال فمن اسمائه فى القرآن : القيامة والساعة ، والآخرة ، ويوم الدين ، ويوم الحساب ، ويوم الفتح ، ويوم التلاق ، ويوم الجمع ، ويوم التغابن ويوم الخلود ، ويوم الخروج ، ويوم الحسرة ، ويوم التناد ، والآفة ، والطامة ، والصاخة ، والحاقة ، والغاشية ، والواقعة وغيرها^(٦)

(١) البقرة الآية ١٧٧

(٢) البقرة - الآية ٦٢

(٣) البقرة - الآية ٢٣٢

(٤) التوبة - الآية ٢٩

(٥) العنكبوت - الآية ٢٦

(٦) انظر: العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ٢٦١ - ٢٦٤

وأما حكمة ذلك الاهتمام البالغ بهذا الركن فمنها :

أن الإيمان باليوم الآخر له اثر عظيم في حياة الانسان ، ذلك أن الإيمان به وبما فيه من جنه ونار وحساب وعقاب وثواب وفوز ، وخسران له اشد الاثر في توجيه الانسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل ، وشتان ما بين اثنين : احدهما لا يعتقد بيعث ولا حساب على اعماله واقواله ، ولا يفيد غير مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية ، واخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الانسان على اعماله واقواله امام عادل العادلين فيثاب على الخير ، ويعاقب على الشر ، فالأول تفلت من أى ضابط سوى هواه وشهوته ، والغاية عنده غاية انانية تبرر أية وسيلة وأى خلق وأى عمل ، مهما كان ضرره ، والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح ، وهى الامور التى لها وزن واعتبار عند الله في ذلك اليوم كما قال تعالى (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون)^(٧)

ويشير الى هذه الحكمة اسلوب القرآن في الربط بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح في كثير من الاحيان ، من ذلك قوله تعالى : (أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين)^(٨) وقوله عز وجل : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)^(٩) وقوله ايضا (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون)^(١٠) وقوله تعالى (لا تعبد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)^(١١) وقوله (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لم كان يرجو الله واليوم الآخر)^(١٢) وقوله (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)^(١٣) وقوله (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ، وهم على صلاتهم يحافظون)^(١٤) وغيرها كثير

فانه لما كان الانسان مفطورا على طلب المصلحة لنفسه ودفع المفسدة عنها كان الإيمان باليوم الآخر مقويا للوازع النفسى عنده ذلك الوازع الذى يرغب في الخير ويصد عن الشر . ولذلك كانت عناية القرآن بكثرة التذكير به والتفنن في تصويره حتى يتعمق ذلك الوازع في قلب المؤمن ويشدد تأثيره ولعل من حكمة الاهتمام البالغ بالتذكير باليوم الآخر كثرة نسيان العباد له ، وغفلتهم عنه ، بسبب تشاغلهم الى الارض ، وحبهم لمتاع الدنيا ، فيكون الإيمان به وبما فيه من عذاب ونعيم مخففا من الغلو في حب الدنيا ، فيعلم العباد ان شهوات الدنيا كلها لا تستحق منهم الطلب والجهد والتنافس فيها ، وان الذى يستحق ذلك منهم انما هو ما أعد لهم في ذلك اليوم العظيم ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل)^(١٥)

- | | | |
|-----------------------------|-------------------------------|-------------------------|
| (٧) الاعراف - الايتان ٨ ، ٩ | (١٠) التوبة - الايتان ٤٤ - ٤٥ | (١٣) الطلاق - الآية ٢ |
| (٨) الماعون - الايات ١ - ٣ | (١١) المجادلة - الآية ٢٢ | (١٤) الانعام - الآية ٩٢ |
| (٩) التوبة - الآية ١٨ | (١٢) المتحنة - الآية ٦ | (١٥) التوبة - الآية ٣٨ |

ولعل من حكمته ايضا ان وجود ذلك اليوم كان وما يزال يثير استغراب الكافرين وتعجبهم ، لما يرونه يصيرونهم القاصرة ، من مخالفة البعث لما يرونه من تحول الى رفات وعظام بعد الموت فقال تعالى عن امثال هؤلاء (ق ، والقرآن المجيد ، بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب : اذا متنا وكنا ترابا ، ذلك رجع بعيد)^(١٦) فبين لهم الله سبحانه في كثير من الايات التى سنذكر بعضها فيما بعد ان هذا الحس الذى يواجهون به هذه الحقيقة حس عاجز وقاصر لان امثال البعث فى حياة الانسان كثيرة ولكنها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ادلة الايمان باليوم الآخر ورد شبه المنكرين له :

ولقد دل على الايمان باليوم الآخر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما يدل عليه العقل والفطرة السليمة فذكر سبحانه من ذكره فى كتابه واقام عليه الادلة ورد شبه المنكرين للبعث فى كثير من المواضع كما فصل فى القرآن امور ذلك اليوم وحوادثه تفصيلا لم يسبق له مثيل فى الكتب السابقة مع ان كل رسول ارسله الله بشر قومه وأنذرهم بهذا اليوم العظيم وكفر كل من ينكره او يشك فيه قال تعالى الله لا اله الا هو ، ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه)^(١٧) وقال : (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر)^(١٨) وقال ايضا : (من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا)^(١٩)

ويخبرنا القرآن عن نوح عليه السلام انه قال لقومه : (والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا)^(٢٠) وعن ابراهيم عليه السلام انه قال : (والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتي يوم الدين)^(٢١) وقال سبحانه لموسى عليه السلام (ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى)^(٢٢) وقد امر الله سبحانه نبيه محمدا ﷺ ان يقسم به على البعث فى اكثر من موضع من ذلك قوله تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يعثوا قل بل ورنى لتبعثن)^(٢٣)

والذين ينكرون البعث انما يكذبون رسل الله جميعا ، اولئك الذين قامت الادلة العقلية والحسية القاطعة على صدقهم فى كل ما اخبروا به ، وتكذيبهم فى اى خبر حجر على العقل الذى حكم بصدقهم وتكذيب له وعناد لامعنى له

(١٦) ق - الايات ١ - ٣

(١٧) النساء - الآية ٨٧

(١٨) البقرة - الآية ١٧٧

(١٩) النساء - الآية ١٣٦

(٢٠) نوح - الايتان ١٧ ، ١٨

(٢١) الشعراء - الآية ٨٢

(٢٢) طه - الايتان ١٥ ، ١٦

(٢٣) التفاين - الآية ٧

والمنكرون للعث ليس لهم دليل على انكارهم ذلك انه امر من أمور الغيب الذي لا يعلمه الا الله والضابط في هذه الامور انه لا سبيل لاحد في ابيائها أو انكارها الا سبيل واحد هو اعلام الله عز وجل فمن قامت الحجج القاطعة على تلقيه من عند الله تعالى ، فهو الصادق فيما يخبر به عن شئ من هذه الامور ^(٢٤) وهذا أمر لم يثبت الا للرسل الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، فهم الذين أيدهم الله بالمعجزات ، واطلمهم على بعض الغيب وقد تقدم اتفاقهم على الاخبار باليوم الآخر وانما اثار المنكرون للبعث بعض الشبهات والشكوك حول وجود ذلك اليوم كاستبعادهم العودة الى الحياة بعد تحولهم الى رفات وعظام وتراب ، فقالوا ، كما اخبر الله عنهم (أنذا متا وكنا ترابا ، ذلك رجع بعيد) ^(٢٥) وقال تعالى (وقالوا ، ان هي الا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) ^(٢٦)

وشبههم جميعا لاتعدو الاستبعاد والاستعظام والتعجب وقد رد الله سبحانه على هذه الشبه وبين تفاهتها في اكثر من موضع في كتابه العزيز ، وبين لهم ان الايمان بالمعاد لا ينكره العقل بل يؤيده ولا يخالف المجهود بل له امثلة في حياة الناس وشواهد من صنع الخالق من ذلك :

١ - قال تعالى :

(وقالوا آئذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا ، قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم ، فسيقولون من يبعثنا ؟ قل الذي فطركم أول مرة ، فسيقولون اليك رؤوسهم ، ويقولون متى هو ، قل عسى ان يكون قريبا ، يوم يدعوكم ، فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) ^(٢٧)

فانظر الى هذه الشبهات التي اثاروها وما يثيره المنكرون في كل عصر لاعتدائها : انهم يستعظمون على الله تحويل ماتوول اليه الاجسام من الرفات والعظام الى خلق جديد يحس ويشعر ويستكثرون عليه قدرته على ذلك ، ويستبعدون هذا الأمر لانهم لا يعلمون متى هو وهي شبهات - كما ترى - مبعثها الجهل بطبيعة

(٢٤) وهذا الضابط بدهية من بدهيات العقول ، فاننا نعلم بالبديهية انه لا يمكن لاحد أن يثبت أو ينفي وجود شئ في مكان أو زمان الا بأن يطلع أو يخبره مطلع اذا كان وجود هذا الشئ أو عدمه لا يتناقض مع العقل ، وليس مستحيلا في حكمة ، فلو أن شخصا من العامة اثبت أو نفى وجود نجم في موقع من مواقع السماء ولم يخبره عالم فلكي ، حكمنا بكذبه ، وكذلك أي شخص يزعم وجود اليوم الآخر ، نحكم بكذبه ، حتى ولو لم يخبرنا بوجوده احد ، فكيف وقد اخبر بذلك من يستحيل في حقه الكذب ، وهم الانبياء والرسل ، والناس كلهم بالنسبة لعالم الغيب عوام ، والمطلع عليه هو الله وحده ، فلا تتبع في شأنه الا من علمهم الله وهم رسله الكرام .

(٢٥) ق - الآية ٣

(٢٦) الجاثية - الآية ٣٤

(٢٧) الاسراء - الايات ٤٩ - ٥٢

الحياة والموت ، والغفلة عن قدرة الله عز وجل والتعامى عن اثار هذه القدرة المطلقة فى الانشاء من العدم وكان يكفهم - لو كانوا يعلقون - ان يتذكروا قدرة الله عندما خلقهم أول مرة ؛ ولم يكونوا شيئاً ، ليوقنوا بصدق البارى فيما اخبرهم عن المعاد والحساب والثواب والعقاب ، فالقضية بسيطة ، والجواب مفحم مع بساطته وبدايته : فان الانسان قد وجد نفسه مخلوقاً بعد أن لم يكن ، فلا بد له من خالق اوجده من العدم ، ثم تحول من حال الى حال بمفارقة الحياة فلا بد من فاعل لهذا التحول وليس هو الا الله الذى خلق أول مرة ولو كان غيره لاستطاع ان يدفع عن نفسه الموت فاذا اخبر بعد ذلك هذا الخالق المحيى الميت بأنه سيحيى الانسان مرة اخرى ويعيد خلقه كانت مناقشته فى ذلك عنادا واستكباراً قال تعالى (قل الله يحييكم ، ثم يميتكم ، ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون)^(٢٨)

٢ - وقال تعالى :

(وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه . قال ، من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل ، يحيىا الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)^(٢٩)

يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية فى شرح هذه الآيات الكريمة : (فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة ، أو بمثلها بالفاظ تشبه هذه الالفاظ فى الإيجاز ووضوح الأدلة وصحة البرهان لما قدر فانه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جواباً ، فكان فى قوله تعالى (ونسى خلقه) ما وفى الجواب واقام الحجة وازال الشبهة ولما اراد سبحانه تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال (قل ، يحيىا الذى أنشأها أول مرة) فاحتج بالابداء على الاعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الاخرى اذ كل عاقل يعلم ضروريا ان من قدر على هذه قدر على هذه وانه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى اعجز وأعجز . ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله (وهو بكل شئ عليم) فهو عليم بتفاصيل الخلق الاول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثانى . فاذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه ان يحيى العظام وهى رميم ؟ أم أكد الأمر بحجة قاهرة ، وبرهان ظاهر يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول : العظام اذا صارت رميم عادت بطبيعتها باردة يابسة والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة ... فقال سبحانه (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون) فأخبر سبحانه باخراج هذا العنصر الذى هو فى غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الاخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة الذى يخرج من الشئ ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصى عليه هو الذى يفعل ما أنكره الملحد ودفعه . ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشئ الإجل الأعظم على الأيسر الأصغر ، فان كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على مادونه بكثير أقدر وأقدر . فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية اشد اقتداراً فقال سبحانه (او ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم)

(٢٨) الجاثية - الآية ٣٦

(٢٩) يس - الآيات ٧٨ - ٨١

فالذى أبدع السموات والارض على جلالتهما ، وعظم شأنهما ، وكبر أجسامهما ، وسعتهما ، وعجيب خلقهما ، اقدر على ان يحيى عظاما قد صارت رميما ، فيردها الى حالتها الاولى (٣٠)

٣ - وقال عز وجل :

(يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ، ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا اشدكم ، ومنكم من يرد الى أرذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأبنت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق ، وانه يحى الموتى ، وانه على كل شيء قدير ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور)

فتدبر هذه الآيات الكريمات من سورة الحج ، فان فيها من الادلة على البعث والآيات البينات على قدرة الله في إحياء الموتى ، ما يمحو كل شك من القلوب ، حول هذه الحقيقة ، وينزل كل استغراب ، ويفند شبهات المعاندين .

أ - ففيها أولا دليل انشاء الخلق ، وبدئهم من تراب ليس فيه مظهر من مظاهر الحياة وقد تقدم الكلام عن هذا الدليل

ب - وفيها ابراز لمظهر من مظاهر قدرة الله في خلق الانسان ، ونقله من طور الى طور ، وحال الى حال اخرى تختلف عن الاولى كل الاختلاف . فان من نقله من النطفة الى العلقة ، ثم الى المضغة ، ثم شق سمعه وبصره ، وركب فيه الحواس والقوى ، والعظام والاعصاب ، وغيرها ثم أحكم خلقه غاية الاحكام ، وأخرجه على هذا الشكل والصورة التى هى أتم واحسن الاشكال ، كما قال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) (٣١) كيف يعجز عن بعثه واعادة الحياة اليه ؟ فليس هذا الا عملية نقل من حال الى حال اخرى والمعاندين يرى أمثالها فى نفسه وفى كل انسان على وجه هذه الارض

ولقد نبه الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى بعد تفسيره للآيات السابقة الى معنى لطيف تضمنته الآيات فقال (وان هذه الاطوار التى يمر بها الجنين ثم يمر بها الطفل بعد ان يرى النور لتشير الى ان الارادة المدبرة لهذه الاطوار ستدفع بالانسان الى حيث يبلغ كماله الممكن فى دار الكمال ، اذ ان الانسان لا يبلغ كماله فى حياة الارض فهو يقف ثم يتراجع » لكى لا يعلم من بعد علم شيئا » فلا بد من دار اخرى يتم فيها تمام الإنسان

فدلالة هذه الاطوار على البعث مزدوجة .. فهى تدل على البعث من ناحية ان القادر على الانشاء قادر على الاعادة وهى تدل على البعث لان الارادة المدبرة تكمل تطوير الانسان فى الدار

الآخرة

(٣٠) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٠ ، ٤٦١

(٣١) الحج - الآيات ٥ - ٧

(٣٢) التين - الآية ٤

وهكذا تلتقى نواميس الخلق والاعادة ونواميس الحياة والبعث ونواميس الحساب والجزاء، وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر الذى ليس في وجوده جدال^(٣٣) هذا وفى ذكر اطوار الانسان وتكونه من النطفة والعلة لفتة اخرى : ففيه توجيه انظار المعاندين المنكرين للبعث وحياء الموتى الى ان هذا الفعل الربانى مائل في كل واحد منهم وفى كل انسان فانه قبل ان يكون خلقا سويا كان نطفة من ماء مهين لاقيمة لها وعلة ومضغة اى قطع من لحم لاشكل لها ولا تخطيط وجميعها مراحل حقيرة اشبه مايكون فيها الانسان بالميت ومع ذلك فان الله سبحانه يخلق فيها الحياة ، ويشكلها ويودع فيها اسباب الحياة الى ان تغدو في نهاية الامر بشرا سويا يفكر ويشعر ويخاصم ويجادل فما اشبه هذا الصنيع الربانى باحياء الموتى الذى يستنكره المنكرون للبعث ولذلك قال عز وجل : (الم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ، اليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى)^(٣٤)

ج - وفى الآيات السابقة دليل آخر على البعث وآية أخرى على قدرة الله فى احياء الموتى : هذه الارض القاحلة لا ترى فيها اثرا للحياة ولا ينبت فيها شئ فاذا انزل الله عليها المطر ظهرت فيها الحياة وانبتت من الزروع ، واشتات النبات فى اختلاف الوانها وطعومها وروائحها واشكالها ومنافعها ، وكما قال تعالى (ان الذى أحيأها يحيى الموتى ، انه على كل شئ قدير)^(٣٥) وقد سئل رسول الله ﷺ كيف يحيى الموتى ؟ وما آية ذلك فى خلقه ؟ قال (اما مررت ببوادي اهلك ممحلا ؟ قال : بلى : ثم مررت به يهتز خضرا ؟ قال : بلى ، قال : فكذلك يحيى الله الموتى ، وذلك آيته فى خلقه)^(٣٦)

٤ - وقال تعالى
(أفحسبم انما خلقناكم عبثا ، وانكم الينا لا ترجعون)^(٣٧) وقال ايضا (يحسب الانسان ان يترك سدى)^(٣٨)

فهاتان الايتان وأمثالهما تقرران ان الايمان بالمعاد والحساب والجزاء هو من مقتضيات توحيد الله فى صفاته الكاملة واسماؤه الحسنى فهذا الركن من لوازم الركن الاول من اركان الايمان ومن كفر به لم يكن مؤمنا بالله عز وجل لان ذلك يستلزم كفره بحكمة ربه وعدله فى خلقه وتعطيل صفاته سبحانه وتعالى

ومن لوازم هذا الكفر احتقار الانسان لنفسه ، باعتقاده انه خلق عبثا لا لحكمة بالغة . وان وجوده فى الارض موقوت محدود بهذا العمر القصير الملى بالنكد والهموم والمصائب والظلم والبغى والآثام وانه يترك سدى فلا يجزى الظالم بظلمه والعاذل بعدله والمصلح باصلاحه والمفسد بافساده

(٣٣) فى ظلال القرآن - المجلد الخامس ص ٥٨٣

(٣٤) القيامة - الايات ٢٧ - ٤٠

(٣٥) فصلت - الآية ٣٩

(٣٦) رواه احمد وابو داود وابن ماجة - انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٠٨ وصحيح

الجامع الصغير - المجلد الاول ص ٤٢٠

(٣٧) المؤمنون - الآية ١٦

(٣٨) القيامة - الآية ٢٦

والمسئى باسائه فالإيمان بالبعث واليوم الآخر هو الذى يليق بجلال الله وعدله وحكمته ويحكم به العقل وتطمئن اليه الفطرة السليمة (٣٩)

تفصيل الإيمان باليوم الآخر

واذا كان الإيمان باليوم الآخر من أهم الأركان التى يقوم عليها الإيمان فإنه لا يتحقق ولا يكون تاما وكاملا الا بأمرين :

الاول ، ان يؤمن العبد باليوم الآخر بصورة اجمالية ، وهذا هو الحد الأدنى لتحصيل هذا الركن من أركان الإيمان

والثانى ، ان يؤمن بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ من أمور الغيب التى تكون بعد الموت ونذكر فيما يلى أهم ماوردت به الأحاديث الصحيحة والآيات الكريمة من هذه الأمور

١ - فتنة القبر وسؤال الملكين :

فيجب ان يؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ من فتنة القبر وسؤال الملكين للإنسان عن ربه ودينه ونبيه ، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام فى الأحاديث الصحيحة ان الناس يمتحنون فى قبورهم فيقال للعبد : من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول المؤمن : ربى الله ، والاسلام دينى ، ومحمدا ﷺ نبيى ، وأما المرتاب فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، فيضرب ويعذب

ومن الأحاديث الواردة فى ذلك :

ما أخرجه البخارى ومسلم عن أسماء رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (ما من شئ لم أكن أريته الا رأيت فى مقامى ، حتى الجنة والنار فأوحى الى انكم تفتنون فى قبوركم مثل أو قريبا من فتنة المسيح الدجال ، يقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول : هو محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا واتبعنا ، هو محمد ، ثلاثا ، فيقال : نعم صالحا ، قد علمنا انك كنت موقنا به وأما المنافق أو المرتاب فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته) (٤٠)

وما أخرجه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (ان العبد اذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه ، انه ليسمع قرع نعالهم ، قال : يأتية ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال : فيقال له : انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال نبي الله ﷺ : فيراهما جميعا ، قال قتادة : (وذكر لنا انه يفسح له فى قبره سبعون

(٣٩) - الوحي المحمدى ص ١٧٨ ، ١٧٩ . مبادئ الاسلام للمودودى ص ٩١ . العقائد الواسطية ص ١٧٩

٢٨٠ . شرح العقيد الواسطية لمحمد خليل هراس ص ١٢٩ ، ١٣٠

(٤٠) - انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١ ص ١٤٨ وهو حديث متفق عليه واللفظ للبخارى

ذراعاً ويملاً عليه خضراً الى يوم يبعثون ، وأما المنافق الكافر ، فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصبح صبيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ^(٤١) وما أخرجه البخارى ومسلم : عن البراء بن عازب رضى الله عن النبي ﷺ قال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، قال : نزلت في عذاب القبر ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ونبي محمد ﷺ ، فذلك قوله عز وجل : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ^(٤٢))

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة وردت باثبات فتنة القبر وسؤال الملكين

٢ - عذاب القبر ونعيمه :

وبعد فتنة القبر يجب ان نؤمن بما أخبر به الصادق ، عليه الصلاة والسلام ، من عذاب القبر ونعيمه ، وقد تظاهرت على هذا الامر دلائل من الكتاب والسنة قال تعالى (وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة ، ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ^(٤٣))

فقد توعد الله سبحانه ال فرعون بنوعين من العذاب :

الاول : أشار اليه بقوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا)

والثاني : اشار اليه بقوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) وقد عطف الثاني على الاول ، والعطف يقتضى التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه ، فلا بد أن يكون المشار اليه اولا غير الثاني . فاذا كان العذاب الثاني بعد قيام الساعة فلا بد ان يكون الاول واقعا بهم ما بين الموت والنشور وهو عذاب القبر

وأشار الله عز وجل الى عذاب يكون بعد الموت في قوله تعالى : (اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسوط أيديهم ، أخرجوا انفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون) ^(٤٤) فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية انه قال : هذا عند الموت ، والبسط الضرب ، يضربون وجوهه

(٤١) متفق عليه - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ٢٠٣ وصحيح البخارى مع فتح البارى ج ٣ ص ١٨٤

(٤٢) ابراهيم - الآية ٢٧ . والحديث متفق عليه واللفظ لمسلم - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ٢٠٤ وصحيح البخارى مع

فتح البارى ج ٢ ص ١٨١

(٤٣) غافر - الآية ٤٥

(٤٤) الانعام - الآية ٩٣

وأدبارهم. قال ابن حجر : ويشهد له قوله تعالى في سورة القتال (فيكف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم)^(٤٥) ثم قال : (هذا وان كان قبل الدفن فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة ، وانما اضيف العذاب الى القبر لكون معظمه يقع فيه)^(٤٦)

وأما الاحاديث الصحيحة المثبتة لعذاب القبر فكثيرة جدا تبلغ حد التواتر ، يقول النووي في شرحه لصحيح مسلم : (اعلم ان مذهب اهل السنة اثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة ، قال تعالى : (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) وتظاهرت به الاحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة. ولا يمتنع في العقل ان يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ، ويعذبه ، واذا لم يمنعه العقل ، وورد به الشرع وجب قبوله واعتقاده)^(٤٧)

وقد أورد الامام مسلم في صحيحه أحاديث كثيرة في اثبات عذاب القبر، وسماع النبي ﷺ من يعذب فيه ، وسماع الموقر قرع نعال دافنيهم ، وكلامه ﷺ لا هل القليب ، وقوله : ما أنتم بأسمع منهم ، الفسح للميت في قبره ان كان من الناجين ، وعرض مقعده من الجنة أو النار عليه ، وغير ذلك

ومن الاحاديث الواردة في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بينا النبي ﷺ في حائط لبنى النجار على بغلة له ، ونحن معه ، اذ حادت به فكادت تلقيه واذا بقبر سته أو خمسة أو اربعة ، فقال ﷺ : من يعرف أصحاب هذه الاقبر ؟ فقال رجل : أنا قال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا في الاشراك ، فقال : ان هذه الامة تبلى في قبورها فلولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار ، فقالوا : نعوذ بالله من عذاب النار . فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال)^(٤٨)

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : مر النبي ﷺ على قبرين : فقال ، انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، ثم قال : بلى ، أما احدهما فكان يسعى بالثميمة ، وأما احدهما فكان لا يستتر من بوله

ومن ذلك أيضا ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال : (ان احداكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة ، وان كان من اهل النار فمن اهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)^(٤٩)

وأما كيفية عذاب القبر ونعيمه ، وكيفية عودة الروح الى الميت ، فلا يجوز فيه الزيادة على ما صح عن رسول الله ﷺ يقول شارح العقيدة الطحاوية (وقد تواترت الاخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت

(٤٥) محمد - الآية ٢٧ (٤٦) انظر فتح الباري ج ٣ ص ١٨٠
(٤٧) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٧ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ (٤٨) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ٢٠٠ - ٢٠٧
(٤٩) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ٢٠٢
(٥٠) متفق عليه واللفظ للبخاري - انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ١٨٨
(٥١) متفق عليه - انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ١١٨ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ٢٠٠

عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك اهلا ، وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والايان به ، ولا نتكلم في كيفيته ، اذ ليس للعقل وقوف على كيفيته ، لكونه لاعهد له به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول ، فان عودة الروح الى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا ، بل تعاد الروح اليه إعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا .

واعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، قبر أو لم يقبر ، اكلته السباع او احترق حتى صار رمادا ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب ما يصل الى المقبور ، وما ورد من اجلاسه واختلاف اضلاعه ونحو ذلك فيجب ان يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير ، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ، ولا يقصر به عن مراده وماقصده من الهدى والبيان (٥٢)

ويقول ابن القيم : (مذهب سلف الامة وأئمتها أن الميت اذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وان ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وانها تتصل بالبدن احيانا ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى اعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا من قبورهم لرب العباد ، ومعاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى) (٥٣)

٣ - اشراط الساعة :

ويجب علينا ان نؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن موعدها لا يعلمه الا الله أخفاه عن الناس كلهم ، بما فيهم الرسل والانبياء ، وأنه ليس لاحد من سبيل الى معرفة ما بقى من عمر الدنيا ، قال تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل : انما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت في السموات والارض ، لاتأتينكم الا بغته ، يسألونك كأنك حفي عنها ، قل : انما علمها عند الله ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (٥٤)

ولكن يجب ان نؤمن بما ثبت عن رسول الله ﷺ من علاماتها وأشراطها هذا وقد صح عن رسول الله ﷺ انه ذكر للساعة علامات صغرى معظمها يدور حول فساد الناس في آخر الزمان ، وظهور الفتن بينهم ، وبعدهم عن هدى الله وطريق الرسل ، وعلامات كبرى فأما العلامات الصغرى فقد ورد فيها جملة من الاحاديث الصحيحة نذكر منها :

(٥٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥١ ، ٤٥٢

(٥٣) العقائد الاسلامية - سيد سابق ص ٢٣٧

١٥٤ الاعراف - الآية ١٨٧

- أ - ما أخرجه البخارى ومسلم من قول الرسول ﷺ (بعثت أنا والساعة كهاتين) ، وأشار بالسبابة والوسطى^(٥٥) فهذا يدل على أن بعثة الرسول ﷺ ونعم النبوة والرسالة به من علامات قرب الساعة ، ففى الحديث دلالة على أن النبى ﷺ ليس بينه وبين الساعة نبى آخر ففى تليه ، وتأتى بعده ، وهذا اخبار بقرب وقوعها^(٥٦)
- ب - وفى حديث جبريل أنه سأل الرسول ﷺ عن الساعة ، فقال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرنى عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها^(٥٧) وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطالون فى البنيان^(٥٨)
- ج - وأخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان^(٥٩) يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث^(٦٠) دجالون كذابون قريب من ثلاثين^(٦١)
- كل يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم^(٦٢) وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان^(٦٣) وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكفر فيكم المال فيفيض حتى يهيم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه ، فيقول الذى يعرضه عليه : لا أرب لى به ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها^(٦٤) فإذا طلعت ، ورأها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا

- (٥٥) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى - انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١١ ص ٢٩٣
- (٥٦) العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ٢٤٥ فتح البارى ج ١١ ص ٢٩٣
- (٥٧) قال ابن حجر فى معنى هذا (ان يكفر العقوق فى الاولاد ، فيعامل الولد امه معاملة السيد أمته ، من الاهانة بالسب والضرب والاستخدام ، فأطلق عليه ربا مجازا لذلك ، أو المراد بالرب المرنى ، فيكون حقيقته ، وهذا أوجه الأوجه عندي ، وعمومه ، ولا المقام يدل على ان المراد فى حالة تكون مع كونها تدل على فساد الاحوال مستغربة ، ومحصلة ان الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الامور بحيث يصير المرنى مزييا والسافل عاليا وهو مناسب لقوله فى العلامة الاخرى : أن تصير الحفاة ملوك الارض) انظر فتح البارى ج ١ ص ١٠٠
- (٥٨) متفق عليه - انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١ ص ٩٩ ، ١٠٠ وصحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ١٥٨ وعبارة البخارى (ان تلد الأمة ربا) ومعنى تطاول رعاء الشاء فى البنيان قال فيه القرطبى : (المقصود : الاخبار عن تبدل الحال بأن يستولى اهل البادية على الامر ويملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم وتنصرف همهم الى تشييد البنيان والتفاخر به ، وقد شاهدنا ذلك فى هذه الازمان) نقل هذا عن القرطبى ابن حجر فى فتح البارى ج ١ ص ١٠١
- (٥٩) قال ابن حجر : المقصود ففة على ومن معه ، وفئة معاوية ومن معه - فتح البارى ج ١٢ ص ٧٢
- (٦٠) اى يظهر
- (٦١) وأمثال هؤلاء الاسود العنسى صاحب صنعاء ، ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ، ومن ادعى النبوة ، طليحة بن خويلد ، وسجاح ، وقد رجع هذان الاخيران عن دعواهما ، ومن هؤلاء المتأخرين مؤسسى القاديانية والبهائية - انظر فتح البارى ج ١٢ ص ٧٣ والعقائد الاسلامية لسيد سابق ص ٢٤٦
- (٦٢) اى يقبض علماء الدين والدعاة الى الله عز وجل
- (٦٣) المراد نزع البركة من كل شىء حتى من الزمان ، فتكون السنة فى بركتها والانتفاع بها كالشهر ، الشهر كالجمعة ، والجمعة كالיום ، واليوم كالساعة - فتح البارى ج ١٣ ص ١٢ وتيسير الوصول ج ٤ ص ٩١
- (٦٤) هذه من العلامات الكبرى وبقيت العلامات المذكورة فى الحديث صفرى

- ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته^(٦٥) فلا يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يلبط^(٦٦) حوضه فلا يسقى منه ، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه ، فلا يطعمها^(٦٧))
- د - وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ان من أشراط الساعة ان يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، ويكثر النساء ، ويقل الرجال حتى ليكون لخمسين امرأة قيم واحد)
- هـ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال لرسول الله ﷺ متى الساعة ؟ فقال : (اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة) قال : وكيف اضاعتها ؟ قال : (اذا اسند الامر لغير اهله فانتظر الساعة)^(٦٨)
- و - وعن ابى هريرة ايضا ان النبي ﷺ قال (لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله الا الغرقه فانه من شجر اليهود)^(٦٩)
- وهناك احاديث صحيحة اخرى ذكرت لنا علامات اخرى تظهر قبل قيام الساعة ويمكن الرجوع اليها في كتب الصحاح^(٧٠)
- وأما العلامات الكبرى فقد ورد في بعض الاخبار الصحيحة عن (سول الله ﷺ ذكر عشر منها، وذلك كحديث حذيفة بن أسيد الغفارى ، حيث قال : (طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذاكرون ؟ قالو : نذكر الساعة ، قال : انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ﷺ وياجوج ومأجوج وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم)^(٧١) وفيما يلى
- نبين لك أهم وأشهر هذه الايات حسب ما ذكره العلماء وخاصة شرح الحديث الشريف :

١ - طلوع الشمس من المغرب :

وهذه الآية بداية التغير الذى يحدثه الله على نظام الكون فى الحياة الدنيا ، ايدانا بقرب وقوع الساعة ، الذى يكون معه تغير شامل لنظام الكون كما ذكره الله سبحانه وتعالى فى كثير من سور القرآن الكريم ، فأول هذا التغير كما ورد فى كثير من الاحاديث طلوع الشمس من المغرب على خلاف ما

(٦٥) اللقحة : هى الناقة ذات اللبن

(٦٦) اى يصلحه بالطين

(٦٧) اخرج البخارى - انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١٣ ص ٧٠ - ٧٦

(٦٨) انظر : البخارى مع فتح البارى ج ١١ ص ٢٧٩

٧٣

(٦٩) اخرج الشيخان واللفظ لمسلم - انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٤٤

(٧٠) تجد ذلك فى الصحيحين فى كتاب الفتن واشراط الساعة وكتاب الرقاق وفى مواضع اخرى متفرقة

(٧١) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٢٧

بعده من طلوعها من المشرق، والذي أطلعها من المشرق قادر على تغيير مسارها فهو خالقها ومدير أمرها وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ أن هذه الآية تكون أول^(٧٢) العلامات الكبرى ظهوراً ، فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما ما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً)^(٧٣)

وقد تقدم في حديث أبي هريرة السابق أن هذه الآية إذا ظهرت وراها الناس آمنوا اجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها إذا لم تكن قد آمنت من قبل ، وهو ما أشار الله تعالى إليه بقوله (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً)^(٧٤) وقد قال كثير من المفسرين ما حاصله : معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب وكذلك العاصي لا تنفعه توبته ، ومن لم يعمل صالحاً من قبل ولو كان مؤمناً لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب^(٧٥)

ب - خروج الدابة :

وهذه الآية أشار إليها الله تعالى في القرآن حيث قال عز وجل : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)^(٧٦)

وقد ورد ذكر خروج الدابة في أحاديث كثيرة بعضها صحيح وقد تقدم بعضها وليس فيما صح من تلك الأخبار وصف لهذه الدابة التي يخرجها الله عز وجل قبيل قيام الساعة وما ذكر من أوصافها في بعض الكتب ورد في روايات لم تبلغ حد الصحة والمؤمن لاتعنيه معرفة هذه الأوصاف وحسبه أن يقف عند النص القرآني والحديث الصحيح الذي يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة وأنه إذا ما انتهى الاجل الذي تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقي فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك وإنما يقضى عليهم بما هو عليه عندئذ يخرج الله لهم الدابة تكلمهم وتعرف على المؤمن وعلى الكافر وإذا كان الناس لا يعهدون تكلم الدواب فإن الخالق القادر يمكنها من ذلك فيفهم عليها الناس ويعلمون أنها الخارقة المنبئة بقيام الساعة أو اقترابها وقد كانوا من قبل لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون بيوم القيامة^(٧٧)

(٧٢) قال ابن حجر فيما يتعلق بترتيب ظهور علامات الساعة الكبرى مانصه (فالذي يرجح من مجموع الأخبار أن خروج الدابة أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير الأحوال العامة في معظم الأرض ، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم ، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي

تطلع فيه الشمس من المغرب .. والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة . فتخرج الدابة تسير بموسم من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة ، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي توشع الناس من المشرق إلى المغرب) فتح الباري ج ١١ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ فيحصل من كلام ابن حجر أن الآيات الكبرى ثلاثة أنواع : المؤذنة بتغيير الأحوال العامة في الأرض والمؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي ، والمؤذنة بقيام الساعة ، وأن المقصود بأولية طلوع الشمس من المغرب الوارد في حديث عبد الله بن عمر أنها أول آية من النوع الثاني ، وهو النوع الذي إذا ظهر أغلق باب التوبة وأغلق باب الإيمان

(٧٣) أخرجه مسلم وأبو دود - انظر فتح الباري ج ١١ ص ٢٩٧ وسنن أبي داود في باب إمارات الساعة ؛ وتيسير الوصول في باب (اشراط متفرقة) وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٧٧

(٧٤) الانعام - الآية ١٥٨

(٧٥) فتح الباري ج ١١ ص ٢٩٧

(٧٦) النمل - الآية ٨٢

(٧٧) في ظلال القرآن - المجلد السادس ص ٣٠٨

ج - ظهور الدجال :

والدجال هو الكذاب شديد الدجل، والدجل في اللغة هو التغطية وسمى الكذاب دجالاً لأنه يغطي الحق بباطله ومن امارات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه الرسول ﷺ بالدجال لكثرة تدجيله وكذبه يدعى الالوهية ويحاول ان يفتن الناس عن دينهم بما يحدثهم من خوارق العادات وعجائب الامور باذن الله سبحانه وتعالى فيفتن به بعض الناس ويثبت الله الذين آمنوا ، فلا ينخدعون بدجله وضلاله، ثم يأذن الله بالقضاء على فتنه ، تينزل عيسى عليه السلام ، فيقتله، جاء في شرح النووي على صحيح مسلم : (الاحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب اهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ، ابتلى الله به عباده واقدره على اشياء من مقدورات الله تعالى، من احياء الميت الذي يقتله ، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه ، وجنته وناره ، ونهره، واتباع كنوز الارض له، وأمره السماء أن تمطر ، فتمطر والارض ان تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيتته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ، ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار ، خلافاً لمن انكروا وبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافاً لمن ادعى انه صحيح الوجود وان الذي يدعيه مغارف وخیالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم

وهذا غلط من جميعهم ، لأنه لم يدع النبوة، فيكون مامعه كالتصديق له ، وانما يدعى الالهية ، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ، ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازاله العور الذي في عينيه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذا الدلائل وغيرها لا يغتر به الا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمي، أو تقية وخوفاً من أذاه، لان فتنه عظيمة جداً تدهش العقول وتحير الالباب، مع سرعة مروره في الامر فلا يمكن بحث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص ، فيصدق من صدقه في هذه الحالة. ولهذا حذرت الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من فتنه ، ونهوا على نقصه ودلائل ابطاله وأما أهل التوفيق، فلا يغترون به ، ولا ينخدعون لما معه ، لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له، مع ما سبق لهم من العلم بحاله (٧٨) هذا وقد ورد في ذكر الدجال جملة أحاديث صحيح ، نذكر منها :

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (قال رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : اني لاندركموه وما من نبي الا وقد أندر قومه ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه : انه أعور وان الله ليس بأعور) (٧٩)
روى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال : (لانا أعلم بما مع الدجال منه : معه نهران يجريان ، أحدهما رأى العين ماء ابيض والآخر رأى العين نار تأجج فأما أدركن احد فليأت

(٧٨) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٨ ص ٥٨ ، ٥٩

(٧٩) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٨٠ وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٨ ص ٥٩

النهر الذى يراه نارا ، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فانه ماء بارد ، وان الدجال مسح العين ، عليها ظفره ^(٨٠) غليظة مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ^(٨١) وعن النواس بن سميان قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة ، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل ^(٨٢) فلما رحنا اليه ، عرف ذلك فينا ، فقال : ما شأنكم ؟ قلنا ، يا رسول الله ، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ، ورفعت ، حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال : غير الدجال أخوفنى عليكم ، ان يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فأمرؤ حجيجه نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم : انه شاب قعط ^(٨٣) عينه طائفة كأننى أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، انه خارج خلة ^(٨٤) بين الشام والعراق ، فعاث يمينا وعاث شمالا ، يا عباد الله ، فاثبتوا. قلنا : يا رسول الله : وما لبثه في الارض ؟ قال أربعون يوما : يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم : قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذى كسنة ، اتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره ، قلنا : يا رسول الله : وما اسرعه في الارض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ، فيأتى على القوم ، فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء ، فتمطر والأرض فتنبث ، فتروح عليه سارحتهم ^(٨٥) ، أطول ما كانت ذرى ^(٨٦) وأسبغه ضروعا ^(٨٧) وأمدته خواصر ^(٨٨) ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون بمحلين ، ليس بأيديهم شئ من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجى كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ^(٨٩) ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا ، فيضربه بالسيف ، فيقطعه جزلتين ^(٩٠) رميه الغرض ^(٩١) ، ثم يدعو فيقبل ويتהל وجهه يضحك ، فينا هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق بين

- (٨٠) بفتح الظاء والفاء ، رمى جلدة تغشى البصر ، او لحمه تنبت عند الماء
(٨١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٩١
(٨٢) المقصود ، حقر من شأنه بما ينصف به من العور وغيره وبما سيؤول أمره اليه من الاضمحلال ورفع أى عظم من فنته والهنه به ، حتى حذر كل نبي من فنته - انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٨ ص ٦٣
(٨٣) اى على مقربة من نخل المدينة
(٨٤) شديد جمودة الشعر
(٨٥) سيظهر في مكان بين الشام والعراق
(٨٦) سارحة هى الماشية التى تسرح أى تذهب أول النهار الى المرعى
(٨٧) الذرى ، بضم الدال هى الاعالى والاسنمة
(٨٨) ضروعها كثيرة اللبن
(٨٩) أمدته خواصر: اى لكثرة امتلائها من الشبع
(٩٠) اى كجماعة النحل ، واليعاسيب هى ذكور النحل
(٩١) اى قطعتين
(٩٢) اى يجعل بين الجزلتين مقدار رمية الغرض

مهرودتين^(٩٣) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، اذا طأطأ رأسه فطر ، واذا رفعه تحدر منه جمان
 كالتلؤلؤ ، فلا يحل^(٩٤) لكافر يجرد ربح نفسه الا مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه
 حتى يدركه بباب لد ، فيقتله^(٩٥)

هذه الاحاديث وغيرها حجة لمذهب أهل السنة في وجوب الاعتقاد بظهور الدجال حسب ما
 اخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما وصفه به من الصفات ، وما يؤول أمره اليه ، وأنه من
 العزيمات الكبرى لقيام الساعة

فاذا قيل : كيف يجرى الله الآيات الباهرة على يده ، والمعجزات لا تكون الا للانبيا فقد قال
 الخطابي في الجواب عن هذا التساؤل : (الجواب انه على سبيل الفتنة للعباد، اذ كان عندهم مايدل
 على انه مبطل غير محق في دعواه ، وهو انه أعور ، مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم ، فدعواه
 داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر، اذ لو كان لها لازال ذلك عن وجهه ، وآيات الانبياء
 سالمة من المعارضة ، فلا يشتبهان)^(٩٦) ويقول ابن حجر : (وفي الدجال مع ذلك دلالة بينه لمن
 عقل ، على كذبه ، لانه ذو أجزاء مؤلفة ، وتأثير الصنعة فيه ظاهر ، مع ظهور الآفة به من عور
 عينيه فاذا دعا الناس الى انه ربهم ، فأسوأ حال من يراه من ذوى العقول ان يعلم انه لم يكن يسوى
 خلق غيره ويعدله ويحسنه ، ولا يدفع النقص عن نفسه ، فأقل مايجب أن يقول : يا من يزعم أنه
 خالق السماء والارض صور نفسك وعدل لها ، وأزل عنها العائمة فان زعمت أن الرب لا يحدث في
 نفسه شيئاً فأزل ما هو مكتوب بين عينيك)^(٩٧)

د - نزول عيسى عليه السلام :

فقد دلت السنة ، واجمعت الامة على ان عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان قرب الساعة،
 اثناء وجود الدجال ، فيقتله ، ويحكم بشريعة الاسلام ، ويحيى من شأنها ما تركه الناس ، ثم يمكث
 في الارض ماشاء الله أن يمكث، ثم يموت ، ويصلى عليه المسلمون ، ويدفن ، وقد ورد بذلك احاديث
 صحيحة كثيرة ، تقدم بعضها ، فيجب على كل مسلم ان يصدق به ، وان يعتقد بما اخبر به
 كتاب ربنا من أن عيسى عليه السلام لم يقتله اليهود وإنما رفعه الله اليه ، وانه لن يموت حتى ينزل قبل
 قيام الساعة ، فقد قال سبحانه وتعالى : (وقولهم ، انا قتلنا المسيح عيسى ان مريم رسول الله .
 وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وأن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من
 علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما ، وأن من أهل
 الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا)^(٩٨)

(٩٣) اي ثوين مصوغين

(٩٤) اي لا يمكن ولا يقع لكافر

(٩٥) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ١٢ وما بعدها

(٩٦) نقله ابن حجر في فتح الباري ج ١٢ ص ٨٩

(٩٧) المرجع السابق

(٩٨) النساء - الآيات ١٥٧ - ١٥٩

فانظر الى قوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وفي تفسير قوله تعالى : (وان من اهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته) قال ابن كثير : (قال ابن جرير : وأولى هذه الاقوال بالصحة القول الاول ، وهو انه لا يبقى احد من اهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه الا امن به قبل موت عيسى عليه السلام ولا شك ان هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لانه المقصود من سياق الآى فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الامر كذلك ، وانما شبه لهم ، فقتلوا الشبه ، وهم لا يتبينون ذلك ، ثم انه رفعه اليه ، وانه باق حى ، وانه سينزل قبل يوم القيام كما دلت عليه الاحاديث المتواترة .. فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، فأخبرت هذه الآية الكريمة انه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منه ...) (٩٩)

ومن الاحاديث الواردة فى ذكر نزول عيسى عليه السلام ما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ^(١٠٠) ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ^(١٠١) ، ويفيض المال ^(١٠٢) حتى لا يقبله احد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا ^(١٠٣) من الدنيا وما فيها ^(١٠٤) والاحاديث فى هذا كثيرة صحيحة ^(١٠٥) قال القاضى عياض : (نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند اهل السنة للاحاديث الصحيحة فى ذلك ، وليس فى العقل ولا فى الشرع ما يبطله ، فوجب اثباته ، وانكر ذلك بعض المعتزلة ومن وافقهم ، وزعموا ان الاحاديث مردودة بقوله تعالى (وخاتم النبيين) وقوله ﷺ (لانبى بعدى) وباجماع المسلمين ، انه لانبى بعد نبينا ﷺ وأن شريعته مؤبدة الى يوم القيامة لاتنسخ ، وهذا استدلال فاسد ، لانه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام انه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ، ولا فى هذه الاحاديث ولا فى غيرها شئ من هذا ، بل وضحت هذه الاحاديث انه ينزل حكما مقسطا يحكم بشرعنا ، يحكم من أمور شرعنا ما هجره الناس ^(١٠٦))

(٩٩) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٧٧

(١٠٠) المراد بذلك انه غيبه السلام يكسره حقيقة ، ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه وقيل : ان المراد من كسره اظهار كذب النصارى

حيث ادعوا ان اليهود صلبوا عيسى عليه السلام على خشب - انظر الدين الخالص ج ١ ص ٩٢

(١٠١) المقصود بوضع الجزية : ان عيسى عليه السلام يسقطها عن أهل الكتاب فلا يقبل منهم الا الاسلام وليس معنى ذلك أن عيسى عليه

الاسلام ينسخ حكما من شريعة الاسلام ولكن هذا الحديث يدل على أن قبول الجزية فى شريعة الاسلام ملغيا بنزول سيدنا عيسى عليه

السلام - المرجع السابق ج ١ ص ٩٣

(١٠٢) أى يكفر المال بسبب ما ينشره عيسى عليه السلام من العدل بين الناس

٨٠

(١٠٣) المقصود أن رغبات الناس تقل فى اقتناء المال لقصر آمالهم وعلمهم بقرب وقوع الساعة وكثرة رغبتهم فى ساعة الله عز وجل

(١٠٤) متفق عليه

(١٠٥) انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٢ ، مطبعة الباي الحلبي وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٨٩ وصحيح

الترمذى ج ٩ ص ٧٦ وسنن ابن ماجه - المجلد الثانى ، كتاب الفتن مطبعة عيسى الباي الحلبي ، والفتح الربانى ج ٢ ص ١٤٣

الطبعة الاولى

(١٠٦) شرح النور على صحيح مسلم ج ١٨ ص ٧٥ ، ٧٦

٥ - ظهور يأجوج ومأجوج :

وقد ورد ذكر هذه العلامة في القرآن الكريم ، قال تعالى : (ثم اتبع سببا ، حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا : ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ، فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا ؟ قال : ما مكنى فيه ربي خير ، فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما ، أتولى زبر الحديد . ، حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ، حتى اذا جعله نارا ، قال : أتولى أفرغ عليه قطرا ، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا . قال : هذا رحمة من ربي ، فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا)^(١٠٧) وقال عز وجل : (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق . فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ياولنا قد كنا في غفلة من هذا ، بل كنا ظالمين)^(١٠٨)

ومما ورد في ذكرهم من الاحاديث الصحيحة ما أخرجه الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوما فزعا يقول : (لا اله الا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه : الابهام والتي تليها) قالت زينب بنت جحش يارسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : (نعم اذا كثر الخبث)^(١٠٩)

ومنها ما أخرجه الامام مسلم وغيره من حديث النواس بن سمعان الذي تقدم ذكره وفيه خبر الدجال ونزول عيسى وذكر يأجوج ومأجوج ، حيث قال رسول الله ﷺ (ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية ، فيشربون مافيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء)^(١١٠)

(١٠٧) الكهف - ٩٢ - ٩٨ ويقول سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآيات (ونحن لانستطيع ان نجزم بشيء عن المكان الذي بلغ اليه ذو القرنين « بين السدين » ولا ما هما هذا السدان ، كل ما يؤخذ من النص انه وصل الى منطقة بين حاجزين طبيعيين ، أو بين سدين صناعيين ، تفصلهما فجوة أو ممر ، فوجد هناك قوما متخلفين (لا يكادون يفقهون قولا) وعندما وجدوه قويا وتوسموا فيه القدرة والصلاح ، عرضوا عليه أن يقيم لهم سدا في وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين ، ويفترون عليهم من ذلك الممر ، فيعيشون في أرضهم فسادا ، ولا يقدرون هم على دفعهم وصددهم . وذلك في مقابل خراج من المال يجمعونه له من بينهم ، وتبعا للمنتفع الصالح الذي اعلنه ذلك الحاكم الصالح من مقاومة الفساد في الأرض فقد رد عليهم عرضهم الذي عرضوه من المال ، وتطوع باقامة السد ، ورأى أن أيسر طريقة لاقامته هي ردم الممر بين الحاجزين الطبيعيين ، فطلب الى اولئك القوم المتخلفين أن يعينوه بقوتهم المادية والمعضية (فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما) فجمعوا له قطع الحديد وكومها في الفتحة بين الحاجزين ، فأصبحت كأنهما صدفتان تعلقان ذلك الكوم بينهما (حتى اذا ساوى بين الصدفين) واصبح الركاب بمساواة القمتين (قال : انفخوا) على النار لتسخين الحديد (حتى اذا جعلوه نارا) كله لشدة توهجه واحمراره (قال : أتولى أفرغ عليه قطرا) أي نحاسا مذابا يتخلل الحديد ويختلط به فيريد صلابة ، وقد استخدمت هذه الطريقة حديثا في تقوية الحديد ، فوجد ان اضافة نسبة من النحاس اليه تضاعف مقاومته وصلابته وكان هذا الذي هدى الله ابي ذر القريني ، وسجله في كتابه الخاند سبعا للعلم الشري الحديث بقرون لا يعلم عددها الا الله ، بذلك التحم الحاجزان ، وعلق الضريق على يأجوج ومأجوج (فما استطاعوا ان يظهروه) يتسوروه (وما استطاعوا له نقبا) فينفذوا منه ، ويمر عليهم ان يهاجموا أولئك القوم الضعاف المتخلفين ، فأمنوا واطمأنوا ونظر ذو القرنين الى العمل الفخيم الذي قام به فلم يأخذه النظر والغرور . ثم تسكره بشدة القوة والعمى ، ولكنه ذكر الله فشكره ، ورد اليه العمل الصالح الذي وفقه اليه ، وتبرأ من قوته الى قوة الله وأعس . ثم يؤمن به من أن الخيال والخواهر والسود مستك قبل يوم القيامة فتعود الأرض سطحا اجرد مستويا ثم قال رحمه الله (وبعد فمن يأجوج ومأجوج ؟ أين هم الآن ؟ وماذا كان من أمرهم وماذا سيكون ؟ كل هذه اسئلة تصعب الاجابة عليها على وجه التحقيق ، فمن لا يعرف عنهم الا ما ورد في القرآن وفي بعض الآثار الصحيحة . والقرآن يذكر في هذا الموضع ما حکاه من قول ذي القرنين (فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا) انظر في ضلال القرآن - المجلد الخامس ص ٤١١ - ٤١٣

(١٠٨) الانبياء ٩٦ - ٩٧

(١٠٩) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٩١ وما بعدها

(١١٠) صحيح مسلم شرح السوي ج ١٨ ص ٦٨

وهناك أحاديث صحيحة أخرى ذكرت بأجوج ومأجوج ومجموع النصوص الواردة بذكرهم يفيد العلم اليقيني بظهور هذه الأمة المفسدة ، في أواخر عمر هذه الدنيا فكان لا بد للمؤمن من تصديق ماورد به القرآن والخبر الصحيح من أمرهم ، وأما تحديد الزمن الذى تظهر فيه هذه الأمة والتفصيلات المتعلقة بأشكالهم وأوصافهم ومكان وجودهم قبل ظهورهم فكل هذا من امور الغيب التى لا يعلمها الا الله تعالى

٤ - بداية اليوم الآخر :

ويجب ان نؤمن بعد ذلك بما أخبر به الله عز وجل فى كتابه الكريم لاسيما فى سورى التكوير والانفطار ، بكل ما يحدث فى آخر يوم من ايام الدنيا ، وبدء اليوم الآخر فان مجموع الآيات الكريمة تدل على ان اليوم الآخر يبدأ باحداث تغيير عام فى هذا الكون فتنشق السماء وتتناثر النجوم وتتصادم الكواكب وتتفتت الارض وتغدو صعيدا جززا وتصبح الجبال كثيبا مهيبا ، ويخرب كل شئ ، ويدمر كل ما عرفه الناس فى هذا الوجود ، قال تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ، وبرزوا لله الواحد القهار)^(١١١) ويكون هذا على أثر النفخة الاولى ، ينفخها اسرافيل بأمر ربه ، فيصعق كل من فى السماوات ومن فى الأرض الا ما شاء الله تعالى^(١١٢) قال عز وجل : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض الا ما شاء الله ، ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون)^(١١٣) وقال : (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية)^(١١٤) وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : (يقبض الله الأرض ويطوى السماء يمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض)^(١١٥)

٥ - البعث :

ونؤمن بعدها ان الله سبحانه يأمر بالنفخة الثانية^(١١٦) فتعود الحياة على أثرها الى الاموات ، وهذا هو يوم البعث وهو اعادة الانسان روحا وجسدا كما كان فى الدنيا ، ثم يخرج الله الناس من الاجداث احياء فيقول الكفار والمنافقون حيثئذ (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا)^(١١٧) ويقول المؤمنون (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)^(١١٨) وقد ورد فى الاحاديث الصحيحة ان محمدا ﷺ هو أول من يخرج من قبره ، فقد قال ﷺ (يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من قام ، فاذا موسى آخذ بالعرش فما أدرى أكان فيمن صعق)^(١١٩)

- (١١١) ابراهيم - الآية ٤٨
(١١٢) انظر فتح البارى ج ١١ ص ٣١٣
(١١٣) الزمر - الآية ٦٨
(١١٤) الحاقة - الآيات ١٣ - ١٦
(١١٥) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١١ ص ٣١٣
(١١٦) اشار الله سبحانه الى النفخة الاولى والثانية فى قوله عز وجل (يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة) فالراجفة هى النفخة الاولى والرادفة هى الثانية هكذا ورد عن تفسير ابن عباس رضى الله عنهما - انظر : صحيح البخارى وفتح البارى ج ١ ص ٣١٠ ٣١١
(١١٧) يس - الآية ٥٢
(١١٨) يس - الآية ٥٢
(١١٩) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١١ ص ٣١٢

ونؤمن أنه يكون الحشر بعد بعث الخلائق وإخراجهم من قبورهم ، قال تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ، ونسوق المجرمين الى جهنم وردا)^(١٢٠)

والحشر هو سوقهم جميعا الى الموقف ، وهو المكان الذى يقفون فيه انتظارا لفصل القضاء بينهم ، فبعد بعث الناس يأمر الله ملائكته ، فتسوقهم الى الموقف ، وحالهم كما خلقوا أول مرة : حفاة غير منتعلين ، عراة غير مكتسبين ، غرلا غير مختسين ، فقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، قلت : يا رسول الله ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال ﷺ : يا عائشة ، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض)^(١٢١)

وروى ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : (يا أيها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا ، ثم قال : كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا أنا كنا فاعلين .. الى آخر الآية ، ثم قال : الا وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم ، الا وانه يجاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصحابي ، فيقال : انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح^(١٢٢) وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتي كنت أنت الرقيب عليهم ، فيقال : ان هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)^(١٢٣)

وفى الموقف يصيب الخلائق كرب شديد ، فقد روى المقداد بن الاسود عن رسول الله ﷺ انه قال : (تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل^(١٢٤) فيكون الناس قدر اعمالهم فى العرق ، فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى عنقه ، ومنهم من يلجمه العرق الجاما ، وأشار ﷺ بيده الى فيه)^(١٢٥) وفى أثناء ذلك أناس ظل الله عز وجل كما أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، سعيد رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله العادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى اخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم يمينه ماتنفق شماله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)^(١٢٦)

(١٢٠) مريم - الايتان ٨٥ ، ٨٦

(١٢١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٩٢ ، ١٩٣ صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١١ ص ٣٢٥

(١٢٢) اى عيسى عليه الصلاة والسلام

(١٢٣) انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٨ ص ٢٣٠ ج ١١ ص ٣٢٢

(١٢٤) قال سليم بن عامر - راوى الحديث عن المقداد - فو الله ما ادرى مايعن بالميل : أمسافة الارض أم الميل الذى يكتحل به العين ،

صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٩٦

(١٢٥) المرجع السابق

(١٢٦) انظر : صحيح البخارى بحاشية السندي ج ١ ص ١٧٠ وصحيح مسلم بشرح النووى ج ٧ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ والفظ له والسنن

الكبرى ج ١٠ ص ٨٧ وسنن النسائى ج ٨ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣

فاذا اشتد الامر بالناس . وعظم بهم الكرب في هذا الموقف العظيم ، استشفعوا الى الله عز وجل بالرسول والانبياء أن ينقذهم مما هم فيه ، ويعجل لهم فصل القضاء وكل رسول يحيلهم على من بعده ، حتى يأتو نبينا محمدا ﷺ فيشفع فيهم ويقبل الباري شفاعته ^(١٢٧) فيصرف الناس الى فصل القضاء

٧-جزاء الاعمال :

ونؤمن بجزاء الاعمال في اليوم الآخر ، فيجزى العباد ، ويجازون على كل ماكسبوه في الحياة الدنيا من خير أو شر ، قال عز وجل : (يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق ، ويعلمون ان الله هو الحق المبين) ^(١٢٨) والدين هو الجزاء ، فيقال : كما تدين تدان ، أى كما تجازى تجازى ^(١٢٩) وقال سبحانه : (من جاء بالحسنة فله خير منها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) ^(١٣٠) وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : (يا عبادى انما هى اعمالكم احصيتها لكم ، ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه) ^(١٣١)

٨ - العرض والحساب :

ونؤمن ان الجزاء يكون بعد محاكمة عادلة ، يعرض فيها الناس على ربهم ، وتقام فيها الحجج عليهم ولهم ، ويطلعون على أعمالهم ، ويقرؤون صحفهم ، فيجب أن نؤمن بالعرض والحساب وقراءة الكتاب ، فجميعها حق ، ودل عليها الكتاب والسنة واجماع علماء المسلمين .

فاما العرض فدليله قوله تعالى (فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ، والملك على ارجائها ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) ^(١٣٢) وقوله تعالى (وعرضوا على ربك صفا ، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) ^(١٣٣)

فيجب على كل مسلم أن يؤمن بأن كل عبد يعرض على ربه ، فيتولى سبحانه حسابه بنفسه ، وبدون وساطة ، عن عدى بن حاتم ، رضى الله عنه ، ان النبى ﷺ قال : (ما منكم من احد الا سيكلمه الله يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان ، ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم ان يتقى النار ولو بشق ثمرة) ^(١٣٤)

^(١٢٧) وهذه هى الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا محمد ﷺ من بين سائر اخوانه من الانبياء والمرسلين ، عليهم الصلاة والسلام ، وهى متفق عليها بين الامة ، لانها ثبتت بالاحاديث الصحيحة ، وهى من المقام المحمود الذى وعد به الرسول عليه الصلاة والسلام في قواء تعالى (ومن الليل فتهدى به نافلة لك ، عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) الاسراء - الآية ٧٩ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ وأحاديث الشفاعة في صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٥٤ - ٧٧ وشرح العقيدة الواسطية ص ١٢٨ والعقائد الاسلامية لسيد سابق ص ٢٧٤

(١٢٨) النور - الآية ٢٥

(١٢٩) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٥

(١٣٠) القصص - الآية ٨٤

(١٣١) من حديث قدسى طويل رواه الامام مسلم - انظر رياض الصالحين ص ٦٢ ،

(١٣٢) الخاقية - الايات ١٥ - ١٨

(١٣٣) الكهف - الآية ٤٨

(١٣٤) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١١ ص ٣٤٠

ويدخل في معنى العرض ابراز الاعمال واظهارها ، فيعرف صاحبها بذنوبه ، فان كان من اهل النجاة ، وهو الذى يؤتى كتابه يمينه ، تجاوز الله عن ذنوبه ، ولم يناقشه الحساب ، وادخله الجنة ، ولم يعذبه بالنار ، وأما من كثرت معاصيه ، وأوتى كتابه وراء ظهره ، فذلك الذى يناقش الحساب ، ويسأل عن كل كبيرة وصغيرة ، فقد حدثت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله ﷺ قال : (ليس احد يحاسب يوم القيامة الا هلك ، فقلت : يا رسول الله ، فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حساب يسيرا ؟ فقال رسول الله ﷺ : انما ذلك العرض ، وليس احد يناقش الحساب يوم القيامة الا عذب)^(١٣٥) والمراد بالمناقشة الاستقصاء فى المحاسبة ، والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة^(١٣٦)

وأما اخذ العباد صحائف أعمالهم يوم القيامة ، وقراءتهم لها ، فحق يجب الايمان به ومن أنكره كفر ، قال تعالى (وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)^(١٣٧) ويجب علينا أن نؤمن بما جاء فى قوله تعالى عن هذا الامر ، حيث قال : (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ، فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب الى اهله مسرورا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبورا ، ويصلى سعيرا ، انه كان فى اهله مسرورا ، انه ظن ان لن يحور ، بلى ان ربه كان به بصيرا)^(١٣٨)

والمراد بهذه الصحف التى يقرؤها العباد ، الكتب التى كتبت فيها الملائكة ، ما فعلوه فى الحياة الدنيا^(١٣٩) فقد عرفت أن من أركان الايمان التصديق بما أخبر به الله سبحانه عن ملائكته وأعمالهم ، والايمان بهم يكون بتصديق كل ما أخبر عنهم ربهم اجمالا وتفصيلا ، وأنه يجب علينا ان نؤمن بأن الله عز وجل وكل بنا من ملائكته من يحفظنا ، ويكتب اعمالنا واقوالنا ، وهم الحافظون الكرام الكاتبون ، الذين قال عنهم سبحانه وتعالى :

(وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون)^(١٤٠) وقال ايضا (هذا كتابنا ينطق بالحق ، انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)^(١٤١) فما يستنسخه هؤلاء الكرام يقرؤه العباد يوم القيامة . وأما الحساب فالمراد به توقيف الله تعالى العباد ، قبل الانصراف من المحشر ، على أعمالهم ، وأقوالهم واعتقاداتهم ، خيرا كانت أو شرا ، وذلك بعد اخذهم صحائفهم فيعرفون على أعمالهم ، وما لهم وما عليهم ، قال تعالى (ثم الى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون)^(١٤٢)

ثم أن الناس فى الحساب متفاوتون

(١٣٥) صحيح البخارى ج ١١ ص ١٣٨

(١٣٦) فتح البارى ج ١١ ص ٣٣٧

(١٣٧) الاسراء - الايتان ١٣ ، ١٤

(١٣٨) الانشقاق - الايات ٦ - ١٥

(١٣٩) شرح البجورى على جوهرة التوحيد ص ٢١٢

(١٤٠) الانفطار - الايات ١٠ - ١٢

(١٤١) الحانية - الآية ٢٨

(١٤٢) الاعام - الآية ١٠٨

فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا ، يعرض عليه عمله ، فيطلعه الله على سيئاته بحيث لا يطلع عليها احد ثم يعفو عنه ويأمر به الى الجنة

ومنه من يناقش الحساب بأن يسأل عن كل جزئيه ويطلب بالعدل والحجة فلا يقبل منه عذر ولا حجة فيهلك مع الهالكين ويأمر الله تعالى مناديا ينادى عليه بسيئات أعماله فيفتضح بين الخلائق فعلى المؤمن ان يحاسب نفسه قبل ان يحاسب ويبادر بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان ويؤمن بالحساب ويستعد له ، فقد قال تعالى (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين) (١٤٣) وقال رسول الله ﷺ (لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فم فعل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فم أبلاه ؟) (١٤٤)

وقد دلت الأحاديث الصحيحة أن قوما من أمة محمد ﷺ يتفضل عليهم ربهم ، ويستثنيهم من هذا الحساب ، ويدخلهم الجنة من غير حساب ولا عذاب ، فقد روى الامام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ﷺ يدخل من امتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب (١٤٥)

وأما كيفية الحساب فنؤمن بما ورد في القرآن عنها ، وفي حديث رسول الله ﷺ ولا ننقص ولا نسأل عن أكثر مما ورد : فنؤمن ان الله سبحانه يذكر كل عبد بما قدمه في الحياة الدنيا من خير أو شر ويشهد على العباد جميع من يستشهدهم الله عليهم (١٤٦) فتشهد الأرض بما حدث على ظهرها ، كما قال عز وجل (اذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الانسان ، ما لها ؟ يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (١٤٧) فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ (يومئذ تحدث أخبارها) فقال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالو : الله ورسوله اعلم ، قال : فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا قال : فهذه أخبارها (١٤٨)

ونؤمن أيضا بأنه يكون في هذا الحساب شهادة الأعضاء : من السنة وأيد وأرجل وجلود وغيرها على كل مافعله العبد ، وما أخبر الله تعالى من تحاور أعداء الله مع هذه الشهود ، قال عز وجل ، (ويوم نخسر أعداء الله الى النار فهم يوزعون ، حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) (١٤٩)

ونؤمن أيضا انما أخبرنا به رسول الله ﷺ من رحمة الله عز وجل بعباده المؤمنين عند الحساب ، دون

(١٤٣) أخرجه الترمذى وقال عنه حديث حسن صحيح انظر صحيح الترمذى بشرح ابن

العري ج ٩ ص ٢٥٣

(١٤٤) الانبياء - الآية ٤٧

(١٤٥) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٨٨

(١٤٦) قال محمود خطاب السبكي : (وأعلم انه يشهد على الباصى أحد عشر شاهدا في اليوم المشهود : اللسان والأيدى والأرجل والسمع والبصر والجلد والأرض والليل والنهار ، والحفظة الكرام والمال) ثم ساق على ذلك عدد من الآيات والأحاديث - انظر التبيين المختصر ج

١ ص ١٠٥ وما بعدها

(١٤٧) سورة الزلزلة

(١٤٨) رواه الترمذى وقال حسن غريب - انظر صحيح الترمذى بشرح ابن العري ج ٩ ص ٢٦٠

(١٤٩) فصلت - الآيات ١٩ - ٢٢

الكافرين ، فيخلو سبحانه بعبد المومن ، ويقرره بذنوبه ويسر عليه ، ولا يناقشه الحساب ، فقد ورد انه قيل لابن عمر رضى الله عنهما كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى (مناجاة الله لعبده المومن في الآخرة) قال : سمعته يقول (يدنوا احدكم من ربه ، حتى يضع كنف عليه ، فيقول أعملت كذا وكذا فيقول نعم ، ويقول : أعملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره ثم يقول : انى سترت عليك في الدنيا وانى اغفرها لك اليوم ثم يعطى صحيفة حسناته وأما الكفار فينادى على رؤوس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم اللعنة الله على الظالمين)^(١٥٠)

٩ - الحوض :

ويجب علينا أن نؤمن بما أخبر به المصطفى ﷺ عن الحوض الذى تفضل الله به عليه وعلى امته ، فان الاحاديث الواردة فى ذلك تبلغ حد التواتر ، رواها من الصحابة اكثر من ثلاثين صحابيا^(١٥١) ويكون أول من يرده نبينا محمد ﷺ ثم ترده بعده امته ويترده عنه الكفار وطائفة من العصاة وأهل الكبائر^(١٥٢) وذلك بعد الانتهاء من الموقف بما فيه من أهوال وعرض وحساب وقراءة الصحف ، وغيرها قال رسول الله ﷺ (انا فرطكم)^(١٥٣) على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ ابداً وليردن على أنفوسهم ويعرفوننى ، ثم يحال بينى وبينهم ، فيقول ﷺ انهم امتى : فيقال : انك لاتدرى ما عملوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن بدل بعدى^(١٥٤) وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلى على اهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف الى المنبر فقال : (انى فرط لكم ، وانا شهيد عليكم ، والله لأنظر الى حوضى الان ، وانى قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض أو مفاتيح الارض ، وانى والله ما أخاف عليكم ان تشركوا بعدى ، ولكن أخاف أن تتنافسوا فيها)^(١٥٥) واخرج البخارى ومسلم عن أسماء بنت أبى بكر ان رسول الله ﷺ قال (انى على الحوض حتى انظر من يرد منكم ، وسيؤخذ اناس دونى فأقول : يارب منى ومن امتى ، فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم)^(١٥٦)

هذا ونؤمن بما ورد فى صفته على لسان رسول الله ﷺ ونحمله على ظاهره لانزید عليه ولا ننقص منه قال شارح العقيدة الطحاوية : (والذى يتلخص من الاحاديث الواردة فى صفة الحوض : انه حوض عظيم ، ومورد كريم ، يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر ، الذى هو اشد بياضا من اللبن ، وأبرد من الثلج واحلى من العسل ، أطيب ريحا من المسك ، وهو فى غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية

(١٥٠) متفق عليه - انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١٢ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨

(١٥١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ وشرح النووى على صحيح مسلم ج ١٥ ص ٥٢ وشرح العقيدة الواسطية لعماد خليل هراس

ص ١١٥ وشرح السحورى على الخويزة ص ٢٢٣ والمدین الخالص ج ١ ص ١١١

(١٥٢) الدين الخالص ج ١ ص ١١١

(١٥٣) الفرط هو من يتقدم الواردة ليرتاد ثم المارة ويلبسه الاجنة والنداس والمعنى انا متقدمكم وسابقكم الى الحوض

(١٥٤) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥ ص ٥٣ ، ٥٤

(١٥٥) متفق عليه - انظر صحيح البخارى - كتاب الخائز - باب الصلاة على الشهيد ، وصحيح مسلم بشرح النووى - ص ١٥ ص ٥٧

(١٥٦) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥ ص ٥٥

من زواياه مسيرة شهر ، وفي بعض الاحاديث : انه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع .. فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء)^(١٥٧)

ومن الاحاديث الواردة في صفة الحوض ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انه قال : قال النبي ﷺ (حوضي مسيرة شهر مأؤه ابيض من اللبن ، وريحه اطيب من المسك ، وكيزانه^(١٥٨) كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبدا)^(١٥٩)

والاحاديث الصحيحة الواردة في ذكر حوض نبينا ﷺ كثيرة ، بلغت حد التواتر ، وتصديقها من الايمان ، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : (احاديث الحوض صحيحة ، والايمان به فرض ، والتصديق به من الايمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ، لا يتأول ، ولا يختلف فيه .. وحديثه متواتر النقل ، رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمرو بن العاص وعائشة وام سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب ، والمستورد وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ، ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق ، وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله بن زيد وأبي برزة وسويد بن حبله وعبد الله بن الصنابجي والبراء ابن عازب ، وأسما بنت أبي بكر وخولة بنت قيس وغيرهم ... وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا)^(١٦٠)

هذا وقد ورد في بعض الاحاديث الصحيحة ان لكل نبي حوضا ، وان حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردا^(١٦١)

١٠ - الميزان :

ويجب علينا أن نؤمن بما أخبر به الله عز وجل ، ورسوله ، من أن أعمال العباد ، خيرا وشرا ، توزن يوم القيامة بميزان ، أظهر العدل الله فقد قال سبحانه وتعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وأن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين)^(١٦٢) وقال تعالى (والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون)^(١٦٣) وقال ايضا (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه ، فأما هاهوية)^(١٦٤)

وتدل الاخبار على انه ميزان حقيقي ، له كفتان ، وأن الله سبحانه يحول أعمال العباد الى أجسام لها ثقل ، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة^(١٦٥) وفي ذلك قال ابن القيم في قصيدته المشهورة:

(١٥٧) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥١

(١٥٨) اي آيته أو أباريقه

(١٥٩) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٣٩٦ - ٣٩٨ وهو في صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٥٥

(١٦٠) نقله عن القاضي عياض النووي في شرحه على صحيح مسلم ج ١٥ ص ٥٣

(١٦١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥١ ، شرح البيهقي على الجوهرة ص ٢٢٣ والدين الخالص ج ١ ص ١١١

(١٦٢) الانبياء - الآية ٤٧

(١٦٣) الاعراف - الايتان ٨ ، ٩

(١٦٤) القارعة - الايتان ٧ ، ٨

(١٦٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٢ ، شرح العقيدة الواسطية ل محمد خليل هراس ص ١٢٣ ، الدين الخالص ج ١ ص ١٠٧

أفما تصدق أن أعمال العباد تحط يوم العرض في الميزان
وكذلك تثقل تارة وتخف أخرى ذاك في القرآن ذو تبيان
وله لسان كفتان تقيمه والكفتان اليه ناظرتان
ماذاكم أمرا معنويا بل هو المحسوس حقا عند ذى الإيمان^(١٦٦)

هذا ويكون وزن الاعمال بعد اتمام الحساب لأن الوزن للجزاء ، فيكون بعد المحاسبة التي هي لتقرير
الاعمال الحادثة فيكون الوزن لظهور مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها^(١٦٧) ولكن لا يكون وزن في حق
الانبياء والملائكة ومن استثناهم الله من الحساب^(١٦٨)
١١ - الصراط :

ونؤمن أنه يكون بعد الحساب والميزان انصراف الناس من الموقف ، ليمروا فوق الجسر المنصوب على
جهنم ، وهو الصراط

والمرور على الصراط عام لجميع الناس : الانبياء والصدّيقين ، والمؤمنين ، والكفار ، ومن يحاسب
ومن لا يحاسب ، ومن استقام على صراط الله الذي هو دين الحق في الدنيا ، استقام على هذا
الصراط^(١٦٩) في الآخرة ، وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن الناس يمرون عليه ، وتكون سهولة
ذلك عليهم بقدر أعمالهم في الحياة الدنيا : فمنهم من يمر كأنقضاض الكواكب ، ومنهم من يمر
كالريح ، ومنهم من يمر كالطرف ، ومنهم من يمر بومل رملا ، فيمرون على قدر أعمالهم ، حتى يمر المقل
في العمل الصالح تمر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه ألماً ، فيخلصون فإذا خلصوا
قالوا : الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك ، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد^(١٧٠)
هذا وقد ورد في ذكر الصراط جملة أحاديث صحيحة ، نذكر لك منها هذا الحديث الذي أخرجه
الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه :

قد أخبر أن ناسا قالوا لرسول الله ﷺ يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله
ﷺ هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون في الشمس
ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : فانكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة
فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر
القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت^(١٧١) الطواغيت ، وتبقى هذه الامة فيها منافقوها^(١٧٢) فيأتيهم الله

(١٦٦) انظر قصيدة ابن القيم مع شرحها ج ٢ ص ٥٩٣

(١٦٧) نقل ذلك عن القرطبي شارح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٢

(١٦٨) شرح البنجوري على الجوهرة ص ٢١٥

(١٦٩) اصل الصراط - الطريق ، ويلفظ بالسين ايضا واشتقاقه من سراط اى ابتلع. وقيل سمى بذلك لانه يسطرط السابلة (المارة) اى يتلهم

- انظر المصباح المنير

(١٧٠) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٠ والعقيدة الواسطية مع شرحها لمحمد خليل هراس ص ١٢٦

(١٧١) قال أهل اللغة : الطواغوت كل ما عبد من دون الله تعالى انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣ ص ١٨

(١٧٢) قال العلماء : انما بقوا في زمرة المؤمنين لانهم كانوا في الدنيا متسترين بهم فيستترون بهم ايضا في الآخرة ، ويسلكون مسلكهم ويدخلون

في جملتهم ويتبعونهم ويمشون في نورهم حتى يضرب الله بينهم بنور ويذهب عنهم نور المؤمنين ، حتى يكون مقرهم الدرك الاسفل من

الار - انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣ ص ١٩

تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ^(١٧٣) هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتهم الله تعالى في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب ^(١٧٥) مثل شوك السعدان ^(١٧٦) هل رأيتم السعدان ؟ قالوا نعم يا رسول الله ، قال : فانها مثل شوك السعدان ، غير انه لا يعلم ما قدر عظيمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ^(١٧٧) فمنهم المؤمن بقى بعمله ^(١٧٨) ومنهم المجازي حتى ينجى ^(١٧٩)

هذا والمرور على الصراط هو ورود المذكور في قوله تعالى (وان منكم الا واردها) ^(١٨٠) فانه لا ينجو منه أحد كما تقدم فقد روى الامام مسلم أن رسول الله ﷺ قال (لا يدخل النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ، الذين بايعوا تحتها ، فقالت حفصة (وان منكم الا واردها) فقال النبي ﷺ قد قال الله عز وجل (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ^(١٨١) فأشار عليه الصلاة والسلام الى ان ورود النار لا يستلزم دخولها ^(١٨٢) فالجميع يبرون من فوق جهنم فوق الصراط وينجى الله المؤمنين ، وينذر الظالمين فيها جثيا ، ثم اذا عبر المؤمنون الصراط ، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص من بعضهم لبعض ، فإذا هذبوا اذن لهم في دخول الجنة ، روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول ﷺ انه قال (يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى اذا هذبوا ونقوا اذن له في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا) ^(١٨٣)

^(١٧٣) قال القرطبي في تأويل ذلك : هو مقام هائل يجتحن الله به عباده ليميز الخبيث من الطيب وذلك انه لما بقى المنافقين مختلطين بالمؤمنين زاعمين انهم ظانين ان ذلك يجوز في ذلك الوقت كما جاز في الدنيا امتحنهم الله بأن أتاهاهم بصورة هائلة قالت للجميع : أنا ربكم ، فأجابهم المؤمنون بانتكار ذلك لما سبق لهم من معرفته سبحانه وانه منزّه عن صفات هذه الصورة فلهمذا قالوا: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا نقل هذا عن القرطبي ابن حجر في فتح الباري ج ١١ ص ٣٨٠ ، ٣٨١

^(١٧٤) لفظ البخاري (وبه) اي في الجسر المنسوب على جهنم

^(١٧٥) جمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة ، وهو حديدة معطوفة الرأس

^(١٧٦) نبت له شوك عظيمة من كل الجوانب

^(١٧٧) يجوز أن يكون المعنى تخطفهم بسبب اعمالهم ويجوز ان يكون معناها تخطفهم على قدر اعمالهم، شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣ ص ٢١

^(١٧٨) لفظ البخاري: (فمنهم الموق بعمله ومنهم المخردل) أي المقطع أو المصروع

^(١٧٩) جزء من حديث أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم ، انظر صحيح البخاري ج ١١ ص ٣٦٧ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٧

^(١٨٠) مريم - الآية ١٧

^(١٨١) مريم - الآية ٧٢ والحديث أخرجه الامام مسلم - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٥٧

^(١٨٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧١

^(١٨٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٣٣٦

١٢ - الجنة والنار :

وبعد ذلك كله نؤمن بوجود الجنة والنار ، وأنهما مخلوقتان من مخلوقات الله عز وجل أعدهما للشواب والعقاب ، وأنه سبحانه وتعالى خلقهما قبل الخلق ، وأنهما موجودتان الآن ، وأنهما باقيتان الى الابد لاتفنيان ولا تبيدان ، قال تعالى عن النار : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون)^(١٨٤) وقال ايضا (يوم نقول لجهنم هل امتلأت ، وتقول : هل من مزيد)^(١٨٥) وقال عز وجل مخبرا عن بعض مافيها : (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ، أنا جعلناها فتنة للظالمين ، انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ، طلعتها كأنه رؤوس الشياطين ، فانهم لاكلون منها فمالثون منها البطون ثم أن لهم عليها لشوبا من حميم)^(١٨٦) وقال رسول الله ﷺ في وصف النار : (ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، قيل : يا رسول الله : ان كانت لكافية ، قال : فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها)^(١٨٧) وقال عليه الصلاة والسلام في وصف أخف العذاب في النار (ان اهن النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلى منها دماغه)^(١٨٨)

وأما الجنة فقد أكثر الله سبحانه من ذكر نعيمها في كتابه الكريم ، من ذلك : قوله تعالى (ان المتقين في مقام أمين ، في جنات وعيون ، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ، لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم ، فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم)^(١٨٩)

وقال ايضا : (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ، هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ ، من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ، ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ، لهم ما يشاؤون فيها ولدناهم)^(١٩٠) وقال ايضا (ان المتقين في جنات ونعيم ، فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ، والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما اتاهم من من عملهم من شيء ، كل

(١٨٤) التحريم - الآية ٦

(١٨٥) ق - الآية ٣

(١٨٦) الصافات - الآيات ٦٠ - ٦٧

(١٨٧) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٦ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ الموطأ ص ٦١٤

(١٨٨) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١١ ص ٣٦١ .

(١٨٩) الدخان - الآيات ٥١ - ٥٧

(١٩٠) ق - الآيات ٣١ - ٣٥

أمرى بما كسب رهين ، وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ، يتازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ، ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ^(١٩١) وقال رسول الله ﷺ في وصف نعيم الجنة: أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقرأوا ان شئتم : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) ^(١٩٢)

كذلك نؤمن بما يكون من تحاور وتخطب بين أهل الجنة وأهل النار ، فانظر الى هذا المشهد في سورة الاعراف : (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، قالوا : نعم ، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ، الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا ، وهم بالآخرة كافرون) ^(١٩٣) ثم قال سبحانه وتعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا : ان الله حرمهما على الكافرين :) ^(١٩٤)

وأما خلود الجنة والنار ، وخلود المؤمنين في الاولى والكافرين في الثانية فقد تكرر ذكره والتأكيد عليه في معظم المواقع التي ذكرت فيها الجنة والنار في كتاب الله عز وجل . وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ (اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى ينادى مناد : يا أهل الجنة : لاموت يا أهل النار : لاموت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم) ^(١٩٥)

الايان بقضاء الله وقدره

الايان بالقدر احد اركان العقيدة الاسلامية ، وهو الركن السادس للايمان ، فمن كفر بالقدر خرج من دين الله عز وجل

وقد تقدم حديث عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال عندما سألته جبريل عن الايمان (ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) ^(١) تعريف القضاء والقدر :

اختلفت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر ، فمنهم من جعلهما شيئا واحدا ومنهم من عرف القضاء تعريفا مغايرا للقدر ، فقال :

القدر : علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل ^(٢) والقضاء : ايجاد الله تعالى الاشياء حسب علمه وارادته .

(١٩١) الطور - الايات ١٧ - ٢٤

(١٩٢) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٦ ص ٣٤٧

(١٩٣) الاعراف - الايات ٤٤ ، ٤٥

(١٩٤) الاعراف - الاية ٥٠

(١٩٥) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١١ ص ٣٥١

(١) انظر تخرىج الحديث في ص ٥

(٢) تبسيط العقائد الاسلامية لحسن ايوب ص ٧٧

وقد عكس بعضهم ، فجعل تعريف القضاء السابق للقدر ، وتعريف القدر للقضاء والامر محتمل^(٣) ومن عرفهما تعريفا واحدا قال : (هو النظام المحكم الذى وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة ، والسنن التى ربط بها الاسباب بمسبباتها)^(٤) وهذا المعنى هو ماوردت به آيات القرآن التى ذكرت القدر ، مثل قوله تعالى (وكل شئ عنده بمقدار)^(٥) وقوله تعالى (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر)^(٦) وقوله تعالى (انا كل شئ خلقناه بقدر)^(٧) وما أجمل جواب الامام احمد عندما سئل عن القدر فقال : القدر قدرة الرحمن يقول ابن القيم فى قصيدته الكافية الشافية :^(٨)

فحقيقة القدر الذى حار الورى فى شأنه هو قدرة الرحمن
واستحسن ابن عقيل ذا من احمد لما حكاه عن الرضى الربانى
والحق أن تعريف احمد رحمه الله تعالى قد كفى وشفى ، فالقدر يعنى ماقرره الله سبحانه فى قوله تعالى
(قل الا الامر كله لله)^(٩) وفى قوله : (واليه يرجع الامر كله)^(١٠) وفى قوله (بيده ملكوت كل شئ)^(١١) وقوله (يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه)^(١٢) وغير ذلك من الآيات التى تدل على أنه لا يحدث شئ فى الكون الا بإرادة الله ومشئته
وعقيدة القدر مبنية فى حقيقتها على الايمان بصفات الله العلى ، واسمائاته الحسنى ومنها : العلم ، والقدرة ، والارادة ، قال تعالى : (وهو بكل شئ عليم)^(١٣) وقال : (وهو على كل شئ قدير)^(١٤) وقال (فعال لما يريد)^(١٥)
قال الطحاوى : (وكل شئ يجرى بتقديره ومشئته ، ومشئته تنفذ ، لامشيئة للعباد الا ما شاء الله ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا راد لقضائه ،

- (٣) كبرى اليقينيّات الكونية ص ١٤٧
(٤) العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ٩٥
(٥) الرعد - الآية ٨
(٦) الحجر - الآية ٢١
(٧) القمر - الآية ٤٩
٩٨
(٨) شرح قصيدة ابن القيم ج ١ ص ٢٥٤
(٩) آل عمران - الآية ١٥٤
(١٠) هود - الآية ١٢٣
(١١) يس - الآية ٨٣
(١٢) يونس - الآية ٣
(١٣) البقرة - الآية ٢٩
(١٤) الحديد - الآية ٢
(١٥) المروج - الآية ١٦

معنى الايمان بالقدر :

ويجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر ، خيره وشره ، حلوه ومره . ويقصد بالايمان بالقدر الايمان بعلم الله القديم ، والايمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ، وفي بيان ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيميه . (الايمان بالقدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الاولى :

الايمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون ، بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والآزاق والآجال ، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ، فأول ما خلق الله القلم ، قال له اكتب ، قا ما اكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة ، فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الاقلام وطويت الصحف ، كما قال تعالى : ^(١٧) ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض ، ان ذلك فى كتاب ، ان ذلك على الله يسير ^(١٨) وقال : (ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير)

وأما الدرجة الثانية :

فهى الايمان بمشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، وهو الايمان بان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وانه ما فى السموات وما فى الارض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه ، لا يكون فى ملكه ما لا يريد ، وانه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق فى الارض ولا فى السماء الا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ، ولا رب سواه ، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته ، هو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ، والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلى والصائم ، وللعباد قدرة على اعمالهم ، ولهم ارادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم ^(١٩) واراقتهم

فيتحصل من كلام ابن تيميه رحمه الله ان الايمان بالقدر يشتمل على اربع مراتب هى :

الاولى : الايمان بعلم الله القديم وانه علم اعمال العباد قبل عملوها

الثانية : كتابة ذلك فى اللوح المحفوظ

الثالثة : مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة

الرابعة : ايجاد الله لكل المخلوقات ، وانه الخالق وكل ماسواه مخلوق .

(١٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٣

(١٧) الحج - الآية ٧٠

(١٨) الحديد - الآية ٢٢

(١٩) انظر الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ص ٣٥٢، ٣٥٣

هذا وان تقسيم القدر الذى يجب الايمان به الى خير وشر ، انما هو باضافته الى الناس والمخلوقات ، اما بالنسبة لله عز وجل ، فالقدر خير كله ، والشر لا ينسب الى الله^(٢٠) فعلم الله ومشيتته وكتابته وخلقه للاشياء والحوادث ، هذا كله حكمة وعدل ورحمة وخير ، فان الشر لا يدخل فى شيء من صفات الله تعالى ولا افعاله ، ولا يلحق ذاته تبارك وتعالى نقص ولا شر ، فله الكمال المطلق والجلال التام^(٢١) ولذلك لا يجوز إضافة الشر الى الله مفردا وانما يجوز ان يدخل الشر فى العموم كقوله تعالى : (الله خالق كل شيء)^(٢٢) ويجوز ان يضاف الى السبب كقوله تعالى (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق)^(٢٣) ويجوز ان يذكر بحذف فاعله ، كقوله تعالى فيما حكاه عن الجن (وأنا لا ندرى اشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا)^(٢٤)

والحق ان الله تعالى لم يخلق شرا محضا من جميع الوجوه ، فان حكمته سبحانه تأبى ذلك ، فلا يمكن فى جانبه تعالى ان يريد شيئا يكون فسادا من كل وجه ، ولا مصلحة فى خلقه بوجه ما ، فانه تعالى بيده الخير كله والشر ليس اليه ، بل كل ما اليه فخير ، والشر انما حصل لعدم النسبة اليه ، فلو نسب اليه لم يكن شرا ، وهو من حيث نسبته الى الله تعالى خلقا ومشيتة وليس بشر المرض مثلا شر ومصيبة بالنسبة للانسان عاجلا ، ولكنه خير فى الآجل ، وخير بالنسبة لله عز وجل لما يعلم ما يعقبه من مغفرة الذنوب ، وتطهير النفوس ، وكذلك سجن اعداء الله للمؤمنين شر فى ظاهره لما فيه من الآلام والحن ، ولكنه تمحيص للنفوس ، وتطهير للمصفوف ، وتربية للارواح ، فضلا عن الثواب الجزيل والخير العميم ، وخلق ابليس فيه حكم كثيرة ظاهرة ، كتوبة البشر بعد الزلل ، واستخراج عبودية المؤمنين لله تعالى بمجهاد ابليس وحزبه ، والصبر على اغرائه واغوائه ، والاتجاء الى حمى الله ، واللياذ بركنه^(٢٥) الركين^(٢٦)

(٢٠) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٩٤ ، ٩٥ . وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨٢ والروضة الندية ص ٣٥٦

(٢١) انظر كتاب الحسنة والسيئة لا بن تيمية ص ١٩٠ ، وتيسير العزيز الحميد ص ٣٥

(٢٢) الزمر - الآية ٦٢ (٢٣) الفلق - الايتان ١ . ٢

(٢٤) الجن - الآية ١٠ (٢٥) الدين الخالص ج ١ ص ١٤٤ . الروضة الندية ص ٣٥٦

(٢٦) ذكر ابن قيم الجوزية حكما كثيرة مترتبة على خلق ابليس منها :

- ١- ان تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق هذه الذات التى هى اخبث الدواب وسبب كل شر فى مقابلة ذات جليل عليه السلام التى هى من اشرف الدواب واطهرها وأزكاها . وهى سبب كل خير وظهرت قدرته سبحانه ايضا لى خلق الليل والنهار والدواء والداء ، والحياة والموت ، والحسن والقبيح . وغير ذلك مما يدل اعظم الدلالة على كمال قدرته سبحانه
- ب- ظهور اثار اسماء الله القهية مثل القهار والمنتقم والشديد العقاب والسريع الحساب . ذى البطش الشديد . والمعز والمذل . فهذه الاسماء والافعال لا بد من وجود ما تتعلق به ولو كان الجن والانس على طبيعة الملائكة لم يظهر اثر هذه الاسماء
- ج- ظهور اثار اسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وسره وتجاوزة عن حقه ، وعتقه لمن شاء من عباده ، فلولا خلق الاسباب المفضية الى ظهور اثار هذه الاسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد .
- د- ظهور اثار اسماء الحكمة والخبرة فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو اعلم حيث يجعل رسالته . واعلم بمن يصلح لقبولها ويشكر له جميل صنعه

هـ- اظهار واستخراج العبوديات المتنوعة التى لولا خلق ابليس لما ظهرت ... كالجهاد والموالاتة والمحبة لى الله ، والبغض لى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوبة الى الله والرجوع اليه ، ومخالفة عدو الله والاستعاذة بالله منه والامعاط والحذر من الغرور وغير ذلك - انظر مدارج السالكين ج ٢ ص ١٩٤

وهكذا فان كل ما كان شرا انما هو امر نسبي اضافي ، فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به ، وشر بالنسبة الى من هو شر في حقه ، فله وجهان هو من احدهما خير ، وهو الوجه الذي نسب منه الى الخالق سبحانه وتعالى ، خلقا وتكويناً ومشية ، لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها ، واطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها^(٢٧)

احتجاج الكفار بالقدر :

هذا وقد اراد المشركون ان يحتجوا بقدر الله ومشيته على شركهم ، وانه لو لم يشأ لهم الشرك لما وقعوا فيه ، فأبطل الله حجتهم ودحضها بقوله عز وجل :

(سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباؤنا . ولا حرمننا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن ، وأن انعم الا تخرسون ، قل فليله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين)^(٢٨) فهذا هو جواب رب العزة لمن احتج بقدره سبحانه على معصيته ، والله الحجة البالغة ، وجوابه سبحانه للمحتجين بالقدر واضح كل الوضوح ، لقيامه على امرين بدهيين مسلمين لا يمارى فيهما الا من استحب العمى على الهدى ، فاستحق الهلاك ، وهما :

الاول : ان الله عز وجل اذاق الكافرين الاول بأسه ، وانزل بهم عقابه ، فلو لم يكونوا مختارين لما ارتكبوه من الجرائم والآثام والكفر والشرك ، لما عذبهم الله ، لانه عادل لا يظلم احدا ، والذي يحتج بقدر الله على الكفر والمعصية لا يعدو احد اثنين : فأما أن يكون مؤمنا بوجود الله ، واما ان يكون منكرا ، فاذا كان الاول لزمه الاعتقاد بعدل الله وتنزهه عن الظلم ، لان الظلم نقص لا يليق بالخالق ، لانه تجاوز الحد ، والله سبحانه لا يعتره نقص بحال من الاحوال ، ولا شك في ان عقاب المكروه على الفعل ظلم ، والاحتجاج بقدر الله على معصيته ، مع ظهور عقابه سبحانه للعصاة ، فيه نسبة الظلم اليه ، وهو امر يتنافى مع الايمان بالله عز وجل وان كان المحتج بالقدر منكرا لله فان احتجاجة بالقدر تناقض ومما حكمة لا يستحق الجواب :

الثاني : ان المحتج بالقدر على كفره ومعصيته متقول على الله بغير علم ، اذ كيف يصح للكافر او العاصي ان يحتج بأن الله كتب عليه الكفر أو المعصية قبل صدور ذلك منه ، وقدر الله قبل وقوعه غيب لا يعلمه الا الله عز وجل مع انه مخاطب قبل اقدامه على عصيان ربه بطاعته والتزام امره ؟ وبعبارة اقرب :

كيف يصح لرجل ان يقول : كتب على ربي ان اسرق فأنا ذاهب لتنفيذ قدره ؟ فهل اطلع على اللوح المحفوظ ، فقرأ ما فيه ، حتى يعلم ما كتب الله عليه ، في وقت كان مخاطبا بالامتناع عن معصية الله السرقة وغيرها ؟

ويمثل هذه الحجة البالغة أجاب سبحانه على هؤلاء المتذرعين بقدر الله في مواضع اخرى من القرآن ، من ذلك قوله تعالى : (واذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون ^(٢٩))

والواقع ان هذا الاسلوب القرآني في الرد على امثال هؤلاء جاء ليصحح للناس منهجهم في الفكر والنظر ، ويبين لهم أن المطلوب منهم هو تنفيذ اوامره سبحانه ، واجتناب نواهيه ، وليس المطلوب ان يبحثوا عن غيبه المستور ليكيفوا انفسهم على حسبه . يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى عليه في ضلال آية الانعام السابقة :

(واللمسة الثانية ^(٣٠)) كانت بتصحيح منهج الفكر والنظر ، ان الله امرهم بأوامر ونهاهم عن محظورات ، وهذا ما يملكون ان يعلموه علما مستيقنا .. فأما مشيئة الله فهي غيب لا وسيلة لهم اليه ، فكيف يعلمونه ؟ واذا لم يعلموه يقينا فكيف يحيلون عليه ان الله اوامر ونواهي معلومة علما قطعيا فمن اذا يترك هذه المعلومات القطعية وراء الحسد والحرص في واد لا يعلمونه .

هذا هو فصل القول في هذه القضية ان الله لا يكلف الناس أن يعلموا غيب مشيئته وقدره حتى يكيفوا انفسهم على حسبه . انما يكلفهم ان يعلموا اوامره ونواهيه ليكيفوا انفسهم على حسبها .. وهم حين يحاولون هذا يقرر الله سبحانه انه يهديهم اليه ، ويشرح صدورهم للاسلام .. وهذا حسبهم في القضية ، التي تبدو عندئذ في واقعها العملي ، يسيرة واضحة ، بريئة من غموض ذلك الجدل وتحكماته .

ان الله قادر لو شاء على ان يخلق بني آدم ابتداء بطبيعة لا تعرف الا الهدى او يقهرهم على الهدى ، او يقذف بالهدى في قلوبهم ، فيبتدوا بلا قهر ولكنه سبحانه شاء غير هذا ؟ شاء ان يتلى بني آدم بالقدرة على الاتجاه على الهدى أو الضلال ، ليعين من يتجه منهم الى الهدى على الهدى ، وليجد من يتجه منهم الى الضلال في غيه وفي عميانه .. وجرت سنته بما شاء ...

فالقضية واضحة ، مصوغة في ايسر صورة يدركها الادراك البشري ، فأما المعاضلة فيها والمجادلة ، فهي غريبة على الحس الاسلامي ، وعلى المنهج الاسلامي .. ولم ينته الجدل فيها في أية فلسفة أو أى لاهوت الى نتيجة مريحة ، لانه جدل يتناول القضية بأسلوب لا يناسب طبيعتها ...

وبعد فلقد جاء هذا الدين ليحقق راقعا عمليا ، تحده أوامر ونواه واضحة ، فالاحالة الى المشيئة الغيبية دخول في متاهة ، يرتادها العقل بغير دليل ، ومضيعة للجهد الذي ينبغي ان ينفق في العمل الايجابي ^(٣١) الواقعي)

(٢٩) الاعراف - الآية ٢٨

(٣٠) يقصد قوله تعالى (قل هل عدى من علم فتحرجه لنا؟)

(٣١) في ضلال القرآن ط دار الشروق ج ٨ ص ١٢٢٧

فيا أخى. القارىء انت مطالب قبل الفعل ، بطاعة الله وعدم معصيته ، وبعد الفعل : فان اطعت الله : فعليك شكره اذ هداك ، وان عصيته فأنت مخاطب بوجوب التوبة والرجوع اليه ، ثم ان تكل امرك اليه وتستيقن بعدله وحكمته ، وان تكره المعصية قبل وقوعك فيها ليصدق ذلك عنها ، وبعد وقوعها ليدفعك ذلك الى التوبة الى الله تعالى ولتعلم ان ليس في كراهيتك للمعصية كراهة قدر الله وانما انت مطالب بكره ما يكره الله وحب ما يحب ، وان توافق ربك في رضاه وسخطه فترضى بما رضى به وتسخط بما سخط الله منه ، ولتعلم ايضا ان الله لا يحب الكفر ، ولا يرضاه لعباده ولا يحب ان يعصى ، ولا يرضى ذلك لعباده ، فقد قال سبحانه (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم)^(٣٢)

خفاء القدر وكراهة الخوض فيه :

ذاك ما يحتاج اليه المؤمن في القضاء والقدر ، فيكفيه ان يعلم معناه ودرجاته وأن يؤمن به ، وان الله عليم بكل شيء وخالق كل شيء ومالم يشأ لم يكن ، وانه عادل لا يظلم احدا ، وانه حكيم منزّه من العبث ، ولا يحتاج هذا الموضع الى اكثر من ذلك ، وما علم الله حاجتنا اليه بينه لنا ، وما طواه عنا لا يجوز ان نتكلف البحث عنه ، فنختلف ونهلك فان عقولنا محدودة ، خلقها الله للاسهام في عمارة الدنيا ، وليست وظيفتها اكتشاف الغيب الذى استأثر بعلمه خالقها ، وليس امامنا الا التسليم والايمان بما يعرفنا الله عليه من امور الغيب وقضاياه ، ومن هذه القضايا : الصلة بين خلق الله للأفعال واردة الانسان وفعله لهذه الافعال

وليست هذه هي القضية الغيبية الوحيدة التى لا يدرك العقل كنهها ، فصفت الله عز وجل ندرك آثارها ، ولا ندرك كيفياتها شأنها الذات الالهية التى لا يستطيع العقل البشرى ادراكها^(٣٣) ولهذا نهى الرسول ﷺ عن الخوض في القدر والعمق فيه فقد اخرج الامام احمد باسناده عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر ، قال فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب ، قال : فقال لهم مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ، بهذا هلك من كان قبلكم^(٣٤)

وما أحسن ما قاله الامام الطحاوى رحمه الله (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان . فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة ، فان الله تعالى طوى علم القدر عن انامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)^(٣٥) فمن سأل : لم فعل ؟ فقد

(٣٢) الزمر - الآية ٧

(٣٣) تبسيط العقائد الاسلامية

(٣٤) انظر الفتح الرباني ج ١ ص ١٤٢ ، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٣

(٣٥) تيسير العزيز الحميد ص ٦٢٠ العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ٩٩ . والشرعة للاجرى ص ٢٠٢

(٣٦) الانبياء - الآية ١٢

رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين ، فهذا جملة ما يحتاج اليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى ، وهي درجة الراسخين في العلم ، لان العلم علمان : علم في الخلق موجود ، وعلم في الخلق مفقود ، فانكار العلم الموجود كفر ، وادعاء العلم المفقود كفر ، ولا يثبت الايمان الا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود (٣٧) أثر عقيدة القدر في المسلم :

لقد بنى هذا الدين على التسليم لحكمة الله وادارته ، وعدم الاسئلة عن تفاصيل الحكمة الربانية في الاوامر والنواهي ، وكذلك كان اصحاب الانبياء ، فان قدم الاسلام لاثبتت الا على درجة التسليم ، فأول مراتب تعظيم الامر التصديق به ، ثم العزم الجازم على امتثاله ، ثم المسارعة اليه والمبادرة به (٣٨) وهكذا كان الصحب الكرام ، فقد كانوا شديدي الادب مع ربهم ، ومع رسول الله ﷺ فقد قال فيهم ابن عباس رضي الله عنهما (ما رأيت قوما خيرا من اصحاب رسول الله ﷺ ، ماسألوه الا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض) (٣٩) وفي مسألة القدر اجمع الصحابة والتابعون وجميع اهل السنة والحدث ان كل كائن الى يوم القيامة ، فهو مكتوب في ام الكتاب

عن ابن الديلمى قال : أتيت أبا بن كعب ، فقلت له : قد وقع في نفسى شيء من القدر فحدثنى لعل الله يذهب من قلبى ، فقال : لو ان الله تعالى عذب اهل سماواته وأهل ارضه ، عذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم ، ولو انفقت مثل احد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار ، قال : ثم أتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك ، ثم أتيت حذيفة ، فقال مثل ذلك ، ثم أتيت زيد ابن ثابت فحدثنى عن النبي ﷺ مثل ذلك (٤٠)

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال لابنه عند الموت : يا بني ، انك لن تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان أول ما خلق الله القلم ، قال له : اكتب ، فقال : يارب وما اكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، يا بني انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من مات على غير هذا فليس منى (٤١)

(٣٧) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٦ ، ١١٢

(٣٨) شرح العقيدة الطحاوية

(٣٩) اعلام الموقعين ج ١ ص ٧١

(٤٠) رواه أبو داود وابن ماجه واحمد الطبراني وابن حمدان وفي اسنادة سعيد بن سنان الشيباني وثقة ابن معن وتكلم فيه احمد وغيره - انظر جمع الفوائد من جامع الاصول وجمع الروايات ج ٢ ص ٢١٨ وكتاب الشريعة للأجري ص ٢٠٣ وصحيح الجامع الصغير ج ٥ ص ٥٧ ،

هذا وقد كان لهذه العقيدة في نفوس اصحاب الرسول ﷺ اجل الامل فقد انطلقوا في الارض وهم يحملون عقيدة القدر ، كما علمهم اياها رسول الله ﷺ فقد قال لابن عباس رضى الله عنهما : (يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك . وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف)^(٤٢)

هذه العقيدة سكبت في قلوبهم السكينة ، وافاضت على نفوسهم الطمأنينة ، وربتهم على العزة ، فارتاحت اعصابهم وهم منطلقون لتبليغ هذا الدين الى البشرية ، وقد استصغروا قوى الارض جميعا امام ايمانهم بقدر الله سئل سلمان الفارسي : ما قول الناس حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ؟ فقال : (حتى تؤمن بالقدر : تعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك ، وما اصابك لم يكن ليخطئك)^(٤٣) ولم يكن هذا قول سلمان فحسب وانما كان قول اصحاب رسول الله ﷺ جميعا .

فأية سعادة تضيفها على النفس هذه العقيدة ، واية شجاعة انطوت عليها قلوب آمنت ان الامر بيد الله وان البشر لا أمر لهم : ان قوى الارض جميعا لاتقف امام انسان يحمل هذا المبدأ ، ويكن بين جنباته هذا الايمان ، ومن هنا نجد التفسير الصحيح للاعمال التي حققها هذا الايمان على يد العصبة المؤمنة التي انطلقت بهذا الدين ، انها اعمال تشبه الخوارق ، ولكنها حقائق ، ان تلك الانجازات العظيمة التي حققها رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ان هي الا ثمره ايمانهم بالله واليوم الآخر وقدر الله عز وجل .

ان الانسان الذي ينعم بعقيدة القدر ، ويعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان الامة لو اجتمعت لن تضره الا بشيء قد كتبه الله عليه ، وانه لن تمت نفس حتى تستكمل رزقها واجلها ، انه هذا الانسان هو وحده الذي يتحرر من العبودية للعباد بدخوله في العبودية لرب العباد ، اذ كيف تنحني جبهته لاية قوة على ظهر الارض ، وهو يعلم ان الامر بيد خالق السموات والارض ومن فيهن ؟ وكيف تذلل نفسه لعبد من تراب ؟ يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : (فمن تحقق ان كل مخلوق فوق التراب فهو تراب ، فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الارباب ؟ ام كيف يرضى التراب بسخط المالك الوهاب ؟ ان هذا لشئ عجاب)^(٤٤)

ان هذه العقيدة لتنتزع كل مظهر للجبن من القلب الذي تعمره ، فتدفع صاحبها الى جهاد الكفار والطغاة دون ان يحسب لوسائلهم وأساليبهم اى حساب ، ولماذا ينشغل بالحساب لهم وقد ضمن له خالقه وخالقهم ان يستوفي رزقه وأجله . ولماذا يجبن وهو يعلم ان المقدور نازل به لاحمال ، وغير المقدور لن يحين به ابدا ، فما احسن قول من قال :

(٤٢) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح - انظر جمع الفوائد ج ٢ ص ٣٢٩

(٤٣) الشريعة للأجري ص ٢٦

(٤٤) انظر : جامع العلوم والحكم ص ٣٨٥

أى يومى من الموت أفسر يوم لا قدر أو يوم قدر
يوم لا قدر لا أرمسه ومن المقدور لاينجو الحذر

ان النفس المؤمنة بقدر الله سبحانه لتتعم بنعمة اخرى لاتعد لها نعم الدنيا كلها ، انها نعمة الرضا فى كل حال ، ذلك ان هذه النفس ترى ان المقادير تجري بأمر الله عز وجل ومشيتته وتدييره ، وان الاحداث تنبثق بحكمة الله واراادته ، وهو يعلم والناس لايعلمون كما قال تعالى : (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)^(٤٥)
فتعلم هذه النفس المؤمنة ان الله الذى قدر لها الخير أو الشر حكيم رحيم فلا تبطر بنعمة ، ولا تجزع من مصيبة ، فهي شاكرة فى السراء ، صابرة فى الضراء ، امرها كله خير ، كما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام : (عجا للمؤمن ، ان امره كله له خير ، وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ؛ ان اصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له)^(٤٦)

فالمؤمن من ينظر الى المصيبة ، فيعلم انها قدر الله ، فيطمئن ويرضى ، فيكون اكثر أدبا من أن يعترض على مولاة وخالفه ، وينظر الى عاقبة المصيبة ومآلها من الثواب ، فيرضى ويصبر وفى الصحيحين عن النبى ﷺ انه قال (اشد الناس بلاء الانبياء ، والامثل فالامثل ، يتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان فى دينه صلابة ابتلى على قدر ذلك ، وان كان فيه رقة ، هون عليه ، فما يزال البلاء بالرجل ، حتى يدعه يمشى على الارض ، وليس عليه خطيئة)^(٤٧)

وقد عبر عن ذلك ابن القيم أجمل تعبير ، فقال :

واذا اعترتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فانه بك أكرم
واذا شكوت الى ابن آدم انما تشكو الرحيم الى الذى لايرحم.

وهذا علقمة رحمه الله يفسر قوله تعالى : (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه)^(٤٨) فيقول : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم^(٤٩) وقال ابن عباس : يهدى قلبه اليقين ، فيعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه
ولقد ارتفعت نفوس الصحابة رضوان الله عليهم فى ظلال هذا التصور الايماني ، وسمت ارواحهم ، وارهفت ضمائرهم ، حت استوت فى نظرحم السراء والضراء ، وتمائل لديهم الشكر والصبر ، كما يقول عمر رضى الله عنه (لو كان الصبر والشكر بعينين ما باليت ايهما اركب) ويقول ابو محمد الحريري (الصبر ان لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما)

(٤٨) التغاين - الآية ١١

(٤٩) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٥

(٥٠) المرجع السابق

وقد سئل الامام احمد عن الرجل يكون معه مائة الف دينار هل يكون زاهدا ؟ قال : نعم بشرط ان لا يفرح اذا زادت ، ولا يحزن اذا نقصت ، وقال بعض السلف ، الزاهد من لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره^(٥١)

وكتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري رضى الله عنهما (أما بعد ، فإن الخير كله في الرضا ، فان استطعت ان ترضى ، والا فاصبر)^(٥٢) وقال ابن عطاء : (الرضى سكون القلب الى قديم اختيار الله للعبد انه اختار له الافضل)^(٥٣)

هذا والصبر واجب باتفاق العلماء ، واعلى من ذلك الرضا بحكم الله وقيل عن الرضى انه واجب ، وقيل هو مستحب ، وقد اجمع العلماء على ان حكمه لا يقل عن الاستحباب^(٥٤) وأساس الرضا الايمان بقدر الله عز وجل ، كما تقدم واستشعار لطف الله بعباده قال عبد الواحد بن زيد : (الرضا باب الله الاعظم ، وجنة الدنيا ، ومستراح العابدين ، واهل الرضا ، يلاحظون ثواب المبلى ، وخيرته لعبده في البلاء وانه غير متهم في قضائه ، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء ، فينسبهم الم المقضى به ، وتارة يلاحظون عظمة المبلى وجلاله وكاله ، فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى انهم لا يشعرون بالالم ، بل ربما يتلذذون بما اصابهم للملاحظة صدوره من حبيبهم)^(٥٥)

ولتعلم ايها الاخ القارىء ان الرضا والصبر اللذين يثمرهما الايمان بالقدر انما هما الرضا بالمقدور من المصائب والنوائب ، والصبر على طاعة الله تعالى ، والصبر عن معصيته ، وعلى انواع المكروه^(٥٦) وليس المقصود الرضا بالكفر والعصيان والفسوق عن امر الله ، ولا الصبر على الذل والضميم ، فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية والهوان فليكن رضاك تبعا لرضى ربك ، وصبرك في طاعة الله وفي سبيله ان الرضا بالقدر والصبر على البلاء ، الطمأنينة الى حكم الله عز وجل ، فهي اهم القواعد التي يقام عليها السكن النفسى ، وهى من ابرز الدوافع لانطلاق جميع الطاقة البشرية للعمل في هذه الارض ضمن منهج الله . فلا التفاوت للوراء ولا محطات للتحسر والندم ، ولا لو كان كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قدر الله وماشاء فعل .

ففى هذه العقيدة هدوء القلب وراحة البدن والنفس والاعصاب ومفارقة الهم ، والحزن ، فلا تمزق نفسى ، ولا توتر عصبى ، ولا شذوذ ، ولا انفصام ، وانما رضا وسكنية وسعادة وراحة وطمأنينة ، وبرد اليقين ، وقرّة العين ، وهناءة الضمير ، وانسراح الصدر ، والاطمئنان الى رحمة الله وعدله ، وعلمه وحكمته ، فهو الملاذ والمعاذ من الوسواس والهواجس

(٥١) انظر هذه الأقوال وغيرها في عدة الصابرين ص ٩٠ ، ٢٢٦

(٥٢) مدارج السالكين ج ٢ ص ١٧٧

(٥٣) مدارج السالكين ج ٢ ص ١٧٥

(٥٤) مدارج السالكين ص ١١٧ والروضة الندية ص ٤٨٩

(٥٥) مدارج السالكين ج ٢ ص ١١٧ والروضة الندية ص ٤٨٦ وجامع العلوم والحكم ص ١٧٠

(٥٦) انظر : شرح النورى على صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠١

ان الاعتقاد بعقيدة القدر يحدث في واقع الناس وفوق هذه الارض نتائج ايجابية هائلة
وأما المجتمعات التي تركت هذه العقيدة ، وفرغت من الايمان بالله وتديره لشؤون الحياة والاحياء ،
فنصيبها في الآخرة خلود في العذاب المهين ، وفي هذه الدنيا ضياع السعادة ، وتمزق الاعصاب ، وضنك
العيش وتوتر الحياة ، مصداقا لقوله تعالى : (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن
ذكرى ، فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى)^(٥٧)
الايمان بالقدر لا ينافي الاخذ بالاسباب :

ويجب ان لا يغيب عن بالنا اننا مأمورون بالاخذ بالاسباب ، مع التوكل على الله عز وجل ، والايمان ان
بيده ملكوت كل شيء ، والايمان ان الاسباب لا تعطى النتائج الا باذن الله سبحانه وتعالى ، فالذي
خلق الاسباب هو الذي خلق النتائج والثمار فمن اراد النسل الصالح فلا بد ان يتخذ لذلك سببا ، وهو
الزواج الشرعى ، ولكن هذا الزواج قد يعطى الثمار ، وهى النسل ، وقد لا يعطى ، حسب ارادة العزيز
الحكيم ، ومشية اللطيف الخبير (يجب لمن يشاء اناثا ، ويجب لمن يشاء الذكور ، او يزوجهم ذكرانا
واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير)^(٥٨)

ولذا يحرم على المسلم ترك الاخذ بالاسباب ، فلو ترك انسان السعى في طلب الرزق لكان آثما ، مع
ان الرزق بيد الله تعالى .

وقد بين رسول الله ﷺ ان الاسباب المشروعة هي من القدر ، فقليل له : أرأيت رقى نسترق بها ،
وتقى نتقى بها ، وادوية نتداوى بها ، هي ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هي من قدر الله^(٥٩)
فالالتفات الى الاسباب ، واعتبارها مؤثرة في المسببات ، شرك في التوحيد ، ومحو الاسباب ان تكون
اسبابا نقص في العقل ، والاعراض عن الاسباب المأمور بها قدح في الشرع^(٦٠)
لذا فقد أمر النبي ﷺ بالتداوى ، فقد روى اصحاب السنن عن اسامة بن شريك قال : اتيت
النبي ﷺ واصحابه فكأثما على رؤوسهم الطير ، فسلمت ثم قعدت ، فجاء الاعراب من ههنا
وههنا ، فقالوا : يا رسول الله ، التداوى فقال : تداؤوا ، فان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع
له دواء ، غير داء واحد : الهرم^(٦١) وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ (ما انزل الله داء الا انزل له شفاء)^(٦٢) وبناء على هذا الامر بالتداوى قال الفقهاء باستحبابه
وبعضهم قال بوجوبه

قال شارح العقيدة الطحاوية (وقد ظن بعض الناس ان التوكل ينافي الاكتساب وتعاطى الاسباب ،
وان الامور اذا كانت مقدرة فلا حاجة الى الاسباب ، وهذا فاسد فان الاكتساب : منه فرض ومنه
^(٥٧) طه - الآية ١٢٤

^(٥٨) الشورى - الآية ٤٩

^(٥٩) انظر : زاد المعاد ج ٣ ص ٦٦

^(٦٠) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٥٢٨

^(٦١) رواه الاربعة . وقال الترمذى . حسن صحيح - انظر مختصر ابي داود ص ٣٤٦

^(٦٢) انخرجه البخارى في كتاب الطب

مستحب ، ومنه مباح ، ومنه مكروه ، ومنه حرام ... وقد كان النبي ﷺ افضل المتوكلين ، يلبس لامة الحرب ، ويمشي في الاسواق للاكتساب (٦٣)

وهكذا كان فهم الصحابة الكرام ، رضوان الله عليهم ، للعلاقة بين الايمان بالقدر وتعاطي الاسباب ، وان هذا التأني داخل في معنى الايمان بالقدر ، ولا ينافيه ، وانما هو مقتضى من مقتضياته ، روى البخاري ان عمر رضي الله عنه لما خرج الى الشام لقيه امراء الامصار ، واخبروه بانتشار الوباء فيها ، فاستشار المهاجرين والانصار ، ثم مهاجرة الفتوح من مشايخ قريش ، فاجتمع المهاجرة على الرجوع ، بعدا عن الوباء ، وأمر بذلك عمر ، فقال له ابو عبيدة : افرا من قدر الله رأيت لو كان لك ابل هبطت واذا له عدوتان احدهما خصبه والاخرى جدبة ، اليس ان رعيت الخصبه رعيته بقدر الله ، وان رعيت الجدبة رعيته بقدر الله (٦٤)

ولذا بكى عمر بن الخطاب جماعة من اهل اليمن كانوا يحجون بلا زاد ، فذمهم ، قال معاوية بن قرة : لقي عمر بن الخطاب ناسا من اهل اليمن ، فقال : من انتم ، قالو : نحن المتوكلون ، قال : بل انتم المتآكلون ، انما المتوكل الذي يلقي حبة في الارض ، ثم يتوكل على الله (٦٥)

يقول ابن قيم الجوزية : (لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله تعالى ... وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل .. وان تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ، ودفع ما يضره في دينه ودنياه ، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الاسباب ، والا كان معطلا للحكمة والشرع ، فلا يجعل العبد عجزه توكلا ، ولا توكله عجزا ... (٦٦)

وقال سهل بن عبد الله من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الايمان فالتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يرتكن سنته

(٦٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠١

(٦٤) فتح الباري ج ١ ص ١٥ ص ١٥١ ص ٥٥٧ ، ٨٥٥

(٦٥) جامع العلوم والحكم ص ٢٨٤

(٦٦) زاد المعاد ج ٢ ص ١٧

(٦٧) مدارج السالكين ج ٢ ص ١١٦

حقيقة الايمان

تلك هي الامور التي يجب أن نؤمن بها ، ولكن ما معنى الايمان بها ؟ وكيف يكون ؟ وما الشيء الذي يصدق عليه هذا الاسم ؟

اختلف اهل العلم في هذا الموضوع على قولين^(١)

القول الاول : ان الايمان اسم يقع على الاقرار باللسان ، والتصديق بالقلب ، والعمل بالجوارح ، وهو القول الذي ذهب اليه معظم اهل السنة^(٢)

القول الثاني : ان الايمان اسم يقع على الاقرار باللسان والتصديق بالقلب ، ولا يدخل فيه العمل بالجوارح ، ولكنهم يقولون : ان العمل بكل ما صح عن رسول الله من الشرائع والبيان حق وواجب على المؤمنين الذين اكتسبوا هذا الاسم بالاقرار والتصديق^(٣)

ومع أن الأدلة من الكتاب والسنة اظهر في القول الاول . وادل عليه من القول الاخر^(٤) ومع ان كل فريق منهما حاول دعم وجهة نظره بجملة من الأدلة فان الظاهر ان الخلاف بينهما خلاف نظري ، لا يترتب عليه اى اثر عملي ، وان كان قد يترتب عليه خلافات نظرية اخرى ، يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية (والاختلاف الذى بين اى حنيفة والائمة الباقيين من اهل السنة ، اختلاف صوري فان كون اعمال الجوارح لازمة لايمان القلب او جزءا من الايمان مع الاتفاق على ان مرتكب الكبيرة لا يخرج من الايمان ، بل هو فى مشيئة الله ، ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد^(٥))

وسبب ذلك - والله اعلم - ان العمل بالجوارح ، لا يختلف الفريقان فى تحديد قيمته وأهميته فى دين الله ، وان اختلفوا فى تكييفه ، ان كان جزءا من الايمان أو مجرد مقتضى من مقتضياته ولازما من لوازمه ، فالذين اعتبروه جزءا من الايمان لم يجعلوه كالأقرار باللسان والتصديق بالجنان ، من حيث ذهاب اسم الايمان بذهابهما وعدم ذهاب هذا الاسم بعدم العمل ، والآخرين وان لم يعتبروه من اجزاء الايمان فهم يرون وجوبه ، لانه من لوازم الايمان .

واذا كان كذلك ، فان الخوض والتعمق فى تلك القضية ليس له فائدة كبيرة والاولى الاهتمام بغيرها ، ولكن من المفيد بيان بعض المعايير المستنبطة من ذلك القدر المشترك بين الفريقين ، والتي يمكن بها تحديد من يدخل من الناس فى مسمى الايمان ومن لا يدخل :

١ - فقد اتفقوا على انه لا يدخل فى الايمان من اقر بلسانه ، ظاهرا ، وكذب بقلبه ، وهؤلاء هم المنافقون ، الذين اخبر الله تعالى عنهم انهم اشد عذابا من الجاحدين وانهم فى الدرك الاسفل من النار^(٦)

٢ - كما اتفقوا على ان المعرفة بالقلب لا تكفى فى تحقيق اسم الايمان ، فلا بد مع المعرفة والتصديق من الاقرار باللسان فان فرعون وقومه كانوا يعرفون صدق موسى وهارون عليهما السلام ، وكانوا كافرين ، قال تعالى مخبرا عما قاله موسى لفرعون : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر) وقال تعالى (وحججوها بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر

(٤) انظر فى ترجيح القول الاول : شرح النووى على صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٨ رسالة الايمان لآبى عبيد القاسم بن سلام ص ٥٤

(٥) شرح العقيدة الطحاوية

(٦) شرح النووى على صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٧

(٧) الاسراء - الآية ١٠٢

كيف كان عاقبة المفسدين (٨) وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ولم يؤمنوا به قال تعالى (الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) (٩) بل ان ابليس كان عارفا بربه ولكنه امام الكافرين (١٠)

فأهل السنة متفقون على ان المؤمن الذي يحكم بأنه من اهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون الا من اعتقد بقلبه دين الاسلام اعتقادا جازما ، خاليا من الشكوك ، ونطق بالشهادتين ، فان اقتصر على احد هذين الامرين لم يكن من اهل القبلة اصلا ، اللهم الا اذا كان تخلفه عن النطق لخلل في لسانه ، او لعدم التمكن منه لمعالجة النية له قبل النطق أو لاعتزاه ملجئ منه من انطق (١١)

وأجمع اهل السنة على ان الله يطلب من العباد قولاً وعملًا ، والمقصود بالقول قول القلب وهو التصديق ، وقول اللسان وهو الاقرار ، انما اختلافهم في كون هذا المطلوب جميعه داخلا تحت اسم الايمان ، فبعضهم ادخله جميعه بما فيه من قول وعمل ، وآخرون ادخلوا جزءا منه ، وجعلوا الجزء الآخر من مقتضياته وثمرة (١٢)

- وأجمعوا ايضا على ان العبد لو صدق بقلبه وأقر بلسانه ، وامتنع عن العمل بجوارحه فانه يكون عاصيا لله ولرسوله ، ومستحقا للوعيد الذي ذكره الله في كتابه ، واجبر به الرسول الكريم عليه افضل الصلاة واتم التسليم (١٣)

- وأجمعوا ايضا على ان مرتكب الكبيرة ليس كافرا مادام غير مستحل لها . وان مات قبل التوبة عنها ، فالجمهور من أهل السنة ، وان جعلوا العمل جزءا من الايمان ، الا انهم لم يقولوا بتكفير المصدق بقلبه المقر بلسانه ان لم يعمل ، والحنفية وان أخرجوا العمل من الايمان الا انهم اعتبروه من لوازمه ومقتضياته والكل متفقون على عدم التكفير بترك العمل (١٤)

(٨) اهل - الآية ١٤

(٩) الانعام - الآية ٢٠

(١٠) كتاب الايمان للقاسم بن سلام ص ١٠٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٢ ، ٣٧٤

(١١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٩

(١٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٤

(١٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٤

(١٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٥

-ولا خلاف بين اهل السنة ان ماتقدم من تعريف الايمان بالقول والتصديق والعمل انما هو بالنظر الى ما عند الله تعالى ، واستحقاق دخول الجنة وعدم الخلود في النار ، وان الايمان بالنظر الى احكام الدنيا ، فهو مجرد الاقرار باللسان والنطق بالشهادتين : فمن اقر بهما اجرته عليه الاحكام في الدنيا ، فطوبى بالتزامتهما ، واعطى حقوقهما ، ولم يحكم عليه بكفر الا اذا جاء بما ينقضهما ، من القول والعمل^(١٥)

ويدل على هذا الاصل حديث اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : بعثنا رسول الله فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال : لا اله الا الله ، فطعنته فوقه في نفسى من ذلك ، فذكرته للنبي ، فقال رسول الله ﷺ اقال لا اله الا الله وقتلته ؟ قال : يارسول الله انما قالها خوفا من السلاح ، قال : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها ام لا ؟ فما زال يكررها على حتى تمتيت أنى أسلمت يومئذ^(١٦) فبدلك قوله عليه الصلاة والسلام (أفلا شققت عن قلبه) اننا مكلفون بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان واما القلب فليس لنا طريق الى معرفة ما فيه .

زيادة الايمان ونقصه :

وبناء على ماتقدم من اختلاف الفريقين السابقين في تحديد مسمى الايمان ، اختلفوا ايضا في قضية اخرى هي زيادة الايمان ونقصه فمن ادخل العمل في مسماه قال بذلك ومن قصره على الاقرار والتصديق لم يقل بها ، أما وقد عرفت ان الخلاف في تحديد مسمى الايمان خلاف نظري وصوري فكذلك الخلاف في هذه القضية ذلك ان الفريق الذي لا يرى زيادة الايمان ونقصه يصرح بأن الناس يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح ويتفاوتون في الاجر والمكانة عند الله تعالى ، يقول الامام الطحاوى في العقيدة الطحاوية (والايمان واحد ، واهله في اصله سواء ، والتفاضل بينهم بالخشية والتقوى وخافة الهوى وملازمة الاولى)^(١٧)

وعلى أية حال فان ظواهر النصوص القرآنية الكريمة ، والنبوية الشريفة تدل على ان الايمان يزيد وينقص ، من هذه النصوص قوله تعالى : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون)^(١٨) وقوله تعالى (الذين قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)^(١٩) وقوله (هو الذى انزل السكينة في قلوب المؤمنين ، ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم)^(٢٠) ومن الاحاديث الدالة على هذا قول النبي

(١٥) فتح البارى ج ١ ص ٣٩ ، ٤٠

(١٦) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٩٩

(١٧) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٥

(١٨) الانفال - الآية ٢

(١٩) ال عمران - الآية ١٧٢

(٢٠) الفتح - الآية ٤

ﷺ (الإيمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله ، وادناها اماطة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان^(٢١) وقوله ايضا : (اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا)^(٢٢) وقوله (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان)^(٢٣) وعن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ قال : (ما من نبي بعثه الله في أمة قبيل الا كان له من امته حواريون واصحاب ، يأخذون بستته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تجلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل)^(٢٤) ومن أقوال الصحابة الدالة عليه ، ما ورد عن ابي الدرداء رضى الله عنه انه قال : (من فقه العبد ان يتعاهد ايمانه وما نقص منه ، ومن فقه العبد ان يعلم ايزداد هو ام ينقص) وكان عمر رضى الله عنه يقول لاصحابه (هلموا نزداد ايمانا فيذكرون الله عز وجل) وامثال هذا من النصوص والآثار الدالة على قوة الايمان وضعفه بحسب العمل كثير^(٢٥)

واذا كان ظاهر النصوص يدل على زيادة الايمان ونقصه ، فلا داعى للخروج عن هذا الظاهر ، خاصة وانه لافائدة من التأويل ، ولا ثمة في الخلاف

على ان الامر الاهم من ذلك ان يتعهد المؤمن ايمانه ويحاسب نفسه فيه ان كان زاد ام نقص ، وان ينظر في اسباب نقصانه ان كان نقص ، فيتحاشاها ويتعد عنها ، ويلتمس اسباب الزيادة والنماء وصلاح القلب ، كما كان يفعل الصحابة رضوان الله عليهم .

ومن اهم اسباب زيادة الايمان مايلي :

(٢١) متفق عليه واللفظ لمسلم - انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١ ص ٤٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦

(٢٢) رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح على شرطهما وقال الترمذى حديث حسن - انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٠٣

(٢٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٢

(٢٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٢٧

(٢٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨٦

١ العلم : فان الاستزادة منه سبب في زيادة اليقين والمعرفة ، قال جندب بن عبد الله وابن عمر وغيرهما : (تعلمنا الايمان ، تعلمنا القرآن فزدنا ايمانا)^(٢٦) والمقصود في هذا المقام العلم بالله واسمائه وصفاته وافعاله ، وايامه سبحانه وتعالى والعلم برسول الله ﷺ وما جاء به من الاخلاق والمناهج والتشريعات وسيرته في عبادته وجهاده ومعاملته ، والعلم بكتاب الله وما فيه من الاخبار والامثال والحكم والصبر والفرقان

ذلك ان اصل الايمان هو الاقرار بالوهمية الله وما يليق به من الصفات والاعتراف برسالة محمد ﷺ وبكل ما جاء به من عند ربه ، بصورة اجمالية وهي المتمثلة بالشهادتين فمن قالهما معتقدا بهما فقد حاز اصل الايمان ولكنه لا يستوى مع من علم معناه ومقتضياتهما . بالتفصيل ، فلا يستوى من علم بالتفصيل ما اخبر به الرسول ﷺ مما يكون بعد الموت من السؤال والعذاب والنعيم ومن لم يعلم بذلك ، وان كان هذا يدخل بصورة اجمالية في شهادة ان محمدا رسول الله وكذلك لا يستوى من علم احوال الآخرة بما يكون فيها من بعث ونشور وعرض وقراءة الصحف وحساب واهوال وحوض وصراط وجنة ونار ، مع من آمن باليوم الآخر اجمالا من غير تفصيل ، وكذلك من علم بالتفصيل سيرة المصطفى ﷺ وما فيها من كمال ، لا يستوى معه من لم يعرفها الا بالاجمال ، ولذا قال الله سبحانه (انما يخشى الله من عباده العلماء)^(٢٧) وقال (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)^(٢٨)

٢ العمل : فانه بالاكثار من العمل الصالح والطاعة يزداد اليقين بمعنى الايمان والاقبال من العمل بالاغراق في الشهوات والمعاصي يضعف الايمان وقد يصل الحد ببعض الناس من كثرة معاصيهم الى الانكار والاستحلال وتكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام تبررا لفجورهم وفسوقهم فيدخلون بالكفر والعياذ بالله

ذلك ان اساس الايمان بالله - كما علمت - هو الاقرار له بالالوهية والاخلاص له بالعبودية وهذا الاقرار والاعتراف في الواقع نوعان اعتراف نظري بالتصديق واعتراف عملي بالطاعة والتطبيق فمن اقتصر على الاول كان ايمانه بالله ناقصا ويقدر ما يزداد من طاعة يزداد من الايمان ولا بد تمام الايمان من النوعين كليهما .

(٢٦) انظر شرح قصيدة ابن القيم ج ٢ ص ١٤١

(٢٧) فاطر ، الآية ٢٨

(٢٨) الزمر - الآية ٩

٣ الذكر والفكر : والمقصود بالاول ذكر الله بصفاته وما يليق بجلاله وعظمته ، وتلاوة كلامه وآياته فانه يديم اتصال القلب بالخالق وقلته تورث النسيان والغفلة عن الله عز وجل ، وقد تقدم دعوة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لآخوانه من الصحابة الى زيادة ايمانهم بذكر الله وقد روى عن ابي جعفر عن جده عمر بن حبيب وهو من اصحاب رسول الله قال (الايمان يزيد وينقص ، قيل له وما زيادته ونقصانه ؟ قال (ان ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا فتلك نقصانه) وكان عبد الله بن رواحة يأخذ بيد الرجل من اصحابه يقول (قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر)^(٢٩)

كما اخبر سبحانه وتعالى ان من صفات المؤمنين انهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم)^(٣٠)

والمقصود بالفكر العمل على ادامة رؤية صنع الله بالتفكير في مخلوقاته ، والنظر الى آياته ومعجزاته ، ذلك ان من الايمان بالله الاستشعار بعظمته وقدرته وجليل صفاته وعظمة افعاله وهذا الاستشعار مضرع من دوام النظر الى ملكوت الله عز وجل . ووسيلة هذا النظر هو التفكير والاعتبار ، الا ترى لو انك اخبرت بمهارة شخص في صناعة من الصناعات ، واخبرك كثيرون عن قدرته في مضماره فان احساسك بمهارته يزداد اذا رأيت بعينك نموذجا من صناعة ولو بصورة اجمالية فاذا شاهدت نماذج اكثر من صناعته ازداد ذلك الاحساس ، ويزداد اكثر واكثر اذا اتحت لك الفرصة بتفحص هذه الصناعات والتدقيق فيها ، وصفات الله عز وجل وافعاله العظيمة متجلية للجميع في هذا الكون العظيم ، ومن الناس من يحرون عليها صما وعميانا ولا يتجاوزن ما فيها من المتع والشهوات وهؤلاء هم الكافرون وضعاف الايمان ، ومنهم من يقرأ فيها عظمة الله وعظمة سلطانه ، وقدرته وتدبيره فيزدادون ايمانا ويقينا ، وهؤلاء الذين وصفهم الباري عز وجل بقوله (ويذكرون في خلق السموات والارض)^(٣١) وقال عنهم سبحانه (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا)^(٣٢) وأما اولئك فقال عنهم (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت اضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمي فهم لا يرجعون)^(٣٣)

(٢٩) شرح قصيدة ابن القيم ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤١

(٣٠) ال عمران الآية ١٩١

(٣١) ال عمران الآية ١٩١

(٣٢) الفرقان الآية ٧٢

القسم الثانى فى نواقض الايمان

عرفت فيما تقدم مايجب على المؤمن أن يقر به من الامور ، ولا ينكره ، كما عرفت فى مبحث (حقيقة الايمان) معنى الايمان الذى يجب أن يتعلق بهذه الامور . ونخصص هذا القسم لمعرفة الامور التى تنقض ايمان العبد ، وتخرجة من عداد المؤمنين ، وتدخله فى عداد الكافرين .

على ان توضيح هذا الامر يقتضى ان يقدم له يبحث يكشف لنا عن مبدأ الايمان والاسلام ، اى الحد الذى اذا وصلتة العبد المكلف من البشر ، اعتبر مؤمنا ومسلما ، واذا قصر عنه اعتبر كافرا ، وجرت عليه احكام الكفر فى الدنيا والاخرة ، ان لم يبدل ولم يغير ، ومات قبل ان يصل الى ذلك الحد الذى يصير به مؤمنا ، وذلك لتكون على بينة من حدود الايمان ، وحدود دائرة الكفر ، قبل الكلام فيما يخرج من الاولى ويدخل فى الثانية .

ومن هنا كان هذا القسم مشتملا على مبحثين ، يعتبر الاول منهما مقدمة للثانى وهما :

الاول - متى يصير الكافر مؤمنا(كيفية الدخول فى دين الله عز وجل)

الثانى - متى يصير المؤمن كافرا (نواقض الايمان)

متى يصير الكافر مؤمنا كيفية الدخول في دين الله عز وجل

يظهر لك مما تقدم أن أركان الايمان لها اجمال وتفصيل ، وإن لكل ركن منها اجمالا وتفصيلا فمن عرف تفصيل تلك الأركان ، وصدق بها ، وعمل بما تقتضيه من الاعمال ، كان ممن قال عنهم الله عز وجل (أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ورزق كريم)^(١)

ولكن شاءت حكمة الله ، تبارك وتعالى ، تيسيرا على عباده ، وتفضلا عليهم ، أن يجعل الباب الذي يلج منه العباد الى الايمان دون ذلك التفصيل ، فاكفى منهم بالاجمال الذي يندرج تحته التفصيل : فقبل منهم في مبدأ الأمر أن يقولوا بألسنتهم وقلوبهم بأن الله سبحانه هو ربهم ومعبودهم بحق ، دون سواه ، وأن محمدا ﷺ هو رسول الله وإن جميع ما جاء به من عند ربه حق وصدق ، وواجب العمل به ، وجعل لذلك عنوانا ، هو الكلمة الطيبة (لا اله الا الله ، محمد رسول الله)

فمن قال هذه الكلمة بلسانه ، وصدق بها بجنانه ، ولم يقترنها بما ينقضها من القول أو العمل أو الاعتقا ، دخل في دين الله ، وفارق الكفر الذي كان عليه^(٢)

ادلة الأصل المقدم :

والذي يدل على أن المطلوب هو الاقرار الاجمالي بأمور الايمان ، وهو الاقرار بالشهادتين . وليس الاقرار التفصيلي بكل خصلة من خصال الايمان والاسلام ، هو جملة احاديث صحيحة ، رتب حصول الايمان والاسلام ، واستحقاق دخول الجنة وعدم الخلود في النار ، على التصديق بأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله

(١) الانفصال - الآية ٤

(٢) وقد يقول قائل : ولكن أركان الايمان كما جاءت في الحديث الصحيح أكثر من الايمان بالله . والايمان برسوله ، فكيف يكتفى بالشهادتين .
للدخول في الايمان ؟ والجواب على ذلك ان الايمان نوعان : ايمان مجمل ، وايمان مفصل ، فالأول هو الايمان بالله وبكل ما جاء به رسول الله ﷺ من غير تعرض لتفصيل ما جاء به فعندما يشهد العبد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، يكون قد صدق بكل ما جاء به الرسول ﷺ وما أخبر به من أركان الايمان وأركان الاسلام وإن لم يعرفها بالتفصيل فإن مقتضى ما صدر منه من الشهادتين أنه إذا بلغه شيء مما جاء به الرسول ﷺ آمن به وصدق ، لكن الذي بلغه التفصيل بالفعل ، فأمن به وعمل به ، يكون أقوى إيمانا وأعظم فضلا عند الله تعالى.

وأما من آمن إيمانا مجملا ، ثم بلغه شيء مما جاء به الرسول ﷺ فلم يؤمن به كان ناقضا لما صدر منه من الشهادتين ، وكان مرتدًا بذلك كما سيأتي - انظر : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية - من كتاب مجموعة التوحيد : ص ٥١٠ ، واصول

السرخسي ج ١ ص ٢٥٣

وكذلك حوادث السيرة التي دلت على ان الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحكمون بدخول الشخص في الاسلام اذا نطق بالشهادتين ولا يطالبونه في أول الامر ان يقرنهما بغيرهما .
وفيما يلي نذكر لك بعض الاحاديث الصحيحة الدالة على ذلك الاصل ، ثم نتبعها بذكر بعض وقائع السيرة الدالة عليه :
الاحاديث :
فمن هذه الاحاديث :

- ١ - قال رسول الله ﷺ : (اشهد أن لا اله الا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك بهما ، الا دخل الجنة)^(٣) وفي رواية (لا يلقى الله بهما عبدا ، غير شاك ، فيحجب عن الجنة)^(٤)
 - ٢ - وقال ﷺ : (من مات وهو يعلم انه لا اله الا الله دخل الجنة)^(٥)
 - ٣ - وعند عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار)^(٦)
- وغير هذه الاحاديث مما هو في معناها كثير^(٧) وكلها يدل على أن مات على التوحيد ، ولقي الله عز وجل بالشهادتين دخل الجنة ، ولو في المال ، ولم يخلد في النار ، وأن عذب فيها على ما كان منه من المعاصي والذنوب .
السنة العملية ووقائع السيرة :

- وفي السنة العملية ، والسيرة المطهرة ، نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يشهد بالاسلام والايمان ، لمن أقر بالشهادتين ومن ذلك :
- ١ - أخرج مسلم ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي ان النبي ﷺ قال لجارية اراد معاوية بن الحكم أن يعتقها عن كفارة : أين الله ؟ فقالت : في السماء ، فقال : من أنا ؟ قالت أنت رسول الله ؟ فقال : اعتقها^(٨)
 - ٢ - وأخرج أبو داود والنسائي من حديث الشريد بن سويد الثقفي ، أن النبي ﷺ قال لجارية : من ربك ؟ قالت : الله قال : فمن أنا : قالت رسول الله ، قال اعتقها فأنها مؤمنة^(٩)
 - ٣ - وفي قصة اسلام ابي بكر رضي الله عنه ، جاء في السيرة انه لقي رسول الله ﷺ وقال له : احق

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢٢٤

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٤٢٦

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢١٨

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢٢٩

(٧) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢١٨ - ٢٤٠

(٨) انظر : الموطأ ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ونيل الاوطار ج ٧ ص ٢٠٨

(٩) انظر : نيل الاوطار ج ٧ ص ٢٠٨

ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا ، تكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ بلى انى رسول الله ونبيه ، بعثنى لابلغ رسالته ، وأدعوك يا أبا بكر الى الله وحده لاشريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالة على طاعته ، وقرأ عليه القرآن ، فأسلم وكفر بالاصنام وخلع الانداد وأقر بحق الاسلام ، ورجع أبو بكر ، وهو مؤمن مصدق^(١٠) وهذا الذى دعا رسول الله ﷺ واليه أبا بكر اتما هو فى حقيقته الشهادتان .

٤ وفى قصة اسلام خالد بن سعيد رضى الله عنه ، ورد فى السيرة انه لقي رسول الله ﷺ وهو بأجباد ، فقال : يا محمد ، إلام تدعو ؟ قال : أدعوك الى الله وحده ، لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا ينفع ، ولا يدري من عبده ممن لا يعبد ، قال خالد : فإنى اشهد ان لا إله الا الله واشهد انك رسول الله ، فسر رسول الله ﷺ^(١١) باسلامه

٥ - وفى قصة اسلام ابي ذر الغفارى أنه قال : كنت ربيع الاسلام ، اسلم قبل ثلاثة نفر ، وأنا الربيع ، أتيت رسول الله ﷺ فقلت السلام عليك يا رسول الله ، اشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فرأيت الاستبشار فى وجه رسول الله ﷺ^(١٢) وهذا سياق مختصر وقد اخرج البخارى قصة اسلام ابي ذر كاملة ، وفيه أن النبى ﷺ قال لابي ذر بعد أن اسلم : ارجع الى قومك ، فأخبرهم حتى يأتبك أمرى فقال : والذى بعثك بالحق ، لأحرص بها بين ظهرائهم ، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد ان لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ثم قام القوم ، فضربوه حتى اضجعوه^(١٣)

٦ - وفى هذا الخبر دلالة واضحة على أن الصحابة كانوا يدخلون الاسلام بالشهادتين وفى قصة اسلام الطفيل بن عمرو الدوسى ، رضى الله عنه ، تحدثنا السيرة انه كان سيدا مطاعا شريفا فى دوس ، وكان قد قدم مكة ، فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله ﷺ ونهوه أن يجتمع به ، أو يسمع كلامه ، قال الطفيل : فوالله ما زالوا لى ، حتى اجمعت الا اسمع منه شيئا ، ولا أكلمه حتى حشوت أذنى حين غدت الى المسجد كرسفا (قطنا) فرقا من أن يبلغنى شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن اسمعه فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة قال : فقممت منه قريبا ، فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله ، قال : فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى وا ثكل امى ، والله انى لرجل لبيب ، ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما

(١٠) انظر: السيرة النبوية لأبن كثير ج ١ ص ٤٣٣ ، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٤٤٤

(١١) السيرة النبوية لأبن كثير ج ١ ص ٤٤٥

(١٢) السيرة النبوية لأبن كثير ج ١ ص ٤٤٧

(١٣) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٧ ص ١٢٩ ، حياة الصحابة ج ١ ص ٢٩٠ السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥١ . هذا وقد ورد فى بعض الروايات ان ابا ذر كان خامس من أسلم ، وان خالد بن سعيد كان الرابع انظر هذه الروايات فى السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥٢ ، ٤٥٣

يمنعني أن اسمع من هذا الرجل مايقول : فان كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته ، قال : فذكرت حتى انصرف رسول الله ﷺ الى بيته ، فأتبعته حتى اذا دخل بيته ، دخلت عليه فقلت يا محمد ، ان قومك قالوا لي كذا وكذا (للذي قالوا) فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك ، حتى سددت أذني بكسوف لئلا اسمع قولك ، ثم أبى الله ان يسمعني قولك ، فسمعتة قولاً حسناً فأعرض على امرك ، قال فعرض على رسول الله ﷺ الاسلام وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً اعدل منه ، قال : فأسلمت ، وشهدت شهادة الحق ... (١٤) وشهادة الحق هي شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ كما جاءت مفسرة في بعض المواضع

٧ - وفي قصة اسلام خالد بن الوليد ، تحكى لنا كتب السيرة انه قدم على رسول الله ﷺ في المدينة ، وكان قد استكتبه أخوه الوليد بن الوليد بدعوه الى القدوم والاسلام ، قال خالد : فلقيني اخي ، فقال : اسرع ، فان رسول الله ﷺ قد اخبر بك فسر بقدمك ، وهو ينتظركم الان (وكان معه عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة) فأسرعنا المشي ، فاطلعت عيه ، فما زال يتسم الى حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق : فقلت : أني اشهد أن لا اله الا الله ، وأنت رسول الله ، فقال : تعال ، ثم قال رسول الله ﷺ (الحمد لله الذي هدانا لهذا ، قد كنت ارى لك عقلاً رجوت الا يسلمك الا الى الخير) (١٥)

فهذه الوقائع ، وتلك الاحاديث الصحيحة تدل مجتمعة على امر واحد اتفق عليه أهل السنة ، وهو أن الدخول في دين الله لا يكون الا بالشهادتين ، وليس لاحد بعد هذه النصوص ان يحكم باسلام احد اذا لم يقر بهما بلسانه وقلبه ، كما أنه ليس لاحد بعدها ان يحكم بكفر احد اذا اقر بهما ، ولم يصدر منه ماينقضها او ينقض احدهما .

هذا ولا يكفى للدخول في الاسلام مجرد احدى الشهادتين ، ولا بد منهما جميعا ، وقد يقال : قد ورد في بعض الاحاديث المتقدمة ، وغيرها الاكتفاء بالشهادة الاولى (لا اله الا الله) والجواب : ان المقصود هو الشهادتان ، لانه جاء مفسرا في الاحاديث الاخرى بهما جميعا (١٦) ولا خلاف بين العلماء أن النطق بالشهادتين والتصديق بهما لا يكون منجيا من الخلود في النار ، وكافيا في دخول الايمان والاسلام ، اذا كان مقترنا بما ينقضهما أو ينقض أحدهما : فلا يحكم بايمان انسان جاء يقول : اقر بأنه لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، ولكن لا أعترف

(١٤) انظر : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨

(١٥) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥٢٠

(١٦) انظر مثلاً : قصة اسلام أبي العاص بن الربيع في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، وقصة اسلام عمر بن الخطاب في عيون الاثر في فتون المغازي والشمال والسير لابن سيد الناس ، وقصة اسلام حمزة في السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٧٧

(١٧) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٩ ، ٢١٩

بوجوب الزكاة والحج ، أو بحرمة الزنا أو الربا أو القتل أو غير ذلك من أحكام الاسلام التي اخبر بها القرآن أو الرسول ﷺ وعلمت بالضرورة ، أو قال : أقر برسالة محمد ﷺ ولكنى اعتقد انها كانت خاصة بقوم أو بجيل معين أو قرن اقراره بالشهادتين بتفسير خاص لهما يؤول الى انكار توحيد الله في بعض صفاته وأسمائه ، أو اقر بهما وهو ينكر بعض القرآن ولو آية أو كلمة أو حرفاً ، فلا تنفعه الشهادتان وقد جاء معهما بما يكذب به القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام^(١٨)

وكذلك من كان على ملة لا تكفى الشهادتان في نقض مبدأ من مبادئها أو أكثر ، ولا بد في حقه من أن يتبرأ من ذلك المبدأ بالاضافة الى الشهادتين ، فلو أن شخصاً كان يعتقد بالتوحيد ، وبأن محمداً رسول الله ولكن الى قوم معينين أو زمن معين ، فان نطقه بالشهادتين لا يكون كافياً لاعتباره مسلماً : لان اعترافه برسالة محمد ﷺ لا ينفي ما كان مشهوراً من اعتقاده باختصاصها بقوم أو بزمن ، فلا بد مع هذا من أن يقر بأن محمداً رسول الله الى الناس اجمعين^(٢٩)

وقد ذكر بعض العلماء في هذا الموضوع ، قاعدة عامة ، مفادها انه لا يحكم باسلام الشخص الا اذا اقر بالشهادتين ، وكان هذا الاقرار كافياً في نقض جميع معتقده الباطلة التي اشتهر بها ، فان لم يكن كذلك كان لابد من النطق بها والتبري من المعتقدات الباطلة التي لم يندرج نقضها تحت الشهادتين^(٢٠)

ويجدر بالملاحظة في هذا المقام أن كلمة (لا اله الا الله) تنقض جميع التصورات الباطلة عن الخالق ، وربوبيته ، والوهيته ، ذلك انها تقتضي كما علمت توحيد الله في ذاته . وفي صفاته وأسمائه وأفعاله ، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به ، فمن نطق بها كان متبرئاً من جميع اعتقاداته الباطلة حول الخالق عز وجل ، وأما الشهادة الاخرى فانها تنقض معظم التصورات الباطلة حول مكانة نبينا محمد ﷺ وحول ما اخبر به من المغيبات جميعها^(٢١) ، ولا تنقض بعضها ، كما تقدم من اعتقاد بعض الناس بخصوصية رسالته الى بعض الاقوام ، فلا بد في حق هؤلاء من التصريح بعموم رسالته عليه الصلاة والسلام

وهذا الذي تقدم نخاص بمن كان كافراً ابتداء ، ولم يسبق له الدخول في دين الله وأما المرتد عن الاسلام ، فانه لا يحكم باسلامه الا اذا اقر بما كان قد جحدته من أمور الايمان ، بالاضافة الى

(١٨) انظر : رسالة كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب من جملة رسائل مطبوعة بعنوان : المجموعة العلمية السعودية من دور علماء السلف الصالح ص ١٤١ ، ١٤٢

(١٩) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٩ ، وشرح السير الكبير ج ١ ص ١٥٠ والمغنى لابن قدامة ج ٩ ص ٢١ والمهذب ج ٢ ص ٢٢٣

(٢٠) انظر : شرح السير الكبير ج ١ ص ١٥٠

(٢١) الدين الخالص : ج ١ ص ١٤٨

الشهادتين : فان كان ارتداده بسبب جموده الوجدانية أو الرسالة اكتفى بهما ، والا فلا بد منهما وأن يقر معهما بالامر الذي كان قد أنكره^(٢٢) فمن كان ينكر فرضية الزكاة مثلا ، أو حرمة الربا أو الزنا ، فانه لا يعود اليه اسلامه حتى يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقر بفرضية أو حرمة ما أنكره .

ولعل من المفيد في هذا المقام ان ننبه الى ماتقدم ذكره عند الكلام عن حقيقة الايمان من اتفاق العلماء على ان النطق بالشهادتين يكفي لاعتبار الناطق بهما مسلما ، من حيث الظاهر ، ومن أجل اجراء الاحكام الدنيوية عليه ، وأنه لا يكفي من أجل الخلاص من الخلود في النار ، حتى يقترن بالتصديق القلبي ، فمن أقر بهما مع ماتقدم من الشروط عومل بمقتضى الاسلام في الحياة الدنيا ، وان كان منافقا في حقيقة أمره ، لاننا مأمورون ببناء الاحكام في هذه الحياة على الظاهر ، وترك السرائر لله تعالى ، فانه لا يعلمها الا هو سبحانه ، وقد رأيت فيما تقدم انكار النبي ﷺ على اسامة بن زيد عندما ترك العمل بالظاهر ، وقتل من قال : الا اله الا الله ظنا منه انه لم يكن مخلصا في قوله .

(٢٢) المغنى لابن قدامة ج ٩ ص ٢١ حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ٣٩٧

متى يصير المؤمن كافرا

(نواقض الايمان)

عرفت نيسا تقدم كيف يدخل الناس في دين الله عز وجل ، والذين يلحون باب الايمان أنواع : فمنهم من يثبت الله عليه ، فيموت مقرا مصدقا بأنه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ومنهم من يرتد على عقبيه بسبب انكاره وجحوده .

والنوع الاول يتفاوت فيه المؤمنون : فمنهم المحسنون ، ومنهم المقتصدون ، ومنهم الظالمون لانفسهم ، ومنهم من يدخل الجنة بغير حساب ، ومنهم يحاسب حسابا يسيرا ، ومنهم من يعذب في النار ، حتى يمين الله عليه ، فيخلصه منها بفضلته سبحانه .

وأما أسباب الخروج من الاسلام بعد الدخول فيه ، فنذكر لك أولا القاعدة الجامعة التي اتفق عليها أهل السنة ، ثم نشرع في تفصيلها :

القاعدة :

فأما القاعدة العامة التي تحكم ما يكفر من الاعتقادات والاقوال والافعال ، فنختار في التعبير عنها ما قاله الامام الطحاوي رحمه الله تعالى في العقيدة الطحاوية : (ونسمى اهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين ، وله بكل ما قاله واخبر مصدقين .. ولانكفر احدا من اهل القبلة بذنب مالم يستحلّه ، ولا نقول : لا يضر مع الايمان ذنب لمن عمله ... ولا يخرج العبد من الايمان الا بجحود ما ادخله فيه)^(١)

وبيان هذه القاعدة ان الشارع قد جعل للايمان والاسلام مدخلا وبابا يدخل منه وهو كما علمت الاقرار والتصديق بالشهادتين ، فمن وج الى الاسلام من هذا الباب ، فانه لا يخرج الا ان يصدر عنه قول أو عمل أو اعتقاد يناقض اقراره السابق وتصديقه بالشهادتين . وقد علمت فيما تقدم ان معنى شهادة (ان لا اله الا الله) توحيد الله في ربوبيته ، واسمائه وصفاته ، وافعاله ، وتوحيده في الوهيته ، وعدم توجه الانسان بالعبادة الى غيره سبحانه . وان معنى شهادة (محمد رسول الله) الاقرار والتصديق بكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ من الشرائع ، وما اخبر به من أمور الغيب ، وانه من عند ربه عز وجل ، والاعتراف له بجميع اخلاق وصفات النبوة ، من صدق وامانه وفطانة وتبليغ وعصمة وغير ذلك .

وبعد هذا فان من قال قولاً او فعل فعلاً يدل على انكار شيء مما تقدم يكون قد نقض اقراره السابق بالشهادتين ، وخرج من دين الله سبحانه ، فان كان قوله او فعله مطابقاً لحقيقة نيته واعتقاده كان كافراً في الدنيا والاخرة فيعامل بأحكام الكفار في الدنيا ، وتطبق عليه احكام الردة والتي من اهمها الاستتابة ، ثم القتل ان لم يتب. ويكون من المخلدين في نار جهنم ان مات على هذه الحال .

(١) انظر العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٧٢

واما اذا اذنب المؤمن وقال قولاً او فعل فعلاً يعد في الشرع معصية لله تعالى فلا يكون هذا بمجرد دليل على خروجه من الايمان وان لم يتب عنه ، ان لم يكن فيه ما يدل على نقضه الشهادتين او احدهما وهو في مشيئة الله : ان شاء عذبه بذنبه ومعصيته ، وادخله النار ، ثم مآله الى الجنة ، لكثرة الاحاديث الصحيحة الدالة على انه يخرج من النار من مات وفي قلبه مثقال ذرة من ايمان . وان شاء سبحانه غفر له ، ولم يعذبه وادخله الجنة بغير عذاب في النار ، فان الله سبحانه يقول (ان الله لا يفر ان يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء)^(٢) أنواع النواقض :

ومن هنا تعلم ان الامور التي تكون سببا في الخروج من دين الله عز وجل تتنوع الى انواع جميعها يرجع الى تلك القاعدة العامة . وكل نوع يدخل فيه صور وتفصيلات كثيرة يصعب حصرها . ولكن تلك الانواع يمكن حصرها في أربعة هي :

٢ - نوع يتضمن انكار الربوبية أو الطعن فيها .

٢ - نوع يتضمن الطعن في اسماء الله وصفاته .

٢ - نوع يتضمن الطعن في الألوهية .

٤ - نوع يتضمن انكار الرسالة أو الطعن في صاحبها عليه الصلاة والسلام .

فهذه أربعة انواع : ويدخل في كل واحد منها صور من الافعال والاقوال والاعتقادات جميعها يعود على الشهادتين بالنقض ، وتخرج صاحبها من الاسلام ، والعياذ بالله تعالى ، وفيما يلي تفصيل كل نوع من هذه الانواع ، وتوضيحه بالامثلة :

النوع الأول :

فقد علمت ان اول انواع التوحيد هو توحيد الله في الربوبية والملك ، وهو الاعتقاد بان الله تعالى رب كل شيء ومليكه ، وخالق كل شيء ورازقه ، والمتصرف فيه وحده ، بمشيئته وعلمه وحكمته سبحانه ، فكل قول أو اعتقاد فيه انكار لهذه الخصائص الربانية او بعضها ، كفر وردة ، فيدخل في هذا انكار الخالق ، والقول بقدوم شيء اى لم يخلقه الله سبحانه ، او اسناد الخلق او التدبير الى غير الله عز وجل ، كالصدفة ، والطبيعة ، ونحوهما ، او انكاره ملك الله لكل مخلوق ، او ادعاء الرزق من غير الله تعالى ، او اشراك غيره معه في ذلك ، او ادعاء ان الله خلق الخلق واهملهم ، وانه لا يتصرف فيهم ، ولا يحفظهم ، ولا يدبر امهم ، او نحو ذلك مما فيه مساس بخصائص الربوبية .

وكذلك يعد كفرا وردة ان يدعى شخص لنفسه شيئا من هذه الخصائص ، كأن يدعى لنفسه الربوبية ، كما قال فرعون : (انا ربكم الاعلى)^(٣) او ان يدعى انه يملك او يرزق او يدبر شيئا من دون الله تعالى ، وكذلك يكفر من يصدقه في هذه الدعوى .

(٢) النساء - الآية ١١٦

(٣) النازعات - الآية ٢٤

النوع الثاني :

وهو ما يتضمن الطعن في النوع الثاني من انواع التوحيد ، وهو توحيد الله فيما يليق به من الاسماء والصفات .

فقد اثبت الله سبحانه لنفسه ، واثبت له رسوله ﷺ صفات واسماء ونفى سبحانه عن نفسه ، ونفى عنه رسوله صفات : فمن نفى أو انتقص شيئا مما اثبت الله لنفسه أو اثبت له رسوله ، فقد كفر ، وكذلك من أثبت لله شيئا نفاه عنه رسوله ، فكفر الصفات نوعات : كفر نفى وكفر اثبات .. ويدخل في الاول : نفى اية صفة من صفات الله سبحانه ، كنفى علمه الكامل أو قدرته أو حياته أو قيوميته أو سمعه أو بصره أو استوائه على العرش أو كلامه أو رحمته أو جبروته أو كبريائه ، أو غيرهما مما هو ثابت لله في الكتاب أو السنة .

ويدخل فيه ايضا تأويل صفات الله واسمائه بما ينقصها أو يحد من كمالها كمن يقر بعلم الله ، ولكنه يدعى انه العلم الاجمالي ، وان الله تعالى لا يعلم الجزئيات والتفصيلات ، أو يشبه صفة من تلك الصفات بما عند المخلوقات ، فيدعى انه عز وجل يسمع كما يسمع الناس أو يصير كبصرهم ، ونحو ذلك .

ويدخل في النوع الثاني ، وهو كفر الاثبات ، اثبات أية صفة لله نفاه سبحانه عن نفسه ، أو نفاه عن رسول الله ﷺ كما ثبت الولد له سبحانه . أو البنات أو الصاحبة أو السنة أو النوم أو الغفلة أو الموت ، أو أى نقص من النواقص التى تعترى البشر .

وكذلك يكفر كل من يثبت شيئا من صفات الله لنفسه أو لمخلوق ، ويكفر من يصدقه في دعواه ، كقول من قال : انا اعلم كعلم الله ، أو فلان عنده من الحكمة كما عند الله سبحانه وتعالى فيكفر هذا القائل ، ويكفر من يصدقه في قوله ، لأن إثبات الشريك لله في صفاته انتقاص منه جل وعلا ، وكل انتقاص منه أو من صفاته كفر وردة .

النوع الثالث :

وهو كل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن الطعن في النوع الثالث من أنواع التوحيد ، وهو توحيد الالهية ، وهو الشهادة بأن الله وحده هو المعبود بحق ، وان سواه لا يستحق اى شيء من العبادة ، فمن قال قولاً أو فعل فعلًا أو اعتقد اعتقاداً يتضمن انكار هذا الحق لله سبحانه ، أو انتقاص شيء منه ، أو اثباته ، أو اثبات شيء منه لغير الله عز وجل ، فقد كفر وارتد عن دين الله واكثر ارتداد الناس وكفرهم يرجع الى هذا النوع ، فان اكفرهم في الماضي والحاضر بقرون بوجود الخالق سبحانه ، وكثير منهم ثبت له خصائص الربوبية وصفاتها من قدرة وتدبير ورزق وأحياء وإماتة وغيرها .

وقد ذكر الله في كتابة الكريم أن المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم كانوا مقرين بأن الله خالقهم قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)^(٤) وقال ايضا (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم)^(٥)

وانما دخل الكفر على معظم الكافرين بسبب أنكارهم استحقاق الباري بأن يفرد في توجيه العبادة اليه سواء أكان هذا الانكار بالقلب وهو الاعتقاد ، أو بما يدل عليه من القول أو الفعل ، وبسبب اقرارهم باستحقاق غيره لهذا الامر سواء أكان هذا الاقرار تصديقا بالقلب واعتقادا ، ام كان قولاً أو فعلاً يدل عليه .

والواقع ان هذا النوع من الكفر يدخل صاحبه في النوعين السابقين من الكفر ، لان من يعترف لله سبحانه بأنه الخالق لكل شيء ، والمدبر لكل شيء ، ويعترف له بجميع صفات الجلال والكمال يقتضيه ذلك أن يعترف له وحده دون غيره بالالوهية المطلقة ، واستحقاق العبودية له دون سواه ، فان انكر ذلك وعبد غيره أو عبد معه غيره ، فان اعترفه الله بالربوبية باطل ولا قيمة له

يقول الضمعي (فمن شأن من أقر الله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرد بتوحيد العبادة ، فاذا لم يفعل ذلك فالأقرار الأول باطل)^(٦)

ولذا كان توحيد الله في عبادته موضوع الامتحان للعباد في هذه الحياة الدنيا قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)^(٧)

ومن هنا يتضح أن شهادة أن (لا اله الا الله) يناقضها أمران :

الاول : نفى استحقاق الخالق لان يعبد بأي نوع من انواع العبادة

الثاني : اثبات هذا الاستحقاق لاي مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى

فكل قول أو تصرف أو اعتقاد يتضمن احد هذين الامرين يدخل صاحبه في الكفر والردة ، والعبادة التي لا تستحق الا الله هي الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد ، وما يدخل فيها الحب والخشية والاستغاثة والدعاء والتوكل والرجاء ، والركوع والسجود والصوم والذبح ، والطواف ، والخشوع وغيرها . وبناء عليه فان من ينفي بقول أو اعتقاد أو عمل استحقاق الله لهذه المعاني يكفر ، فيكفر من قال أو اعتقد أن الله سبحانه لا يخشى أو لا يدعى أو لا يستعان به أو لا يركع له أو يرجى ، أو يسخر ممن عبد الله أو استخف بمن يدعو الله أو يستعين به أو يرجوه بسبب دعائه لله واستعانه به ، أو الصلاة له أو الصوم ، أو الطواف أو أى فعل أو قول يعده الشرع عبادة ، لان استهزاءه واستخفافه لذلك أو لبعضه يدل بصورة قاطعة على عدم اعتقاده باستحقاق الباري لهذه العبادات ، كذلك يكفر من أنكر

(٤) الزخرف - الآية ٨٧

(٥) الزخرف - الآية ٩

(٦) تطهير الاعتقاد ص ٩

(٧) الذاهات ، ٥٦

ستحقاقه للطاعة وامتنال أمره واجتناب نهيه ، فان لله عز وجل شرعا ضمنه كتابه ، وأوصى به الى رسوله ﷺ فمن ادعى أن شيئا من هذا الشرع لا يستحق الامتنال والتطبيق أو لا يصلح في هذا الزمان أو نحو ذلك كفر بهذه الدعوى ، لان من خصائص الألوهية الأمر والحكم والتشريع (ان الحكم الا لله)^(٨) ومن خصائص العبودية الامتنال والطاعة

وفي مقابل ذلك يكفر كل من يثبت لغير الله شيئا من تلك العبادات ، فيكفر من يدعى استحقاقه لتلك العبادات ، أو أمر الناس بممارستها له ومن أجله ، ويكفر من يصدقه ويرضى بقوله أو يمارس بعض تلك العبادات له ، وكذلك من أحب أن يعبد بأصناف تلك العبادات وأن لم يأمر الناس بذلك ، كمن أحب أن يخشى أو ان يستعان به أو يتوكل عليه ، أو يرجى^(٩) أو يسجد له أو يركع له أو يخشع الناس له أو غير ذلك من المعاني التي لا يصح التوجه بها الا الى الخالق عز وجل .

ويكفر من ادعى ان له الحق في تشريع مالم يأذن به الله ، بسبب ما أوتي من السلطان والحكم ، فيدعى أن له الحق في تحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، ومن ذلك وضع القوانين والاحكام التي تبيح الزنا والربا وكشف العورات أو تغيير ما جعل الله لها من العقوبات المحددة في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ أو تغيير المقادير الشرعية في الزكاة والمواثب والكفارات والعبادات وغيرها مما قدره الشارع في الكتاب والسنة ؟

ويدخل في الكفر من يؤمن بهذه الطواغيت ويعترف لها بما ادعته من حقوق الألوهية ، فقد قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)^(١٠) وقال ايضا (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)^(١١) والعروة الوثقى هي شهادة أن لا اله الا الله فهذا هو معناها : أن تنفى جميع انواع العبادة عن غير الله تعالى وتثبت جميع انواع العبادة لله وحده لاشريك له^(١٢)

ومن هنا تعلم انه اذا قام حاكم ينتحل الحق في اصدار تشريعات مناقضة لما هو ثابت في الكتاب أو السنة ، يحلل به ما حرم الله ، أو يحرم ما أحله سبحانه ، كفر واراد عن دين الله القويم ، لانه يعتقد بذلك انه يسعه الخروج عن شريعة الاسلام بما يشرع للناس ، ومن اعتقد ذلك كان من الكافرين^(١٣)

(٨) يوسف - الآية ٤٠

(٩) والمقصود بذلك الخشية والاستعانة والرجاء فيما لا يقدر عليه الا الله وهي خشية الغيب والاستعانة في تحقيق الامور التي لا يقدر عليها الا الله ، وكذلك الرجاء فيما هو من اختصاص الله سبحانه . واما فيما يقدر عليه الناس ، فلا يكفر فيها العبد ، كمن خاف من السلطان وقد هدده بالسجن أو الموت أو استعان بصديق في قضاء حاجة يقدر عليها ، أو قال شخص لآخر : أرجوك أن تفعل كذا مما يقدر عليه الناس ، فكل ذلك لا يدخل في الكفر .

(١٠) النحل - الآية ٣٦

(١١) البقرة - الآية ٢٥٦

(١٢) رسالة محمد بن عبد الوهاب في معنى الطاغوت - الجامع الفريد ص ٢٦٦

(١٣) نواقض الاسلام لمحمد بن عبد الوهاب - الجامع الفريد ص ٢٧٨

ولكن هذا الحكم لا يدخل فيه اصدار التشريعات التي تتناولها نصوص الشارع أو لم تتعرض لها ، ولا الاحكام الاجتهادية التي اختلف العلماء فيها .

فمن سن قانونا يبيح بموجبه الزنا أو الربا أو اى شيء من المعاصي المتفق على حرمتها في شرع الله فقد كفر ويكفر جميع من يسهم برضاه في اصدار مثل هذا القانون ، ولكن لا يكفر من سن قانونا ينظم فيه السير مثلا أو نحوه . مما لم يتعرض له الشارع بالذكر ، ولا يكفر من سن قانونا ينظم فيه الاسعار ، ولا يقال ان التسعيرة حرام لان بعض العلماء لا يميزه ، ذلك انه امر اجتهادى ، وقد قال به بعض الفقهاء . وتعلم ايضا انه يكفر من الناس من يعترف لهذه الطواغيت بهذه الحقوق ويرضى بها ، ويتحاكم اليها والى شرائعهم المناقضة للاسلام في اصوله وما علم منه بالضرورة ، وقد قال تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا)^(١٤) وقال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)^(١٥)

النوع الرابع من النواقض :

وهو كل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن الطعن في الرسالة أو في صاحبها عليه افضل الصلوات واتم التسليم ، لان ذلك ينقض شهادة أن محمدا رسول الله فان هذه الشهادة تعنى : التصديق بكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه حق وصدق وأن محمدا ﷺ أهله ربه وحلاه بجميع الصفات التي تمكنه من أداء الرسالة وتبليغها على أتم وجه وأكماله .

وهذا تعلم أنه ينقض هذه الشهادة أحد أمرين :

الاول : الطعن في رسول الله ﷺ

الثاني : انكار بعض ما أخبر به رسول الله ﷺ مما يتناقض مع اصطفاء الله له لتبليغ دينه الى عباده : فيكفر كل من طعن في صدق الرسول أو أمانته ، أو عفته أو صلاح عقله ، ونحو ذلك ويكفر من سب الرسول ﷺ أو استهزا أو استخف به أو بتصرف من تصرفاته الثابتة .

ويدخل في الامر الثاني انكار اى امر من الامور التي أخبر بها فيكفر من انكر ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام وثبت عنه من البعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغيرها من المفاهيم ويكفر من انكر شيئا من القرآن مهما كان^(١٦) لان جميع آيات القرآن أخبر عليه السلام انها من كلام الله تعالى فمن جحد شيئا من ذلك فقد كذب الرسول عليه الصلاة والسلام ويكفر من انكر حكما من الاحكام الثابتة في القرآن أو السنة ، فيكفر كل من انكر فريضة الصلاة أو الزكاة أو جريمة الزنا أو السرقة ، أو ادعى زيادة ركعة في احدى الصلوات ، أو جوازها بدون وضوء ونحو ذلك . ولكن يعذر من جحد شيئا ليس مشتهرا في الدين ولا يعلمه الا خاصة العلماء ، ولا يكفر ايضا من انكر حكما مجتهدا فيه وليس مجمعا عليه .

(١٤) النساء - الآية ٦٠

(١٥) الشورى - الآية ٢١

(١٦) انظر شرح ملا على القارى على الفقه الاكبر ص ١٦٧

يقول الامام النووي : (وكذلك الامر في كل من انكر شيئا مما اجتمعت الامة عليه من أمور الدين اذا كان علمه منتشرا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاعتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الاحكام ، الا أن يكون حديث عهد بالاسلام ولا يعرف حدوده ، فانه اذا انكر شيئا منها جهلا به لم يكفر ... فأما ما كان الاجماع فيه معلوما من طريق علم الخاصة كتحریم نكاح المرأة وعمتها وخالتها وأن القاتل عمدا لا يوثق وأن للجدة السدس وما أشبه ذلك من الاحكام ، فان من أنكرها لا يكفر بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة)^(١٧)

ويكفر من جحد آية من القرآن أو انكر أمرا غيبيا أو كذب خبرا عما كان وما سيكون مما ورد به

القرآن الكريم

ويكفر من جحد ارسال الرسل قبل محمد ﷺ أو جحد ما ذكر من قصصهم مع اقوامهم ، ومن انكر الكيفية التي ذكرها الله عن بداية الخلق أو ادعى كيفية اخرى تخالف ما ذكر في آيات الكتاب الكريم ، ومن انكر الجن والشيطان أو أنكر الكرسي والعرش واللوح والقلم ومن أنكر وجود شخصية تاريخية اثبت القرآن وجودها ومن أنكر رسالة أو نبوة من ذكر القرآن انهم رسل وأنبياء ، وكذلك من طعن في احدهم بما لا يليق باختيار الله لهم أو انكر أن الله أرسل رسلا غيرهم لم يسمهم ، لانه صرح بذلك في اكثر من موضع ، ويكفر كذلك من أنكر اعجاز القرآن الكريم لان هذا الاعجاز ثابت باخبار الله عز وجل وبالواقع ، وكذلك من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أو صدق من يدعيها لان القرآن أخبر أن محمدا خاتم النبيين .

الرضى بالكفر وعدم الرضى بالاسلام كفر :

ومن المفيد هنا ان نكرر ما ذكرناه سابقا ، وهو أن تلك الصور والتفصيلات مما يحبط الشهادتين ليست الا أمثلة وقد يوجد غيرها .

ونوجه الانتباه هنا الى امر قد يظن انه لا يدخل فيما سبق ، مع انه في حقيقته ينقض الشهادتين ويتضمن انكار التوحيد والرسالة ، الا وهو الرضى بالكفر وعدم الرضى بالاسلام^(١٨) فان من قال : صدقت لمن انكر الشهادتين ومن قال : كذبت لمن نطق بهما ، لا يشك أحد في كفره حتى وان كان القول الاول مجاملة للقائل ، وهنالك اساليب مختلفة من الاقوال والاعمال والاحوال لاتقل دلالتها في عرف الشارع وفي عرف الناس ، وعرف اللغة عن قول : صدقت لمن كفر أو كذبت لمن أسلم ، فمن صدرت منه خرج من دين الاسلام ، من هذه الاساليب :

أولا : أساليب الرضى بالكفر :

١ - عدم تكفير الكافرين من ملحدين ومرتدين ومشركين :

أو الشك في كفرهم أو تصحيح أى مذهب من مذاهبهم الكافرة^(١٩)

(١٧) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ٢٠٥

(١٨) انظر شرح ملا على القارى على الفقه الاكبر ، ص ١٥٦

(١٩) نواقض الاسلام - محمد بن عبد الوهاب - انظر الجامع القهيد ص ٢٧٧

فمن علم من شخص أو جماعة أو مذهب أو حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف أو أهل دين من الأديان كفرا واضحا ، فأعتقد عدم كفرهم أو ردتهم ، أو قال عن مذاهبهم أو بعضها انه صحيح ، فقد دخل معهم في الكفر وأصبح مثلهم .

ولكن هذه القاعدة تحتاج الى بيان واحتياط عند تطبيقها :

ذلك انه يفترض من أجل الحكم بردة هذا الانسان انه يعلم حقيقة من يحكم باسلامهم وعدم كفرهم ، فان كان لايعرف حقيقتهم وما هم عليه من الكفر ، فلا يجوز الحكم عليه بالردة من أول الامر ، وانما يبين له بوسائل البيان السليمة ، التي لا يبقى بعدها شك فيما ينسب اليهم فان انكر بعد هذا كفرهم اعتبر حكمة هذا ردة وكفرا ، لان انكاره في حقيقته تبين لمذهبيهم واعتراف بصحته .

على انه ينبغي ان يلاحظ ان كفر بعض الطوائف أصبح مشتهرا ومعلوما بين الناس بالضرورة كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم ، فيكفر كل من ينكر كفر هؤلاء من أول الأمر .

وأما المذاهب والطوائف التي لايفترض اشتهاها بين الناس وعلم مبادئها الكافرة فينبغي أن يترتب في تكفير من لا يحكم بردة اتباعها ، حتى يبين له بما يقطع الشك ويعرف على مواقع الكفر في هذه المذاهب والطوائف^(٢٠) وخاصة ان بعض هذه الطوائف تنسب نفسها الى الاسلام ، وتظاهر امام العامة انها لا تنكر شيئا من الاسلام ، وتخفى عنهم بادية الامر ما ينفرهم عنها ، مما فيه الانكار الصريح الواضح لمبادئ الاسلام أو بعضها .

كذلك يشترط لتكفير هذا الصنف من الناس ان يكون المحكوم عليهم قد كفروا بأمر متفق على الكفر بسببه ، فان كان مختلفا فيه بين العلماء المعتمدين ، بعضهم يعده من النواقض وبعضهم لايعده ، لم يجز تكفير من لم يكفرهم ، كتكفير الخوارج وبعض الفرق الاخرى التي لم يتفق على ردتها ، ويدخل في هذا من لم يكفر تارك الصلاة عمدا ، الذي لم يجحد فرضيتها ، فاذا تحققت هذه الشروط ، وانكر المسلم كفر الكافرين وصحح ما هم عليه كان في حقيقة الامر كالناطق المعتقد بالسبب الذي ادخلهم في الكفر ، فيكون ناقضا بذلك ماسبق منه من الشهاداتتين ، ومن جهة اخرى يكون منكرا للنصوص والدلائل التي تكفر امثالهم فيكفر بسبب انكاره لهذه النصوص .

٢ - موالاة الكفار واظهار موافقتهم على دينهم :

فقد علمت ان من معنى شهادة أن لا اله الا الله نفى استحقاق العبادة لغير الله عز وجل ، فوق ما تدل عليه من اثبات هذا الاستحقاق لله وحده وهو ما دل عليه قوله تعالى ايضا (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)^(٢١) فلا يكفي في تحقيق معنى هذه الشهادة أن يعبد الانسان ربه ، حتى يتجنب عبادة غيره من جهة ،

(٢٠) مجموعة التوحيد ص ١٢٦

(٢١) النحل - الآية ٣٦

وينفى استحقاق أى مخلوق لاي من أنواع العبادة التى لاتصح الا لله من جهة اخرى ، وهذا امر متفق عليه ولا جدال فيه ، وما لاجدال فيه ايضا ان من أظهر خصائص الكفار انهم لا يعبدون الله حق عبادته ، أو انهم يشركون معه فى العبادة غيره ، زيادة على ما قد يكون منهم من انكار للرسالة أو طعن فى الرسول ﷺ أو غير ذلك من الامور المناقضة للاسلام والمضادة للشهادتين ، وهذا امر متفق عليه ايضا .

وبناء على هاتين المسلمتين يتحدد الموقف الذى يتفق مع الشهادتين من اعداء الله واعداء دينه من الكفار والمشركين والمرتدين ، ويتبين الحد الذى يجب ان يقف عنده المسلم ولا يتجاوزه من اجل الحفاظ على دينه وايمانه فى معاملتهم وبناء العلاقات معهم ، وهو الحد الذى لا يفهم من الوقوف عنده للموافقة على دينهم والرضى عن كفرهم ، فاذا تخطى المسلم هذا الحد ودخل فى طاعة الكفار وظهر الموافقة على دينهم الباطل ، واعانهم عليه بالنصرة والمال ، ووالاهم ، وقطع الموالاة مع المسلمين ، ورفع علاقته معهم على علاقته مع المسلمين وضحى بالثانية من أجل الأولى فقد صار منهم وارثا عن دينه ، وكان كافرا من اشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ ولا يستثنى من ذلك الا المكره ، وهو الذى يقع تحت سلطان الكفار ، فيأمرونه بطاعتهم فى باطلهم ، ويهددونه بالقتل أو يشروعون فى تعذيبه ، فيجوز له عندئذ فقط الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالايمان ، ومع أن هذا الامر يدخل فى معنى الشهادتين كما تقدم فانه ورد فى القرآن آيات كثيرة جدا تفرض على المؤمن قطع الولاء للكفار وتوجب عليه معاداتهم فى الدين ، ويدل كثير من هذه الآيات فى ظاهره على كفر وردة من لم يقم بهذه الفريضة ، فاذا رجعت الى المعنى الذى تدل عليه الشهادتان وجمعت مع هذا الظاهر الذى تدل عليه هذه النصوص عرفت انه على حقيقته ولا يجوز تأويله ، ونذكر لك فيما يلى بعض هذه النصوص ، لاجمعها فإنها كثيرة كثيرة لا يزيد عليها الا ما جاء بخصوص التوحيد والامر بعبادة الله :

قوله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء الا أن تتقوا منهم تقاة)^(٢٢)

فهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء واصحابا من دون المؤمنين واخبر ان من فعل ذلك فليس من الله فى شيء . قال ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) (ومعنى ذلك : لا تتخذوا ايها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا توالونهم على دينهم وتظاهروهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم فانه من يفعل ذلك فليس من الله فى شيء ، يعنى بذلك فقد برىء من الله وبرىء الله منه بارتداده عن دينه ودخوله فى الكفر)^(٢٣)

وأما قوله تعالى (الا أن تتقوا منهم تقاة) فهو كقوله تعالى (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) وهو أن يكون المسلم مقهورا معهم لا يقدر على عداوتهم فيظهر لهم من المعاشرة والقلب مطمئن

(٢٢) ال عمران ٢٨

(٢٣) تفسير الطبرى ج ٦ ص ٣١٣

بالإيمان بالله ، وملئ بالعداوة والبغضاء للكفر وأعداء الله قال ابن جرير (الا ان تتقوا وتضمروا^(٢٤) لهم العداوة ولا تشايعوه على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل)
وسياتيك ان شاء الله تعالى بيان حد الاكراه المعتبر في هذا المقام

ب - قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين ، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين)^(٢٥)

فهي سبحانه وتعالى عن موالاة اليهود والنصارى ، وذكر ان من والاهم كان منهم ، فمن تولى اليهود فهو يهودى ومن تولى النصارى فهو نصراني ، وكذلك من تولى أى كافر فهو مثله في كفره ، لان التولى متبني لما عليه ذلك الكافر وراض عنه ، فيكون مثله من حيث الكفر ، وقد روى ابن ابي حاتم عن محمد بن سمين قال : (قال عبد الله بن عتبة : (ليتنى احكم ان يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر) قال فظننا يريد هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الى قوله تعالى (فإنه منهم)

ثم تأمل عذر هؤلاء الذين كفروا بموالاتهم لليهود والنصارى ، والذي لم يقبله الله عز وجل منهم وهو خوفهم من أهل الكتاب وسلطانهم على مراكزهم وأموالهم ودنياهم ، فان تأملك هذا يعطيك ضوعاً وإشارة الى معنى الاكراه ، وما يعتبر منه وما لا يعتبر وهو ما وعدناك بالكلام عنه بعد الانتهاء من ذكر هذه الآيات

ج - قوله تعالى (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيرا منهم فاسقون)^(٢٦)

فبين سبحانه وتعالى ان الإيمان بالله والنبي مرتبط بعدم ولاية الكفار ، فثبت موالاتهم يوجب عدم الإيمان ، لان عدم اللازم يقتضى عدم الملزوم ومن جهة اخرى فقد رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه والخلود في العذاب ، واخير أن موالاتهم لا تحصل من مؤمن ، فان اهل الإيمان يعادونهم ولا يوالونهم .

ثم انظر كيف اعتبر سبحانه وتعالى عدم الموالاة للكفار داخلا في معنى الشهادتين اللتين عبر عنهما بالإيمان بالله والنبي وما انزل اليه ، ووجه الارتباط هو ما قدمناه لك في مبدأ الكلام عن الموالاة للكفار والموافقة على دينهم .

(٢٤) تفسير الطبري ج ٦ ص ٣١٣

(٢٥) المائدة - الايتان ٥١ ، ٥٢

(٢٦) المائدة - الايتان ٨٠ ، ٨١

د - قاله تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا اليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيتفون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا)^(٢٧) فأخبر سبحانه انه لا يوجد مؤمن يواد كافرا فمن واد كافرا فليس بمؤمن ، وإذا كان الله قد نفى الايمان عن يواد اياه واخاه وعشيرته ، اذا كانوا كفارا ، فمن واد الكفار الابعدين أولى بأن لا يكون مؤمنا

و - قوله تعالى (ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم ، فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ، ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)^(٢٨)

فأخبر تعالى أن سبب ماجري عليهم من الردة والكفر هو قولهم للذين كفروا : سنطيعكم في بعض الامر ، فلم ينفعهم ما علموه من الهدى والحق مع ما قالوه وما وعدوه للذين يكرهون الاسلام .

ز - قوله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، انكم اذا مثلهم)^(٢٩)

فذكر تعالى انه نزل على المؤمنين في الكتاب انهم اذا سمعوا آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وان من جلس مع الكافرين بآيات الله المستهزين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم ، هذا وهم في بلد واحد في أول الاسلام ، فكيف بمن كان في سعة الاسلام وعزه وبلاده ، فدعا الكافرين بالله المستهزين بها الى بلاده واتخذهم أولياء واصحابا وجلساء ومستشارين ، وسمع كفرهم واستهزائهم واقربهم ، وطرد علماء المسلمين وأبعدهم !!! فهذا اسلوب من أساليب الرضى بالكفر والكفار يبعد صاحبه عن الايمان ، ويدخله في الكفر والعياذ بالله ، لأن السكوت في مجالس الكفر وما يكون فيها دليل كاف على الموافقة .

فيجب على المؤمن ان يحذر ذلك كما يحذر الكفر الصريح ، فيلزمه مفارقة هذه المجالس ، حتى ينجو من عذاب الله ، ولا يمنعه من ذلك خوف على مال أو مركز ، أو أى عرض من أعراض هذه الدنيا ، فان الله سبحانه أحق أن يخشاه .

معنى الموالاة للكفار :

تلك بعض النصوص التي يدل كل واحد منها على ردة من يوالون الكفار والمشركين فكيف اذا اجتمعت ، وجمعت معها غيرها مما لم يذكر ، وعرفت تناقض موالاة الكفار مع الشهاداتتين .

(٢٧) النساء - الايات ١٣٨ - ١٣٩

(٢٨) المجادلة - الآية ٢٢

(٢٩) محمد - الايات ٢٥ - ٢٨

(٣٠) النساء - الآية ١٤٠

وليس لقائل ان يقول : ان معنى الموالة غير محدد ، اذ يدخل فيه امور كثيرة قاصدا بذلك اننا لانستطيع ان نأخذ معيارا في معرفة من يكفر ومن لا يكفر ، لان الله سبحانه وتعالى لا ينهى عن شيء غير محدد وغير معروف ، ولا يحكم بردة من دخل في أمر غير واضح وغير متميز ، والا لكان أمره ونهيه في هذا الموضوع عبثا لا يمكن تطبيقه ، وهذا قول لا يقوله مؤمن بالله وصفاته .

فان قيل : فما معنى الموالة ؟

فاعلم ان هذا اللفظ مشتق من الولاء ، وهو الدنو والتقرب والولاية ضد العداوة ، والولى عكس العدو ، والمؤمنون أولياء الرحمن ، والكافرون أولياء الطاغوت والشيطان ، لقرب الفريق الاول من الله بطاعته وعبادته ، وقرب الفريق الثانى من الشيطان بطاعة أمره وبعدهم عن الله بعصيانته ومخالفته .

ومن هنا يتبين أن موالة الكفار تعنى التقرب اليهم ، واظهار الود لهم ، بالاقوال والافعال والنوايا ، وقد اشارت النصوص الى كثير من هذه الامور التى تدخل الانسان فى الولاء للكفار ، من ذلك :

اتباع اهلهم وقد نهي الله من اتباعها قال تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالكت من الله من ولى ولا نصير) (٣١)

وطاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به قال تعالى (يا أيها آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يوردكم على أعقابكم فتقبلوا خاسرين) (٣٢) وقال سبحانه (ولا تطع من أغلفنا قلبه عن ذكرنا) (٣٣) وقال ايضا (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان اطعتموهم انكم لمشركون) (٣٤) والركون اليهم ، قال تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) (٣٥)

ومداونتهم ومداراتهم ومجاالتهم على حساب الدين ، قال عز وجل (ودوا لو تدهن فيدهنون) (٣٦) واظهار الود لهم ، قال تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (٣٧)

ويدخل فى جملة ما تقدم اكرام الكفار وتقريبهم ، وخاصة من الحكام ، ومشاورتهم فى الامور الهامة ، واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين . ومعاونتهم على ظلمهم ونصرتهم والتشبه بأعمالهم وعاداتهم وتقليدهم ، واخذ الامة بوسائل الترغيب والترهيب والاعلام وغيرها للتشبه بهم وتقليدهم فى شئون الحياة ، واستعارة قوانينهم ومناهجهم فى حكم الامة وتربية ابنائها .

(٣١) البقرة - الآية ١٢٠

(٣٢) ال عمران - الآية ١٤٩

(٣٣) الكهف - الآية ٢٨

(٣٤) الانعام - الآية ١٢١

(٣٥) هود - الآية ١١٣

(٣٦) القلم - الآية ٩

(٣٧) المجادلة - الآية ٢٢

ويدخل فيه معاونتهم ، والتآمر والتخطيط معهم ، وتنفيذ مخططاتهم ، والدخول في تنظيماتهم واحلافهم ، والتجسس من اجلهم ، ونقل عورات المسلمين واسرار الامة اليهم والقتال في صفهم . ويدخل فيه استثمانهم ، وقد خونهم الله عز وجل وتولييتهم المراكز الهامة ، وتنصيبهم في أهم الوظائف وأخطرها ، وخاصة في الجيش والمرافق العامة كما يدخل فيه تحسين افكارهم ومناهجهم وقيمهم وتصوراتهم ، والدعوة اليها ، وتفضيل علمائهم على علماء المسلمين .

فمن اجتمعت عندهم هذه الامور ، أو قدر منها ، وكان ذلك له خلقا وعادة ، فقد أقام الدليل على انه راض بكفر الكافرين ، فيكون مثلهم ، بل منهم ، ولا ينجيه من الكفر الا ايمان جديد ، واقلع عن موالاة الكفار .

مايقبل ومالا يقبل من الاعذار في هذا المقام :

هذا وقد يعتذر بعض الموالين للكفار بأنهم يخافون على ملكهم وأموالهم ومراكزهم وغير ذلك من المخاوف التي لا تصح ، ولا يعتبرها الله سبحانه ، ولا يمدحهم من اجلها ، وجميعها من تزوين الشيطان وتسويله ، وحب الدنيا والطمع في زيتها .

ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يقبل عذرا لاحد في اظهار موالاته للكفار وطاعتهم وموافقتهم على دينهم ، الا عذرا واحدا ، هو الاكراه ، حيث قال عز وجل (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكراه وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا ، فعليه غضب من الله ، وهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) (٣٨) وقال ايضا : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تقوا منهم تقاة) (٣٩)

على ان الاكراه لاينفع احدا فيما يتعلق بالرضى القلبي والميل الباطنى الى الكفار فهذا غير مأذون فيه على اية حال ، لقوله تعالى (وقلبه مطمئن بالايمان) ولان الاكراه لا سلطان له على القلوب ولكن محل العذر هو محل تأثير الاكراه وهو النطق باللسان وفعل الجوارح ، فمن والى الكفار بقلبه وميله اليهم فهو كافر على كل حال ، فان اظهر موالاته بلسانه أو بفعله وعمل في الدنيا بكفره ، وفي الآخرة يخلد في النار ، وان لم يظهرها بفعل ولا قول وعمل بالاسلام ظاهرا عصم ماله ودمه ، وهو منافق في الدرك الاسفل من النار

حدود الاكراه المعتبر :

ولكن ما حدود الاكراه المقصود في هذا المقام ؟

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى (تأملت المذاهب فوجدت الاكراه يختلف باختلاف المكروه ، فليس المعتبر في كلمات الكفر كالاكراه المعتبر في الهبة ونحوها ، فان احمد قد نص في غير

(٣٨) النحل - الايتان ١٦ ، ١٧

(٣٩) ال عمران - الآية ٢٨

موضع على ان الاكراه على الكفر لا يكون الا بالتعذيب من ضرب أو قيد ، ولا يكون الكلام اكراها ، وقد نص على ان المرأة لو وهبت زوجها صداقها بمسكنه فلها ان ترجع على انها لا تهب له الا اذا خافت ان يطلقها أو يسيء عشرتها ، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة اكراها ، ومثل هذا لا يكون اكراها على الكفر ، فان الاسير اذا خشي الكفار ان لا يزوجه أو يحولوا بينه وبين امرأته لم يباح له التكلم بكلمة الكفر^(٤٠)

وهكذا يرى الامام احمد بن حنبل ، ويوافقه ابن تيمية رحمهما الله تعالى ، ان الاكراه في مقام التظاهر بالكفر ، سواء كان نطقا بكلامه او موالاة للكفار لا يعتبر الا اذا وصل الى حد التعذيب من ضرب أو قتل ونحو ذلك ، وأما ما دونه من طمع في رياسة او في مركز معين الكفار على توليه او بقاءه ، او خوف على مال او عيال او وطن او غير ذلك فانه لا ينفع ولا يقبل منه .

وهذا الذي ذهب اليه يدل عليه النصوص السابقة التي نهت عن موالاة الكفار واعتبرته سببا من أسباب الكفر والردة ، ففي الآية التالية للآية التي عذر فيها الله سبحانه وتعالى المكره فيما يتلفظ به من كلام الكفر ، قرر سبحانه ان حب الدنيا والعمل من اجل حظوظها لا ينفع صاحبه ، ولا يشفع له عند الله تعالى ان صدر عنه ما يستلزم الكفر ، فقال سبحانه وتعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين)^(٤١)

وفي آية اخرى توعده سبحانه وتعالى من اتخذ اباة أو اخاه وليا من دون الله فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واهوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يولهم منكم فأولئك هم الظالمون)^(٤٢)

فانظر كيف نفى ان تكون صلة القرابة ، مهما كانت قوية ، عذرا في اظهار الموالاة للكفار ، فان لم يكن حب الاب والاخ والولد عذرا في ولاية الكفار ، فكيف يمكن ان يكون كذلك حب الزعامة والاموال وزينة الحياة الدنيا ، بل ان الله عز وجل رفض الاعتذار بثمانية اعدار كثيرا ما يعتذر الناس بها في ترك ما يحب الله ورسوله وهو قوله تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبنائكم واهوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ففرضوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)^(٤٣)

ولا شك ان موالاة الكفار فيها اظهار لحبهم ومودتهم ، وتفضيلهم على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، ومثل هذا قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم)^(٤٤) فلا عذر لانسان في موالاة الكفار خوفا على الاموال والابناء والازواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس

(٤٠) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٩٧

(٤١) النحل - الآية ١٠٧

(٤٢) التوبة - الآية ٢٣

(٤٣) التوبة - الآية ٢٤

(٤٤) المجادلة - الآية ٢٢

وانظر كيف رفض الباري عز وجل قبول عذر اناس كانوا يتولون اليهود والنصارى عندما قالوا : نخشى ان تصيبنا دائرة ، فقال سبحانه (يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين ، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة)^(٤٥)

وهذه هي حال كثير من المرتدين في الفتنة في هذه الايام ، وما أشبه اعذار كفار الامس باعذار كفار اليوم ! فتجدهم يعتذرون بنفس العذر ، ويخافون الدائرة التي خاف منها اولئك القوم ، فيقولون لك ، كيف لنا ان لانوالى فلانا أو تلك الطائفة وكيف لنا ان لانظهر المودة لها ونجاملها ، ولو كان على حساب الدين والعقيدة ، وهي تتمتع بالعطف والحماية من دول عظمى لانقدر الوقوف امامها ، أو يقولون لك : كيف نتجاهل رغبة تلك الدولة العظيمة ، ولو كانت رغبها قتل المسلمين وتشريدتهم وافساد اخلاقهم ، وابعادهم عن دينهم ، والتنازل عن أراضيهم ، كيف لنا ذلك ؟

نعلم انه لا يستطيع امثالنا الثبات لحظة في مكانه الذي هو فيه ان لم تنفذ لها رغباتها ، اننا لانستطيع التضحية بمراكزنا ومكاسبنا !! وهذا لعمر الحق هو الخوف الذي لايجوز ان يكون الا لله عز وجل ، وقد علمت انه يكفر من يجعله لغير الله ، فهؤلاء قد كفروا مرتين : لموالاتهم للكفار ، ولعبادتهم اياهم بخشيتهم لهم خشية لا تصح الا لله عز وجل .

فهذه النصوص وغيرها تدل على ان الله عز وجل لايعذر احدا في موالة الكفار إلا من كان حاله كحال عمار بن ياسر ، رضى الله عن آل ياسر ، الذي نزل في حقه تفضل الله تعالى على العباد بالاعذار بالاكراه ، وهو قوله تعالى (الا من اكراه وقلبه مطمئن بالايمان)

وهذا يقتضى ان يكون المكروه تحت سلطان الكفار ، ويقدر عليهم ، وتكون الرخصة عندئذ في وقت الاكراه ، ولا يجوز اللجوء اليه بعد زوال التعذيب ، فان عادوا الى تعذيبه كان له العودة الى الرخصة ، فقد ورد عن رسول الله ﷺ انه قال لعمار بعد ما عرف حاله (فان عادوا فعد)

قال ابن قدامة (فاذا ثبت - اى المكروه - انه لم يكفر ، فمتى زال عنه الاكراه ، امر باظهار اسلامه ، فان اظهره فهو باق على اسلامه ، وان اظهر الكفر حكم انه كفر من حين نطق به ، لاننا تبينا بذلك انه كان منشرح الصدر بالكفر من حين نطق به مختارا له)^(٤٦) على ان الافضل لمن اكراه على كلمة الكفر ، أو على موالة الكفار والمواقفة على دينهم ان يصبر ولا يمثل لهم ، حتى ولو اتى ذلك على نفسه لما روى خباب عن رسول الله ﷺ انه قال (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه)^(٤٧)

(٤٥) المائدة - الايتان ٥١ ، ٥٢

(٤٦) المغنى : ج ٩ ص ٢٤

(٤٧) رواه البخارى - انظر رياض الصالحين ص ٣٢

ويشهد لهذا ايضا ماورد في الصحيح من قصة اصحاب الاخذود وما فعلوه بالمؤمنين ، فصبر المؤمنون على التحريق في سبيل الله ، ولم يصددهم الاخذود الموجع بالنيران عن دينهم القويم ، فثبتوا عليه وضحو بأنفسهم في سبيله وهو تفسير قوله تعالى (قتل أصحاب الاخذود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود)^(٤٨)

وقال الامام القرطبي رحمه الله (اجمع العلماء على ان من اكره على الكفر فاختر القتل انه اعظم اجرا عند الله ممن اختار الرخصة)^(٤٩)

بعض مظاهر عدم الرضى بالاسلام :

ونذكر لك ايضا مظهرين من مظاهر كره الاسلام التي تؤول الى الردة والكفر وان شهد الشهادتين وسمى نفسه مسلما ، وهما :

الاول : الاستهزاء بشيء معلوم من دين الاسلام ، ويدخل في ذلك الاستهزاء بالله ورسوله وكتابه أو بالمؤمنين بسبب ايمانهم ونحو ذلك ، واصل هذا قوله تعالى (قل أباالله بالله ورسوله كنتم تستهزؤون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ، ان نعف عن طائفة منكم نعدب طائفة بأنهم كانوا مجرمين)^(٥٠)

ومناسبة نزول هذه الآيات انه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ارجب بطونا ، ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء - يعنى رسول الله ﷺ واصحابه القراء - فقال عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق ، لاخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف الى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل الى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر : كأنى انظر اليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وان الحجارة تنكب رجله وهو يقول : انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله (أباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون) ما يلتفت اليه ، وما يزيد عليه^(٥١)

وصور الاستهزاء كثرة جدا لاتدخل تحت حصر ويجمعها انها جميعا تدل على الاستخفاف بالدين وعدم الرضى عنه او عن شيء منه ، وقد يكون كلاميا ، وقد يكون فعليا بالحركة والاشارة كالرف بالعين ، واخراج اللسان ، ومد الشفة والغمزة باليد ، عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ او عند ذكر عقيدة الاسلام او شيء من مبادئه المعلومة بالضرورة ونحو ذلك

الثانى : ظهور الكراهية والغضب عند ذكر الله أو رسوله أو تلاوة كتابه ، أو ذكر شيء من امور الدين المعروفة ، أو الدعوة اليه فقد قال عز وجل (واذا تلى عليهم آياتنا قل أفأنبئكم من بشر من ذلك ، النار وعدھا الله الذين كفروا وبئس المصير)^(٥٢)

(واذا تلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدھا الله الذين كفروا وبئس المصير) وقال أيضا (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)^{٥٣}

(٤٨) البروج : ٤ - ٧ قصة اصحاب الاخذود ، اخرجها بتمامها مسلم في صحيحه فانظر هذه القصة بكاملها في رياض الصالحين ص ٢٧ وما بعدها.

(٥٠) التوبة - ٦٥ ، ٦٦ (٥٢) الحج - الآية ٧٢

(٤٩) تفسير القرطبي : ج ١ ص ١٨٨ (٥١) تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ٣٦٧ (٥٣) محمد - الآية ٩

نصوص بعض العلماء فيما يكون سببا للردة :

ولمن المفيد في ختام هذا البحث ان نذكر لك بعض النصوص لبعض العلماء مما نصوا عليه من الافعال والاقوال والاعتقادات التي تؤول بصاحبها الى الخروج من دين الاسلام ليكون الاخ القارىء على بينة منها ، فلا يقع فيها ، وليحذر اخوانه منها ومن الوقوع فيها ، فان معظم مذكروه متفق عليه ، وما اختلف فيه لا يقل عن ان يكون كبيرة من الكبائر :

١ - نفى كتاب الزواجر عن ارتكاب الكبائر قال الامام ابن حجر الهيتمي : (فمن أنواع الكفر والشرك أن يعزم الانسان عليه في زمن بعيد أو قريب ، أو يعلقه باللسان أو القلب على شيء ، ولو كان محالا عقليا فيما يظهر . فيكفر حالا ، أو عناد أو استهزاء كأن يعتقد قدم العالم ، أو نفى ماهو ثابت لله بالاجماع المعلوم من الدين بالضرورة كأنكار علم الله أو قدرته ، أو كونه يعلم الجزئيات ، أو اثبات ما هو منفي عنه سبحانه كاللون)

ثم شرع في بيان تفصيلات كثيرة لهذه القاعدة التي ذكرها فقال (وفي معنى ذلك كل من فعل فعلا أجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان مصرحا بالاسلام ، كالمنشئ الى الكنائس مع أهلها بزعمهم من الزناخير وغيرها ، أو يلقي ورقة فيها شيء من القرآن ، أو فيها اسم الله تعالى في نجاسة - أو يشك في نبوة نبي اجمع عليها ، أو في انزال كتاب كذلك كالتوراة أو الانجيل أو زبور داود أو صحف ابراهيم عليه السلام أو في آية من القرآن مجمع عليها ، أو في تكفير كل قائل قولاً يتوصل به الى تضليل الامة أو تكفير الصحابة أو في مكة أو الكعبة أو المسجد الحرام أو في صفة الحاج ، أو هيئته المعروفة ، وكذا الصوم والصلاة أو استحلال محرما كذلك ، كالصلاة بغير وضوء أو استحلال ايذاء مسلم أو كافر ذمى بلا مسوغ شرعى بالنسبة لاعتقاده ، أو حرم حلالة كالبيع والنكاح أو يقول عن نبينا ﷺ : كان اسود أو تولى قبل ان يلتحي ، أو ليس بقرشي أو عري أو انسي ، لان وصفه بغير صفته تكذيب له ، ويؤخذ منه ان كل صفة اجمعوا على ثبوتها له يكون انكارها كفرا ، كما لوجوز بعثة نبي بعده ، وقال : لا ادري اهو الذي بعث بمكة ومات بالمدينة أو غيره ، أو قال ان النبوة مكتسبة ، أو ان رتبها يوصل اليها بصفاء القلب ، أو يقول : الولي افضل من النبي وانه يوحى اليه وان لم يدع نبوة ، أو يدخل الجنة قبل موته ، أو يعيب نبينا محمدا ﷺ ومثله غيره من الانبياء بل والملائكة ، أو يلعن او يسبه ، أو يستخف او يستهزئ به أو يلحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله أو يعرض بذلك ، أو يسبه بشيء عن طريق الازراء أو التصغير لشأنه ، أو الغض منه ، أو تمنى له معرة ، أو نسب اليه مالا يليق بمنصبه عن طريق الذم ، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور ، أو غير بشيء مما جرى من البلاء والحنة عليه ، أو غمضه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه ، فيكفر بواحد مما ذكر اجماعا ، فيقتل ولا تقبل توبته عند اكثر العلماء وقد قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قال له (عند صاحبكم) وعد هذه الكلمة تنقيصا له ﷺ

ثم قال ابن حجر (أو يرضى بالكفر ولو ضمنا كأن يشير على كافر بأن لا يسلم وان لم

يستشره ... أو سؤال الكفر لغيره لأنه رضى به ، أو يقول لمسلم : يا كافر بلا تأويل لأنه سمي الاسلام كفرا ، أو يسخر باسم الله تعالى أو نبيه بأن يصغره ، أو يسخر بأمر الله أو نبيه أو وعده أو وعيده كأن يقول : لو أمرني بكذا لم افعله ، أو لو جعل القبلة هنا ماصليت اليها ، أو لو اعطاني الجنة مادخلتها استخفافا أو عنادا ، أو يقول لو اخذني بترك الصلاة مع ما في من الشدة والمرض ظلمنى ، أو قال ظالم لمظلومه القائل (هذا الظلم بتقدير الله) انا افعل بغير تقدير الله أو قال : لو شهد عندى ملك أو نبي ماصدقته أو لو كان فلانا نبيا ما آمنت به ، أو قال : ان كان ما قاله النبي صدقا نجونا ... أو قيل له : قلم أظافرك فانه سنة فقال لا أفعل وان كان سنة استهزاء ، أو قال : لاحول ولا قوة الا بالله لا تغنى من جوع ، ومثلها في ذلك سائر الاذكار كما هو ظاهر ، أو قال المؤذن يكذب ، أو شبه صوته بناقوس الكفر ، أو استخف بالآذان ، أو سمي الله على محرم استهزاء ، أو قال : لا أخاف القيامة استهزاء ، أو قال عن الله : انه لا يتبع السارق ناسبا العجز اليه ... أو نسب الله تعالى الى جور في التحريم ، أو لبس زى كافر ميلا الى دينه أو قال : اليهود خير من المسلمين ... أو قيل له : ما الايمان ، فقال : لا ادري استخفافا أو انكر صحبة ابي بكر أو قذف عائشة رضى الله عنها ، لأنه مكذب للقرآن بخلاف غيرهما أو قال : أنا الله ولو مازحا ، أو قال لا أدري حقه جحدا للواجبات ... أو قال استخفافا : شبعث من القرآن أو الصلاة أو الذكر أو نحو ذلك ، أو قال : أى شيء المحشر أو جهنم ؟ أو قال : لعنة الله على كل عالم اذا قصد الاستغراق لشموله الانبياء والملائكة أو قال : أى شيء هذا الشرع وقصد الاستخفاف ، أو قال : اذا ظهرت الربوبية زالت العبودية وعنى بذلك رفع الاحكام ، أو انه فنى من صفاته الناسوتية الى اللاهوتية ، أو انه يرى الله عيانا في الدنيا أو بكلمة شفاها ، أو انه يحل في صورة حسنة ، أو انه اسقط عنه التكليف ، أو قال : العبد يصل الى الله تعالى من غير طريق العبودية أو قال : الروح من نور الله فاذا اتصل النور بالنور اتحد (٥٤)

— وأنقل هنا كلاما لابن تيمية ، رحمه الله تعالى ، حول معنى قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (٥٥) حيث قال (ولا ريب ان من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فانه ما من امة الا وهى تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير منهم من المنتسبين الى الاسلام ، يحكمون بعباداتهم التى لم ينزلها الله ، كسوا ليف البادية ، ويرون ان هذا هو الذى ينبغى الحكم به دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فان كثيرا من الناس أسلموا ، ولكن لا يحكمون الا بالعادات الجارية التى يأمر بها المطاعون ، فهؤلاء اذا عرفوا انه لا يجوز لهم الحكم الا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا ان يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار) (٥٦)

(٥٤) عن كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي ج ١ ص ٢٨ - ٣٠ ، وانظر ايضا كلاما قريبا من هذا في معنى المحتاج ج ٤ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، وحاشية الباجورى ج ٢ ص ٢٥٧

(٥٥) المائدة - الآية ٤٤

(٥٦) من منهاج السنة النبوية - انظر : مجموعة التوحيد ص ١٩٣

وفي نفس الموضوع يقول شارح العقيدة الطحاوية : (وهنا أمر يجب ان يتفطن له وهو ان الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة ، وذلك بحسب حال الحاكم ، فانه ان اعتقد ان الحكم بما أنزل الله غير واجب ، وانه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله ، فهذا كفر أكبر)^(٥٧)

ويقول الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى (الحكم الجاهلية يفتنون)^(٥٨) (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر وعدل الى ما سواه من الآراء والاهواء والأبطلات التي وضعها الرجال ، بلا مستند من شريعة الله ، كما كان اهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يعضونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من احكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الاحكام اخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير)^(٥٩)

ويقول الشيخ احمد شاكر تعليقا على كلام ابن كثير السابق : (أقول : افيجوز - مع هذا - في شرع الله ان يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات اورية الوثنية الملحدة ؟ بل تشريع تدخله الاهواء والآراء الباطلة ، يغيرونه ويبدلونه كما يشاعون ، لايبالي واضعه اوافق شرعة الاسلام أم خالفها ؟

ان المسلم لم يبالوا بهذا قط - فيما نعلم من تاريخهم - الا في ذلك العهد عهد التتار ، وكان من أسوأ عهود الظلم والظلام ، ومع هذا فانهم لم يخضعوا له ، بل غلب الاسلام التتار ، ثم مزجهم ، فأدخلهم في شرعته ، وزال أثر ما صنعوا ، بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم ، وبما ان هذا الحكم السيئ الجائر كان مصدره الفريق الحاكم اذ ذاك ، لم يندمج فيه احد من افراد الامم الاسلامية ، المحكومة ، ولم يتعلموه ، ولم يعلموه ابناءهم ، فما اسرع ما زال اثره

أفرايتم هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير - في القرن الثامن - لذاك القانون الوضعي ، الذي وضعه عدو الاسلام جنكزخان ؟ ألسنم ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر ، في القرن الرابع عشر ؟ الا في فرق واحد ، أشرنا اليه آنفا : ان ذلك كان في طبقة خاصة من الحكام ، أتى عليها الزمن سريعا ، فاندججت في الامة الاسلامية وزال اثر ما صنعت . ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالا ، وأشد ظلما وظلاما منهم ، لان اكثر الامم الاسلامية الآن تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشرعة ، والتي هي اشبه شيء بذاك (الياسق) الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر ، هذه القوانين التي يصنعها ناس ينتسبون للاسلام ، ثم يتعلمها

(٥٧) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٣ ، ٣٦٤

(٥٨) المائدة - الآية ٥٠

(٥٩) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٧

ابناء المسلمين ، ويفخرون بذلك آباء وأبناء ، ثم يجعلون مرد أمرهم الى معتقى هذا (الياسق العصرى) ويحقرون من يخالفهم فى ذلك ، ويسمون من يدعواهم الى الاستمساك بدينهم وشريعتهم (رجعيا) و (جامدا) الى مثل ذلك من الالفاظ البذيئة .

بل انهم ادخلوا ايديهم فيما بقى فى الحكم من التشريع الاسلامى ، يهدون تحويله الى (ياسقهم) الجديد بالهويى واللين تارة ، وبالمكر والخديعة تارة ، وبما ملكت ايديهم من السلطات تارات ، ويصرحون ، ولا يستحيون ، بأنهم يعملون على فصل الدولة من الدين! أفيجوز اذن - مع هذا - لأحد من المسلمين ان يعتقد هذا الدين الجديد أعنى التشريع الجديد ؟

أو يجوز لرجل مسلم ان يلى القضاء فى ظل هذا (الياسق العصرى) وان يعمل به ويعرض عن شريعته البينة ؟ ما أظن أن رجلا مسلما يعرف دينه ، ويؤمن به جملة وتفصيلا ، ويؤمن بأن هذا القرآن انزله الله على رسوله كتابا محكما لا يأتىه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وبأن طاعته وطاعة الرسول الذى جاء به واجبة قطعية الوجوب فى كل حال - ما أظنه يستطيع الا ان يجزم غير متردد ولا متأول ، بأن ولاية القضاء فى هذه الحال باطلة بطلانا أصليا ، لا يلحقه التصحيح ولا الاجازة ؟

ان الامر فى هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس ، هى كفر بواح ، لانخفاء فيه ولا مداورة ، ولا عذر لاحد ممن ينتسب للإسلام - كائنا من كان - فى العمل بها ، أو الخضوع لها أو اقرارها ، فليحذر امرؤ لنفسه ، وكل امرئ لحسب نفسه (٦٠)

٣ - ويقول الشيخ احمد شاكى ايضا فيمن ينكرون حد السرقة : (هذا حكم الله فى السارق والسارقة ، قاطع صريح اللفظ والمعنى ، لا يحتمل اى شك فى الثبوت ولا فى الدلالة ، وهذا حكم رسول الله تنفيذًا لحكم الله وطاعة امره ، فى الرجال والنساء ، قطع اليد ، لا شك فيه ، حتى ليقول ﷺ « لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »

فانظروا الى ما فعل بنا اعداؤنا المبشرين المستعمرون ؟ لعبوا بديننا وضربوا علينا قوانين وثنية ملعونة ، نسخوا بها حكم الله وحكم رسوله ، ثم ربوا فينا ناسا ينتسبون اليها ، اشربوهم فى قلوبهم بغض هذا الحكم ، ووضعوا على سنتهم كلمة الكفر : ان هذا حكم قاس لايناسب هذا العصر الماجن عصر المدنية المتهكة ، وجعلوا هذا الحكم موضع سخريتهم وتندرهم فكان عن هذا ان امتلأت السجون - فى بلادنا وحدها - بمئات الالوف من اللصوص ، بما وضعوا فى القوانين من عقوبات للسرقة ، ليست برادعة ، ولن تكون ابدا رادعة ولن تكون ابدا علاجا لهذا الداء المستشري

ثم ادخلوا فى عقول الطبقة المثقفة ، وخاصة القائمين على هذه القوانين الوثنية مايسمونونه (علم النفس) وهو ليس بعلم ولاشبيه به ، بل هو أهواء متناقضة متباينة ، لكل امام من أئمة الكفر فى هذا العلم رأى ينقض رأى مخالفه ، ثم جاعوا فى التطبيق يلتمسون الاعذار من علم النفس لكل لص بحسبه ،

(٦٠) عمدة التفسير - اختبار وتحقيق احمد محمد شاكى ، طبعة دار المعارف سنة ١٩٣٧ ١٩٥٧م ج ٤ ص ١٧١ ، ١٧٢

ثم زاد الامر شرا ان يكتب اللصوص انفسهم كلاما يلتمسون به الاعذار لجرمهم ، وقام المدافعون عنهم المقامات التي توردهم النار : يعلمون ان الجريمة ثابتة ، فلا يحاولون انكارها ، بل يحاولون التهوين من شأنها ، بدارسة نفسية الجرم وظروفه !!

فلقد جادلت منهم رجالا كثيرا من أساطينهم ، فليس عندهم الا ان حكم القرآن في هذا لايناسب العصر !! وان المجرم ان هو الا مريض يجب علاجه لا عقابه ، ثم ينسون قول الله سبحانه في هذا الحكم (جزاء بما كسبا نكالا من الله)^(١١) فالله سبحانه وهو خالق الخلق ، وهو اعلم بهم ، وهو العزيز الحكيم ، يجعل هذه العقوبة للتبكيل بالسارقين ، نصا قاطعا صريحا ، فأين يذهب هؤلاء الناس ؟ المسألة عندنا - نحن المسلمين - هي من صميم العقيدة ، ومن صميم الايمان ، فهؤلاء المنتسبون الى الاسلام ، المنكرون حد القطع أو الراغبون عنه ، سنسألهم : أتؤمنون بالله ، وبأنه خلق هذا الخلق ؟ فيقولون : نعم . أتؤمنون بأنه يعلم ما كان وما يكون ، وبأنه اعلم بخلقهم من أنفسهم ، وبما يصلحهم وبما يضرهم ؟ فيقولون نعم . أتؤمنون بأنه أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق ، وانزل عليه هذا القرآن من لدنه هدى للناس واصلاحا لهم في دينهم وديارهم ؟ فيقولون : نعم . أتؤمنون بأن هذه الآية بعينها (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)^(١٢) من القرآن ؟ فيقولون : نعم . اذن فأني تصرفون ؟ وعلى أى شرع تقومون ؟ أما من أجاب - ممن ينتسب للاسلام - على اى سؤال من هذه السؤالات بأن : لا ، فقد فرغنا منه وعرفنا مصيره ، وقد ايقن كل مسلم من عالم أو جاهل ، مثقف أو امي ، ان من يقول في شيء من هذا : لا فقد خرج من الاسلام وتردى في حمأة الردة ، وأما من عدا المسلمين ، ومن عدا المنتسبين للاسلام ، فلن نجادلهم في هذا ، ولن نسايرهم في الحديث عنه ، اذ لم يؤمنوا بمثل ما آمننا ، ولن يرضوا عنا ابدا الا ان نقول مثل قولهم وعباذا بالله من ذلك .

ولو عقل هؤلاء الناس - الذين ينتسبون للاسلام - لعلموا ان بضعة ايد من ايدى السارقين ، لو قطعت كل عام ، لنجت البلاد من سبة اللصوص ، لما وقع كل عام الا بضعة سرقات ، كالشيء النادر ، ولخلت السجون من مئات الألوف التي تجعل السجون مدارس حقيقية للتفنن في الجرائم ، لو عقلوا لفعلوا ، ولكنهم يصرون على باطلهم ، ليرضى عنهم سادتهم ومعلموهم وهيبات^(١٣) (

٤ - ومن فتاوى العلماء المسلمين حول بعض الطوائف المرتدة عن دين الاسلام. انقل لك جواب ابن تيمية رحمه الله تعالى على سؤال عن طائفة من هذه الطوائف تسمى (النصيرية) فقال : (الحمد لله رب العالمين : هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر اصناف القرامطة الباطنية اكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على امة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاريين مثل كفار التتار والافرنج وغيرهم ، فان هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاته أهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ، ولا بأمر ولا نهى ، ولا ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ ولا بملة من الملل السالفة ، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء

(١١) المائدة - الآية ٣٨ (١٢) المائدة - الآية ٣٨ (١٣) عمدة التفسير ج ٤ ص ١٤٦ ، ١٤٧

المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها ، يدعون انها علم الباطن وليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الاتحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه) الى ان قال : (ومن المعلوم عندنا ان السواحل الشامية انما استولى عليها النصارى من جهتهم وهم دائما مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصارى على المسلمين ، ومن اعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ، ومن أعظم اعيادهم اذا استولى والعباد بالله تعالى - النصارى على ثغور المسلمين .. فهؤلاء المحادون لله ورسوله كفروا حينئذ بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره ، فان احوالهم كانت من اعظم الاسباب في ذلك ، ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد وصلاح الدين ، واتباعهما وفتحوا السواحل من النصارى ، ومن كان بها منهم ، وفتحوا ايضا أرض مصر ، فانهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنة ، واتفقوا هم والنصارى ، فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ...

ثم ان التتار ما دخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين الا بمعاونتهم ومؤازرتهم ..

ولهم القاب معروفة عند المسلمين ، تارة يسمون (الملاحدة) وتارة يسمون (القرامطة) وتارة يسمون (الباطنية) وتارة يسمون (الاسماعيلية) وتارة يسمون (الخرمية) وتارة يسمون (المحمرة) وهذه الاسماء منها مايعمهم ، ومنها ما يخص بعض اصنافهم ولا ريب ان جهاد هؤلاء واقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات ، وهو افضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب ، فان جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين ، والصدوق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب ... وأيضا فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر اولئك ... وينجب على كل مسلم ان يقوم في ذلك بحسب مايقدر عليه من الواجب فلا يحل لاحد ان يكتم ما يعرفه عن اخبارهم ، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ، ولا يحل لاحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به ورسوله والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الامكان له من الاجر والثواب مالا يعلمه الا الله تعالى)^(٦٤)

الاحتياط في تكفير المعينين :

يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية :

(ان الاقوال الباطلة المبتدعة المحرفة المتضمنة نفى ما أثبتته الرسول ، أو اثبات مانفاه ، أو الامر بما نهى عنه ، أو النهى عما أمر به ، يقال فيها الحق ، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ، ويبين انها كفر ، ويقال : من قالها فهو كافر ونحو ذلك .. واما الشخص المعين اذا قيل : هل تشهدون انه من اهل الوعيد وانه كافر ؟ فهذا لا تشهد عليه الا بأمر تجوز معه الشهادة ، فانه من اعظم البغى ان يشعى

(٦٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية - المجلد ٢٥ ص ١٤٩ وما بعدها

على معين ان الله لا يغفر له ولا يرحمه ، بل ويخلده في النار ، فان هذا حكم الكافر بعد الموت^(١٥) ولان الشخص المعين يمكن ان يكون مجتهدا مخطئا مغفورا ، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص ويمكن ان يكون له ايمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله ، كما غفر للذى قال (اذا مت فاسحقوني ثم أذروني) ثم غفر الله له لخشيته^(١٦)

لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا ، لمنع بدعته ، وان نستتيبه ، فان تاب والا قتلناه ، ثم اذا كان القول في نفسه كفرا : قيل انه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع)^(١٧)

يتضح لك من هذا الكلام انه ينبغي الاحتياط في تكفير الاشخاص المعينين ، وهنا امور هامة ينبغي اخذها بعين الاعتبار عند الكلام عن نواقض الاسلام :

الاول : ان هنالك امورا كثيرة تتناقض مع الشهادتين ، اما لمنافاتها للايمان بالله وأما لمناقضتها للايمان برسول الله ﷺ وما جاء به ، فيجب على كل من يعلمها ويعلم ما يدل عليها من النصوص ان ينبه عليها ، ويحذر منها ، ويفصل انواعها ، وضوابطها بقدر ما أوتي من العلم ، ويبين أدلتها من القرآن والسنة ، فهذا من بيان الدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والفاعل ذلك له أجره عند ربه ان أخلص النية

الامر الثاني : ان هذه الامور المكفرة تختلف في قوة دلالتها على الكفر ، فمنها ما يدل عليه بصريح العبارة لا بما يلزم منه ، ومنها ما يدل على الكفر ما يلزم منه لا بصريح العبارة ، وهذا النوع الثاني منه مايكون لازمة قريبا ومفهوما بأدنى تأمل ، ومنه مايكون أبعد من ذلك .

فمن وقع في النوع الاول امكن الشهادة عليه بالكفر ، ولا يعذر فيه أحد الا المكروه بالمعنى المتقدم ، وفي حدود التلفظ به باللسان دون الاعتقاد به ، وكذلك ما يقترب منه من النوع الثاني ، كمن يدعى انه اله فانه يستلزم الشريك لله تعالى ، وان لم ينف الألوهية عن الله تعالى ، ومثله من يدعى احدى خصائص الألوهية كحق التحليل والتحريم للعباد .

وكمن يقول بقدوم العالم ، فانه يلزم منه القول بان الله لم يخلق ، ولا تأويل له غير ذلك ، فهو في قوته كالكفر الصريح ، ولا يعذر قائله ، وكمن يصدر عنه الرضا الصريح بالكفر كمن يقول لمن انكر وجود الله : صدقت ، أو انك على حق ، فهذا لا يقل في دلالاته على الكفر من قول المنكر نفسه ، وقد يكون سبب القوة كثرة صدور افعال الكفر واقواله من شخص معين واقامته عليها ، ومن هذا اقامة الشخص على موالاة الكفار وكثرة حصول افعالها منه ، فان من المستحيل عرفا قيام عذر لشخص يقيم طوال حياته أو معظمها على افعال واقوال تستلزم الكفر او الرضى به

ومن وقع فيما يؤدي الى الكفر عن طريق النظر الى ما يلزم منه ، فهذا الذي ينبغي الاحتياط فيه عند تطبيقه على شخص معين ، وتزداد الحاجة الى الاحتياط كلما كان اللازم بعيدا عن الامر الذي صدر من ذلك الشخص المعين

(١٥) يقصد ان ذلك من اختصاص الله سبحانه وليس من اختصاص العباد

(١٦) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ٧٢ (١٧) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٣٥٧ ، ٣٥٨

وذلك بأن ينظر الى الظروف والقرائن الظاهرة القوية الدلالة^(٦٨) وهذا الامر لا يتأتى في الواقع لعامة الناس وإنما يقدر عليه من ملك وسائل الحكم والقضاء في الدولة الاسلامية .

ونضرب لذلك مثلاً : لو ان شخصاً القى شيئاً من القرآن في نجاسة فهذا العمل في حد ذاته وبغض النظر عن الفاعل اجمع الفقهاء على التكفير بسببه لانه يلزم من هذا الفعل تحقير كلام الله والاستخفاف به ، فلو رآه شخص آخر ، فله ان يقول عن هذا العمل انه كفر . ولكن لا يستطيع تكفير الشخص المعين الذي فعله حتى يعرف امرين اثنين على الاقل : ان هذا الشخص يعرف ان ما القاه هو القرآن ، ويعرف ان الملقى فيه هو النجاسة ، فاذا علم ذلك كأن أقر بذلك كان له الحكم بالكفر ، ولكن قد يكون الشخص امياً لا يدري ما القاه ، وقد يكون غير مبصر لا يدري ما ألقاه ولا يدري ما القى فيه وعندئذ تكون هذه قرينة ظاهرة على عدم ارادة التحقير ، ويعذر ذلك الشخص المعين .

ومن هنا وجب الاحتياط في تكفير فلان أو فلان الا ان يصدر منه الكفر الصريح الذي ليس له تأويل معقول سوى الكفر ، مع وجوب التنبيه على جميع الاقوال والاعمال التي يلزم منها الكفر اذا تحققت شروط وانتفت موانع .

الامر الثالث : ان هنالك حكمين يترتيبان على كفر العبد : الاول دنيوى ، وهو استحقاق المرتد في الدنيا جميع ما دلت عليه النصوص الشرعية من الاحكام التي يجب تنفيذها عليه في هذه الحياة الدنيا ، والتي مبناها على ما يصدر عن الانسان في الظاهر دون النظر الى مكنونات القلوب ، وذلك كاستحقاق المرتد القتل ان لم يتب والتفريق بينه وبين زوجته وعدم حل ذبيحته ولا انكاحه وغير ذلك ، فهذا من اختصاص العباد في هذه الدنيا ، ويطبقونه على الشخص المعين ، وبعض هذه الاحكام يختص بالامام كالاستتابة والقتل .

والحكم الثانى هو الحكم الاخرى : وهو استحقاق المرتد للخلود في النار ، فهذا الحكم يختص بأصداره وتنفيذه على فلان وفلان وفلان ، ممن يستحقونه ، احكم الحاكمين سبحانه وتعالى ، ونحن لانقدر عليه في الحياة الدنيا ، ولا نعلمه بخصوص شخص معين ، وليس من اختصاص العباد اصلاً ، فليس لاحد في هذه الدنيا ان يدعى انه يعرف مقعد شخص معين في الجنة أو النار ، اللهم الا من أعلمهم الله بذلك من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، كمن بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة ، وهم العشرة من الصحابة ، الذين شهد لهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة ، وكمن اخبر عنهم الله في كتابه ، أو شهد الرسول انهم من اهل النار ، كأبى لهب الذي نزل فيه قرآن يدل على ذلك .

نعم لنا ان نحكم بصورة اجمالية ، فنقول : من كفر بالله أو ارتد عن دينه خلد في النار ، وحرمت عليه الجنة ، وهذا هو الحد الذى يجب على المسلم ان يقف عنده ، والا كان باغياً ومعتدياً ، كما قال شارح العقيدة الطحاوية فيما تقدم ، وكما قال الطحاوى رحمه الله « ولا ننزل احداً منهم جنة ولا ناراً »^(٦٩)

(٦٨) اشار الى هذا المعنى ابن حجر الميثمى في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر ج ١ ص ٢٨

(٦٩) العقيدة الطحاوية مع شرحها : ص ٤٢٦

خاتمة فى حكم أهل المعاصى

اقرار المعاصى بمفرده لا يخرج من دين الله :

لقد تقدم قول الطحاوى رحمه الله تعالى : (ولا تكفر احدا من اهل القبلة بذنب مالم يستحله ولا نقول : لا يضر مع الايمان ذنب لمن عمله)

ويقول الامام النووى رحمه الله تعالى : (واعلم ان مذهب اهل السنة وما عليه اهل الحق من السلف والخلف ، ان من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال ، فان كان سالما من المعاصى كالصغير والمجنون ، والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصى ، اذا لم يحدث معصية بعد توبته والموفق الذي لم يتل بمعصية اصلا ، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار اصلا لكنهم يردونها على الخلاف المعروف فى الورد والصحيح أن المراد به : المرور على الصراط ، وهو منصوب على ظهر جهنم ، أعاذنا الله منها ، ومن سائر المكروه ، وأما من كانت له معصية ، ومات من غير توبة ، فهو فى مشيئة الله تعالى فان شاء تعالى عفا عنه ، وأدخله الجنة أولا وجعله كالقسم الاول ، وان شاء عذبه القدر الذى يريده سبحانه وتعالى ، ثم يدخله الجنة ، فلا يخلد فى النار احد مات على التوحيد ، ولو عمل من المعاصى ماعمل ، كما انه لا يدخل الجنة احد مات على الكفر ولو عمل من اعمال البر ماعمل ، هذا مختصر جامع لمذهب اهل الحق فى هذه المسئلة ، وقد تظاهرت ادلة اهل الكتاب والسنة واجماع من يعتد به من الامة على هذه القاعدة. وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعى . فاذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من احاديث الباب ^(١)

وغیره . فاذا ورد حديث فى ظاهره مخالفة وجب تأويله عليها ، ليجمع بين نصوص الشرع ^(٢)

فمن مات على الايمان ، وتشهد مخلصا من قلبه بالشهادتين ، فمآله دخول الجنة وعدم التخليد فى النار مهما ارتكب من المعاصى ، اذا لم يستحلهما ، او ينكر امرا معلوما من الدين بالضرورة ، او يقع منه بعض ما يؤدى الى نقض الشهادتين مما تقدم تفصيل انواعه ، فمجرد فعل المعصية لا يدل على نقض الشهادتين ولا يكون سببا للتخليد فى النار .

ويدل على هذا الاصل احاديث كثيرة ، صرحت بأن الجنة هى مصير كل من شهد الشهادتين ، مخلصا مصدقا بقلبه لما يدلان عليه من التوحيد ، وتصديق الرسول ﷺ فى كل ما جاء به وبعض هذه الاحاديث صرح بأن المعاصى والكبائر وحدها لا تمنع من دخول الجنة فى المال ، وان عذب المؤمن بسببها ، ومن هذه الاحاديث :

(١) وهو الباب الذى عنون له النووى بقوله (باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا)

(٢) انظر : شرح النووى على صحيح مسلم ج ١ ص ٢١٧ ، وذكر مثل هذا فى نفس الجزء ص ٢٢٠ .

وانظر ايضا : كلاما مشابها لابن تيمية فى الفرقان من مجموعة التوحيد ص ٥٦ ، ٥٧ .

- ١ - عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من مات وهو يعلم انه لا اله الا الله دخل الجنة)^(٣)
 - ٢ - وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما الا دخل الجنة)^(٤)
 - ٣ - وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من قال : اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وابن امته وكلمته القاها الى مريم ، وروح منه ، وان الجنة حق ، وان النار حق ، ادخله الله من أى ابواب الجنة الثمانية شاء) وفي روايه : (ادخله الجنة على ما كان من عمل)^(٥)
 - ٤ - وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول : ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا^(٦)
 - ٥ - وقال رسول الله ﷺ : (يدخل اهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : اخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان)^(٧)
 - ٦ - وعن المعمر بن سويد قال : سمعت ابا ذر يحدث عن النبي ﷺ انه قال (أتاني جبريل عليه السلام فبشرني انه من مات من امتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت : وان زنى وإن سرق قال : وان زنى وان سرق)^(٨)
- قال الامام النووي في شرح هذا الحديث : (وأما حكمه ﷺ على من مات يشرك بدخول النار ، ومن مات غير مشرك بدخول الجنة فقد اجمع عليه المسلمون فأما دخول المشرك النار فهو على عمومته ، فيدخلها ويخلد فيها ، ولا فرق فيه بين الكنائى اليهودى والنصراني ، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة ، ولا فرق عند اهل الحق بين الكافر عنادا وغيره ، ولا بين من خالف ملة الاسلام ، وبين من انتسب اليها ثم حكم بكفره بمجده وغير ذلك ، وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به ، لكن ان لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أولا ، وان كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة ، فان عفى عنه دخل أولا ، والا عذب ثم اخرج من النار وخلد في الجنة ... وأما قوله ﷺ (واني زنى وان سرق) فهو حجة

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١ ص ٢١٨

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١ ص ٢٢٤

(٥) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١ ص ٢٢٧ . واخرجه البخارى في كتاب أحاديث الانبياء

(٦) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ٢ ص ٢

(٧) متفق عليه واللفظ للبخارى - انظر صحيح البخارى ج ١ ص ٦١ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٣٦ .

(٨) متفق عليه واللفظ لمسلم ج ٣ ص ٩٤ ، وانظر صحيح البخارى في كتاب الجنائز .

لمذهب اهل السنة ان اصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار وانهم وان دخلوها اخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة^(٩)

وأما الاحاديث التي اشار اليها النووي فيما تقدم بقوله (فاذا ورد حديث في ظاهره مخالفة - اى للقاعدة السابقة - وجب تأويله عليها، ليجمع بين نصوص الشرع) فهي عدة انواع : نوع منها ظاهره نفي الايمان عمن ارتكب بعض المعاصي ، ونوع فيه البراءة من النبي ﷺ لمن ارتكب بعض المعاصي ، ونوع فيه تسمية لبعض المعاصي كفرا وشركا^(١٠) ونذكر لك من هذه الاحاديث مايلي :

- ١ - قوله ﷺ (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)^(١١)
 - ٢ - وقوله ﷺ (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)^(١٢)
 - ٣ - وقوله (من حلف بغير الله فقد اشرك)^(١٣)
 - ٤ - وقوله (اثنتان من الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت)^(١٤)
 - ٥ - وقوله : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بعد)^(١٥)
 - ٦ - وقوله : (من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا)^(١٦)
 - ٧ - وقوله عليه الصلاة والسلام : (ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعوى الجاهلية)^(١٧)
- ولهذه الاحاديث نظائر اخرى ، ولم يحملها على ظاهرها الا بطائفة الخوارج الذين كفروا مرتكب الكبيرة .

- (٩) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٩٧
- (١٠) رسالة الايمان لابي عبيد القاسم بن سلام مطبوعة مع رسائل اخرى ص ٨٤
- (١١) متفق عليه - انظر : صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١ ص ٩٦ . وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٥٤
- (١٢) متفق عليه - انظر : صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١ ص ١٧٥ . وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٥٥ .
- (١٣) أخرجه احمد والترمذى والحاكم والمستدرك عن ابن عمر . انظر : الفتح الرباني ج ١٤ ص ١٦٤-١٦٦ وصحيح الترمذى بشرح ابن العربي ج ٣ ص ١٨ والمستدرك ج ١ ص ١٨
- (١٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٥٧
- (١٥) متفق عليه واللفظ لمسلم - انظر صحيح البخارى في كتاب الاشارة . وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٤٥
- (١٦) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٠٨
- (١٧) متفق عليه واللفظ لمسلم - انظر صحيح البخارى في كتاب الجنائز . وصحيح مسلم بشرح النووي . ج ٢ ص ١٠٩

وأما أهل السنة فموقفهم منها تأويلها بما يتفق مع القاعدة السابقة .
وهذا الموقف هو القدر المشترك بينهم ، ولكن اختلفت مذاهبهم في التأويل : فمنهم من أولها
بأن المقصود بها كفر النعمة ، وليس الكفر المخرج من الدين ، ومنهم من أولها بأنها محمولة على
التغليظ والترهيب ، ومنهم من أولها بأن المقصود إستحلال ما ذكر فيها من المعاصي ، وأبقى الكفر
المنسوب الى أهلها على حقيقته ، فمن استحل شيئا مما ذكرته تلك الأحاديث كان كافرا مرتدا ،
ومنهم من نحى منحى آخر ، فأول كل حديث تأويلا متفقا مع القاعدة السابقة المقررة عند أهل
السنة (وهى أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار) فلم يلتزم هؤلاء تأويلا عاما شاملا لجميع هذه
الأحاديث ، ومنهم من أولها بأن المقصود بها بيان الأعمال والأقوال التي هى من ثمرات الكفر لا
من ثمرات الايمان ، وأن الايمان لا يقتضيها ، وإنما يقتضى البعد عنها^(١٨)
يقول الامام ابو عبيد القاسم بن سلام ، رحمه الله تعالى بعد أن ذكر بعض التأويلات
السابقة ، وضعفها : (وان الذى عندنا في هذا الباب كله ان المعاصي والذنوب لا تزيل ايمانا
وتوجب كفرا ، ولكنها انما تنفى من الايمان حقيقته واخلاصه الذى نعت الله به اهله ، واشترطه
عليهم في مواضع من كتابه ، فقال سبحانه « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن
هم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله » الى قوله تعالى « التائبون العابدون الراكعون الساجدون
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين »^(١٩) وقال :
« قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » الى قوله تعالى « والذين هم على
صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »^(٢٠) وقال
« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى
رهب يعركلون ، الذين يقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم
درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »^(٢١)

(١٨) انظر تفصيل بعض هذه التأويلات في رسالة الايمان لابي عبيد القاسم بن سلام مع عدة رسائل من ٨٤ وما بعدها .

(١٩) العوبة - الايمان ١١١ - ١١٢ .

(٢٠) المؤمنون - الايات ١ - ١١ .

(٢١) الانفال - الايات ٣ - ٤ .

قال أبو عبيد : فهذه الآيات التي شرحت وأبانت شرائعه المفروضة على أهله ، ونفت عنه المعاصي كلها ، ثم فسرتة السنة بالاحاديث التي فيها خلال الايمان . فلما خالطت هذه المعاصي هذا الايمان المنعوت بغيرها . قيل : ليس هذا من الشرائط التي اخذها الله على المؤمنين ولا الامارات التي يعرف بها أهل الايمان ، فنفت عنهم حينئذ حقيقته ^(٢٢) ولم يزل عنهم اسمه . فان قال قائل : كيف يجوز ان يقال : ليس بمؤمن . واسم الايمان غير زائل عنه ؟ قيل : هذا كلام العرب المستفيض عندنا . غير المستنكر في ازالة العمل عن عامله اذا كان عمله على غير حقيقته . الا ترى انهم يقولون للصانع اذا كان ليس بمحكم لعمله : ما صنعت شيئا ولا عملت عملا . وانما وقع معناها هنا على نفى التجويد ، لا على الصنعة نفسها ، فهو بمندهم عامل بالاسم ، وغير عامل في الاتقان حتى تكلموا به فيما هو أكثر من هذا ، وذلك كرجل يعق أباه ، ويبلغ منه الأذى ، فيقال ما هو بولد ، وهم يعلمون انه ابن صلبه ، ثم يقال مثله في الأخ والزوجة .. ثم قال أبو عبيد : وكذلك الاحاديث التي فيها البراءة ، فهي مثل قوله : من فعل كذا وكذا فليس منا ، لا ترى شيئا يكون معناه التبرؤ من رسول الله ﷺ ، ولا من ملته . انما مذهبه عندنا انه ليس من المطيعين لنا ، ولا من المقتدين بنا ، ولا من المحافظين على شرائعنا ...

وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي ، فان معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفرا ولا شركا يزيلان الايمان عن صاحبه . انما وجوهها انها من الاخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون ^(٢٣)

والواقع أن هناك عدة أدلة وقرائن شرعية قاطعة تقتضي تأويل تلك الأخبار ، منها :

أولا : تلك الاحاديث المستفيضة التي تدل على أن أهل الكبائر والمعاصي لا يخلدون في النار ، وانما يؤول أمرهم الى الجنة ، أما بعد عذاب مؤقت في النار ، وأما بعد عفو ومغفرة من الله الغفور الرحيم . وقد قدمنا لك بعض هذه الاحاديث . وقد اشير في بعضها الى كبائر هي أشد في حقيقتها من بعض الاعمال التي وقع تسميتها بالكفر في بعض الاحاديث : فان الزنا والسرقة أشد من سباب المسلم ومن الطيرة . ومن النياحة على الميت التي سميت كفرا.

ثانيا : ان تلك الامور التي وصفت بالكفر في بعض الاحاديث ، لو كانت سببا للردة والخروج من دين الله عز وجل ، لكان حكمها في الدنيا هو الحكم الذي أجمع عليه المسلمون ، والذي نص عليه رسول الله ﷺ في قوله في الحديث الصحيح

(٢٢) يقصد : اخلاصه وصفاءه ، أى حقيقته التي لم تخلط بشيء من المعاصي

(٢٣) انظر : رسالة الايمان لابي عبيد القاسم بن سلام ص ٨٩ وما بعدها

(من بدل دينه فاقتلوه)^(٢٤) وكذلك وجدنا الله سبحانه وتعالى حكم في السارق بقطع اليد ، وفي الزاني والقاذف بالجلد ، ولو كان الذنب يكفر صاحبه ما كان الحكم على هؤلاء الا القتل ، فلو كانوا كفارا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد ولما قبل عفو ولي المقتول عن القاتل لان المرتد لا يقبل فيه العفو من احد في الدنيا ، ونصوص الكتاب والسنة والاجماع تدل على ان الزاني والسارق والقاذف لا يقتلون ، بل يقام عليهم الحدود قتل ذلك على انهم ليسوا مرتدين^(٢٥)

ثالثا : اتنا نجد في القرآن نصوصا جعل الله سبحانه فيها مرتكب الكبيرة من المؤمنين ، وثبت له صفة الايمان ، وأخوة الايمان^(٢٦) فقد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) الى ان قال سبحانه (فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف)^(٢٧) فلم يخرج سبحانه القاتل من الذين آمنوا وجعله اخا لولي القصاص ، والمراد اخوة الدين بلا ريب^(٢٨) وكذلك قال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلا فأصلحا بينهما) الى ان قال (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم)^(٢٩)

اهل السنة يثبتون للمعاصي عقوبتها المنصوص عليها :

واذا كان اهل السنة يقررون بأن المعاصي من كبائر وذنوب لا توقع صاحبها في الردة ، ان لم تقترن بسبب من أسباب الكفر ، فانهم لا يقولون : لا يضر مع الايمان معصية ، وهو ما قالته فرقة تسمية (المرجئة) فانهم ادعوا ان الذنب لا يضر صاحبه ابدا مادام مؤمنا ، وهذا قول يخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد اخبر الشارع عن العقوبات الاخروية لكثير من المحرمات والمعاصي .

وأما اهل السنة فيرون ان فعل المعاصي يترتب عليه العذاب والعقاب الذي توعده الله به على فعلها ، في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ وأنها تؤثر على الايمان ، من حيث زيادته ونقصه ، لا من حيث بقاؤه وذهابه ، بل قد يؤدي الاكثار من مقارفة المعاصي الى الوقوع في الكفر والردة ، بانكار بعض ما جاء به الرسول ﷺ . لتبرير مقتضيات الهوى والشهوة ، ولان اتباع الشهوات واقتراف الذنوب والمعاصي يميم القلب اذا كثر ، فيغدو يؤول ويبرر لصاحبه كل ما يفعله ، حتى يوقعه في استحلال المعاصي ، فيؤدي بصاحبه الى الكفر ، والعياذ بالله .

وشبهة (المرجئة) انها حملت ظواهر النصوص المتقدمة الدالة على ان من مات على التوحيد دخل الجنة ، كقوله ﷺ (من مات وهو يعلم انه لا اله الا الله دخل الجنة)^(٣٠) فظنوا ان دخوله الجنة

(٢٤) أخرجه البخاري عن ابن عباس في كتاب الجهاد

(٢٥) انظر سالة الايمان لابي عبيد القاسم بن سلام ص ٨٩ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦١

(٢٦) شرح العقيدة الضحاوية ص ٣٦١ . العقيدة الواسطية مع شرحها لمحمد خليل عراس ، ص ١٣٨ ، ١٣٩

(٢٧) البقرة - الآية ١٧٨

(٢٨) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦١

(٢٩) الحجرات . الايتان ٩ ، ١٠

(٣٠) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١ ص ٢١٨

يقتضى عدم عذابه ولكن لا تلازم بينهما ، فقد يعذب المؤمن العاصي بما يشاء الله ان يعذب ، ثم يدخله الجنة في المال^(٣١) وربما تمسكوا بقوله تعالى (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات)^(٣٢)

والحق ان هذه الآية نزلت في حق من مات من الصحابة رضوان الله عليهم ، قبل تحريم الخمر ، حيث لم يكونوا مكلفين باجتنابها قبل تحريمها ، ويدل على ذلك ماورد في سبب نزولها ، فقد ورد ان قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها وطائفة ، وتأولوا قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات) فلما ذكر ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه اتفق هو وعلى بن ابي طالب وسائر الصحابة على انهم ان اعترفوا بالتحريم جلدوا ، وان اصرروا على استحلالها قتلوا ، وقال عمر لقدامة : أما انك لو اتقيت وآمنت و عملت الصالحات لم تشرب الخمر ، وذلك ان هذه الآية نزلت بسبب ان الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة احد ، قال بعض الصحابة : فكيف بأصحابنا الذين ما توا وهم يشربون الخمر ؟ فأنزل الله هذه الآية وبين فيها ان من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه اذا كان من المؤمنين المتقين الصالحين^(٣٣)

الكبائر :

ذلك هو حكم المعاصي جميعا ، صغيرة كانت أم كبيرة : حذر الله ورسوله ﷺ من الوقوع فيها ، فيجب على المؤمن أن يتزود دائما بتقوى الله ، ويكثر من هذا الزاد ، ويجتنب محارم الله ، ويقف عند حدوده ، ولا يتساهل فيقول : هذه صغيرة فان الله سبحانه وتعالى يقول (من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)^(٣٤) وقال رسول الله ﷺ : ان المذنب اذا اذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه ، فان تاب واستغفر صقل قلبه ، وان لم يتب زادت حتى تملو قلبه^(٣٥) اى تغشيه وتغطيه تلك النكتة السوداء ، وهذا هو الران الذى ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه فقال : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)^(٣٦)

وقد قال بعض العلماء : لا تنظر الى صغر الخطيئة ، ولكن انظر من عصيت ، وقال الحسن البصرى : ترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة^(٣٧) ويؤيده قول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)^(٣٨) فانظر كيف اتى عليه الصلاة والسلام بالاستطاعة في جانب المأمورات ولم يأت بها في جانب المنهيات اشارة الى عظيم خطورها ، وقبيح وقعها ،

(٣١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ٢١٩ (٣٢) المائدة - الآية ٩٣

(٣٣) انظر : تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٩٣ . وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ (٣٤) النساء . الآية ١٢٣

(٣٥) رواه ابن جرير والترمذى والنسائى وابن ماجه - انظر ، صحيح الترمذى بشرح ابن العرفى ج ١٢ ص ٢٣٤ . وقد قال عند الترمذى

حسن صحيح . وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٤١٨

(٣٦) المطففين - الآية ١٤ (٣٧) الزواجر عن اقتراف الكبائر ج ١ ص ١٢

(٣٨) أخرجه البخارى ومسلم : فتح البارى ج ١٧ ص ٢١ مطبعة الحلبي . صحيح مسلم . شرح النووي ج ٥ ص ١٩

وانه يجب بذل الجهد واستفراغ الوسع في الابتعاد عنها ، قال الفضيل بن عياض : بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله ويقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله وقال السلف : المعاصي بهد الكفر^(٣٩) ذلك ان كثرتها تقسى القلب فيخرج منه كل خير ، فيتركب ما أراد ، ويفعل ما أحب ، فيتخذ الشيطان وليا من دون الله ، فيضله ويغويه ويصدّه ولا يرضى منه بأقل من الكفر ما وجد اليه سبيلا .
ومع هذا فانه لا يشك ان الله سبحانه وتعالى قد شدد على بعض المعاصي ، وتوعد عليها وهدد من يفعلها بأشد العقاب ، وكذلك الرسول ﷺ أخبر عن بعض المعاصي انها من الموبقات ، اى . المهلكات ، وذكر شيئا منها في عدد من الاحاديث الصحيحة وسماها الكبائر ، من هذه الاحاديث :

- ١ - عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : الا انبأكم بأكبر الكبائر (ثلاثا) الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور أو قول الزور ، وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت^(٤٠)
- ٢ - وعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال (اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل : يا رسول الله : وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات)^(٤١)
- ٣ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (من الكبائر شتم الرجل والديه ، قالوا : يا رسول الله : وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال نعم ، يسب ابا الرجل ، فيسب الرجل اياه ، ويسب امه ، فيسب امه)^(٤٢)
وهناك احاديث اخرى فيها ذكر بعض المعاصي ، وتسميتها بالكبائر ، والواقع انه ليس في الاحاديث حصر لها في عدد مذكور^(٤٣) ولعل عدم حصرها في عدد معين مقصود لحكمة حث المؤمنين على اجتناب المعاصي كلها ، خشية ان يكون بعض ما يتركبه العبد من الكبائر ، ومع هذا فقد ذهب جماهير السلف والخلف الى انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر ، ولا شك أن في كل معصية مخالفة لله تعالى في أمره أو نهيهِ ، ومخالفة الله عز وجل قبيحة جدا بالنسبة لجلال الله تعالى ، ولكن بعض المعاصي اخف من بعض تعريف الكبيرة ومعياريها :

هذا وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريف الكبيرة ، وتمييزها عن الصغيرة^(٤٤) ولكن كثيرا

(٣٩) الزواجر عن اقتراف الكبائر ج ١ ص ١٢

(٤٠) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ٢ ص ٨١ . ٨٢ واخرج البخارى نحوه عن انس في كتاب الديات .

(٤١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٨٢ . ٨٣ . واخرجه البخارى في كتاب الوصايا .

(٤٢) متفق عليه واللفظ لمسلم : انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٨٢ . ٨٣

(٤٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٨٤

(٤٤) انظر اقوالهم في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر ج ١ ص ٤ وما بعدها . وشرح النووي على صحيح مسلم ج ٣ ص ٨٥ وما بعدها.

منهم يرجع ان الكبيرة هي كل معصية يترتب عليها حد او توعدها بالنار أو اللعنة أو الغضب ، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري رحمه الله تعالى ^(٤٥) وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله : ان كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف وحذار وندم ، كالمتهافت بارتكابها والمتجرى عليها اعتياديا ، فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة ، وما يحمل على فلتات اللسان والنفس وفترة مراقبة التقوى ولا يتفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية ، فهذا لا يمنع العدالة ، وليس بكبيرة ^(٤٦)

ومن المستحسن في هذا المقام ان ثبت للاخ القاريء كلاما حسنا معقولا في التمييز بين الصغيرة والكبيرة للامام الشيخ العز بن عبد السلام في كتابه (القواعد) فقد قال :

(اذا اردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاصد الكبائر المنصوص عليها ، وان ساوت ادنى مفاصد الكبائر ، أو أرتب عليها ، فهي من الكبائر ، فمن شتم الرب أو الرسول ﷺ أو استهان بالرسول أو كذب واحدا منهم .. أو القى المصحف في القاذورات فهذا من اكبر الكبائر ، ولم يصرح الشرع بأنها كبيرة ، وكذلك لو امسك امرأة محصنة لمن يزني بها ، أو مسلما لمن يقتله ، فلا شك ان مفسدة ذلك من أعظم مفاصد أكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر ، وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلونهم بدلالته ، ويسبون حرمهم وأطفالهم ويقتنمون اموالهم ويزنون بنسائهم ويخربون ديارهم ، فان تسببه الى هذه المفاصد اعظم من توليته يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر ، فان وقع في مال خطير فهذا ظاهر ، وان وقع في مال حقير ، فيجوز ان يجعل من الكبائر فطاما عن هذه المفاصد ، كما جعل شرب قطرة من الخمر من جملة الكبائر ، وان لم يتحقق المفسدة فيه ، والوقوف على تساوى المفاصد وتفاوتها عزة ولا يهتدى اليها الا من وفقه الله تعالى ، والوقوف على التساوى اعز من الوقوف على التفاوت ، ولا يمكن ضبط المصالح والمفاصد الا بالتقريب ^(٤٧) ثم قال : (وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأن قال : كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن فهو من الكبائر ... فقتل المؤمن كبيرة ، لانه اقترن به الوعيد واللعن ، والمحاربة والزنا والسرقة والقذف كبائر ، لا اقتران بالحدود بها ، وعلى هذا كل ذنب علم ان مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد أو اللعن أو الحد أو أكبر من مفسدته فهو كبيرة) ^(٤٨)

(٤٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٨ وشرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٨٥

(٤٦) نقله عن الغزالي النووي في شرحه على صحيح مسلم ج ٢ ص ٨٥

(٤٧) قواعد الاحكام ج ١ ص ٢٣ . ٢٤

(٤٨) المرجع السابق

ذكر بعض الكبائر :

ومن هنا تعلم أيها القارئ أن ماذكره العلماء من ضوابط للتمييز بين الصغائر والكبائر ان هو الا على وجه التقريب ، وتعلم ان النصوص وردت بالتعريف ببعض الكبائر ، واخرى عرفت الصغائر ، وهناك انواع اخرى من المعاصي مشتملة على صغائر وكبائر ، فواجبك ان تجتهد في اجتناب كل معصية ، وان تبذل كل جهد في توقى مانع الشارع على انه كبيرة ، وتضاعف جهدا في ذلك ، وكذلك فيما رجح العلماء انه منها ، ولا تستصغرن معصية مهما كانت ، ولا تنهون فيها ، ولا تصرن على ذنب مهما كان صغيرا ، فان العلماء نصوا على ان الاصرار على الصغيرة بمثابة ارتكاب الكبيرة ، وحد الاصرار ان يتكرر فعل الصغيرة تكرارا يشعر بقله مبالاة الشخص بدينه^(٤٩) وكذلك الاكثار من فعل الصغائر ولو كانت مختلفة لا يقل عن ارتكاب كبيرة من الكبائر ، لان هذا الاكثار من فعل الصغائر يدل على عدم المبالاة بالدين ، وعلى استصغار مخالفة الرب عز وجل .

وفي هذا المقام اذكر جملة من الكبائر التي ذكرها ابن حجر الهيتمي في كتابه القيم (الزواجر عن اقرار الكبائر) فمنها :

الشرك الاكبر اعادنا الله منه ، والشرك الاصغر وهو الرياء والغضب بالباطل والحقد والحسد ، والكبر والعجب والخيلاء ، والغش ، والنفاق ، والبغى ، والاعراض عن الخلق استكبارا واحتقارا لهم ، والطمع ، وسخط المقدور ، والنظر الى الاغنياء وتعظيمهم لغناهم ، والاستهزاء بالفقراء لفقرهم ، والتنافس في الدنيا ، والمباهاة بها ، والتزين للمخلوق بما يحرم التزين به ، والمداينة ، وحب المدح بما لا يفعله ، والحمية لغير دين الله ، وهوان حقوق الله تعالى وأوامره على الانسان ، واتباع الهوى والاعراض عن الحق ، وسوء الظن بالمسلم ، وعدم قبول الحق اذا جاء بما لا تنهوا الانفس ، أو جاء على يد من تكرهه ، وفرح العبد بالمعصية ، والاصرار عليها ، ونسيان الله تعالى والدار الآخرة ، والأمن من مكر الله ، والاسترسال في المعاصي ، وسوء الظن بالله تعالى والقنوط من رحمته ، وتعلم العلم للدنيا ، وكتم العلم ، وعدم العمل بالعلم ، وتعمد الكذب على الله تعالى أو على رسوله ﷺ ، وسن السنة السيئة في الناس وترك السنة النبوية ، وعدم الوفاء بالعهد ، ومحبة الظلمة والفسقة ، وبغض الصالحين ، وأذيتهم ، والكلمة التي تعظم مفسدتها ، وينتشر ضررها مما يسخط الله ، وترك الصلاة على رسول الله ﷺ عند سماع ذكره بسبب اشتغال بلهو محرم ، والرضا بالكبيرة والاعانة عليها ، وملازمة الشر والفحش حتى يخشاه الناس ، ونسيان القرآن ، والجدل والمراء وهو المخاصمة والمحااجة وطلب القهر والغلبة في القرآن أو الدين ، وعدم التنزه من البول في البدن أو الثوب ، وكشف العورة لغير ضرورة ، ووطء الحائض ، وتعمد ترك الصلاة وتعمد تأخير الصلاة عن وقتها ، أو تقديمها عليه من غير غدر كسفر أو مرض وأمامة الانسان لقوم يعلم انهم كارهون لامامته وقطع الصف في الصلاة ، وعدم تسويته ، ومساواة الامام ، واتخاذ القبور مساجد ، وايقاد السرج عليها واستلامها ، وسفر المرأة وحدها ، وترك

(٤٩) قواعد الاحكام ج ١ ص ٣٧

السفر أو الرجوع منه تشائما وتظييرا ، وترك صلاة الجماعة مع الجماعة من غير عذر ، ونحطى الرقاب يوم الجمعة ،

ولبس الرجل للحرير الخالص بغير عذر شرعى ، وتحليه بالذهب أو الفضة فى غير الخاتم ، وتشبه الرجال بالنساء فيما يختص به عرفا من لباس أو كلام أو حركة أو نحوه ، وكذلك عكسه أى تشبه النساء بالرجال ، والخيلاء والتبخر فى المشى ، ولطم الخدود ، وشق الجيب والنياحة ، والدعاء بالويل ، أو الثبور عند وقوع المصيبة ، وترك الزكاة ، وتأخيرها بعد وجوبها بغير عذر شرعى ، وشح الدائن على مدينه ، المعسر مع علمه باعساره ، والمن بالصدقة ، ومنع فضل الماء عن المحتاج والمضطر ، وترك صوم يوم من أيام رمضان ، والافطار فيه بغير عذر من سفر أو مرض ، وتأخير قضاء ما تعدى بفطره من رمضان ، وصوم العيدين وأيام التشريق ، وترك الحج مع القدرة عليه الى الموت ، وشرب المسكر أو اكله مهما كان خمرا أو حشيشة أو افیونا ، وأكل لحم الخنزير أو الميتة ، وأكل الزنا أو اطعامه وكتابته وشهادته ، والسعى فيه والاعانة عليه ، وأكل المال بالبيوعات الفاسدة وسائر وجوه الكسب المحرم ، والاحتكار والغش فى البيع ، وانفاق السلعة بالخلف الكاذب ، وتطيف الميزان ونحوه ، ومطل الغنى بعد المطالبة من غير عذر ، وأكل مال اليتيم ، وانفاق المال فى المحرمات ، والبناء فوق الحاجة للخيلاء ، وخيانة الشريك والوكيل ، والغصب وهو الاستيلاء على مال الغير ظلما ، وتأخير أجر الاجير ، أو منعه منه بعد اتمام عمله ، والاستيلاء على مال مباح ومنعه ابن السبيل ، وجحد الامانات كالوديعة ، والعين المرهونة أو المستأجرة ، وغير ذلك .

وقد ذكر ابن حجر غير هذه الامور ، فيحسن الاطلاع على كتابه^(٥٠)

اسباب سقوط العقوبة عن العصاة :

واذا وقع العبد المؤمن فى المعصية فان الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده ابواب رحمته للخلاص ، من عقوبة ما يقعون فيه ، اذا اخلصوا واتقوا .

هذا وقد استقرأ بعض العلماء الاسباب التى تسقط العقوبة عن المعاصى فى نصوص القرآن والسنة ، ونلخص للاخ القارىء ما خلاص اليه شارح العقيدة الطحاوية فى هذا الموضوع^(٥١) فقد قال (ان فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة اسباب ، عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة) ثم نذكر منها مايلئ :

السبب الاول : التوبة ، فقد قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا ، الا من تاب وآمن وعمل صالحا ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا)^(٥٢) وقال ايضا (الا الذين تابوا وأصلحوا وينوا ، فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم)^(٥٣)

(٥٠) انظر : كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر : الجزء الاول والثانى ومن صنف فى الكبائر . وذكر اقسامها وادلها الامام الذهبي فى كتاب

(٥٢) مريم - الآية ٦٠

الكبائر . والشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتاب الكبائر ايضا .

(٥١) انظر ذلك بالتفصيل فى شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٧-٢٧١ . ص ٥١١-٥١٧ (٥٣) البقرة . الايتان ٥٩ ، ٦٠

والتوبة التي تسقط العقوبة هي التوبة النصوح ، وهي الخالصة النابعة من القلب ، لا المقصورة على النطق باللسان ، وهي ما يصحبها الندم على مافات من المعاصي ، والعزم على عدم العودة اليها ، وعمل الصالحات .

وكون التوبة سببا لغفران الذنوب ، وعدم المؤاخذه بها مما لاخلاف فيه بين الامة ، وليس شيء يكون سببا لغفران جميع الذنوب الا التوبة قال تعالى (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، وهو الغفور الرحيم)^(٥٤)

السبب الثاني : الاستغفار ، فقد قال تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)^(٥٥) والواقع ان الاستغفار يدخل في معنى التوبة ، فان الاستغفار طلب مغفرة الذنوب التي وقع فيها العبد ، وهو ما يدخل في الندم على ما قدم الانسان ، فان طلب المغفرة عنوان هذا الندم ، وتريد التوبة عن الاستغفار ان في معناها العزم على اجتناب المعاصي في المستقبل .

السبب الثالث : فعل الحسنات ، فقد قال سبحانه وتعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات)^(٥٦) السبب الرابع : الوقوع في المصائب الدنيوية ، لقوله ﷺ : (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها)^(٥٧) واعلم ان تكفير الخطايا يكون بسبب وقوع المعصية نفسها ، فاذا صبر المبتلى فاز بثواب جديد فوق تكفير خطاياها ، وان سخط اكتسب اثما جديدا ، ويبقى تكفير خطاياها بوقوع المصيبة .

السبب الخامس : عذاب القبر

السبب السادس : أهوال يوم القيامة وشدائده

السبب السابع : شفاعته من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة

لسبب الثامن : عفو أرحم الراحمين من غير شفاعته ، كما قال تعالى (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)^(٥٨)

السبب التاسع : دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات .

السبب العاشر : ما يهدي للعبد المؤمن من ثواب صدقة ، أو قراءة ، أو حج أو نحو ذلك ، فقد اتفق أهل السنة على أن الاموات من المؤمنين ينتفعون من سعي الاحياء بأمرين : الامر الاول : ما تسبب اليه الميت في حياته ، لما ثبت عن النبي ﷺ انه قال (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده)^(٥٩)

(٥٤) الزمر . الآية ٥٣

(٥٥) الانفال . الآية ٣٣

(٥٦) هود . الآية ١١٤

(٥٧) متفق عليه . انظر رياض الصالحين ص ٣١

(٥٨) النساء . الآية ٤٨ والاية ١١٦

(٥٩) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة . والبخاري في الادب

الأمر الثاني : دعاء المسلمين واستغفارهم والصدقة والحج ، واختلفوا في العبادات البدنية ، كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر .

فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف الى وصولها ، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها .

والدليل على انتفاع الميت بأشياء لم يتسبب فيها قوله تعالى : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ، ربهنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)^(٦٠) فأثنى سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم ، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء .

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء اجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجماعة والادعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنائز مستفيضة ، وكذلك الدعاء له بعد الدفن ، وكان رسول الله ﷺ يعلم الصحابة رضوان الله عليها اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا : (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وأنا ان شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية)^(٦١)

ويدل على وصول ثواب الصدقة للميت ماورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أن امي افلئت نفسها ولم توص ، وأظنها لو تكلمت تصدقت ، أفلها اجر ان تصدقت عنها ؟ قال : نعم^(٦٢) وقد ورد أكثر من حديث في هذا المعنى .
ويدل على وصول ثواب الصوم ماورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، ان رسول الله ﷺ قال : (من مات وعليه صيام صام عنه وليه)^(٦٣)

ويدل على وصول ثواب الحج ماورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من حهينة جاءت الى النبي ﷺ فقال : ان امي نذرت ان تحج فلم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها ؟ قال : حجي عنها ، أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقصوا الله فالله أحق بالوفاء^(٦٤) وهذا لا يتناقض مع قوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى)^(٦٥) وقوله (لها ما كسبت)^(٦٦) وقوله (ولا تجزون الا ما كنتم تعملون)^(٦٧) لان الانسان يدخل الاسلام وارتباطه بذلك مع اخوانه مسلمين برباط الاخوة الايمانية وبحسن عشرته واسداء الخير للناس ، وتودده لهم ، يكون ساعيا في حثهم على الدعاء له بعد مماته ، والاستغفار والترحم عليه ، واهداء ثواب الطاعات له ، فكان هذا الكسب اثرا من آثار سعيه . فالقول بانتفاع الميت بما يهدي اليه من اخوانه لا يتعارض مع تلك الآيات الكريمة ، فانها آيات محكمة تقتضي عدل الله تعالى ، وتقتضي ان لا يعاقب احد بجرم غيره ، ولا يؤاخذ به بجرم غيره ، كما يفعله ملوك الدنيا ، وتقتضي انه لا يفلح احد الا بعمله ، لينقطع طمعه بعمل آبائه وسلفه ومشايخه .

(٦٠) الحشر الآية ١٠ (٦٥) النجم . الآية ٩

(٦١) أخرجه مسلم . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٥ (٦٦) البقرة . الآية ٣٨٦

(٦٢) متفق عليه واللفظ لمسلم - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٨٩ (٦٧) يس . الآية ٥٤

(٦٣) متفق عليه . انظر صحيح البخاري في كتاب الصوم (باب من مات وعليه صوم)

(٦٤) أخرجه البخاري . انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٤ ص ٥٢

الا انه ويجدر بالملاحظة ان هناك بعض العادات والبدع لاتدخل فيما تقدم ، وليس عليها دليل من الشرع ولم يقل بجوازها احد من العلماء ، مثل استئجار قوم يقرأون القرآن ، ويهدونه للميت ، فهذا العمل لم يجزه احد ، وانما اختلف الفقهاء في جواز الاستئجار على تعليم القرآن ، واما الاستئجار لقراءته واهدائه للميت ، أو الاستئجار لمن يصلى ويصوم ويهدي للميت فهذا لاختلاف في عدم جوازه ، ولكن الذى يدخل فيما سبق يقتصر على قراءة القرآن واهدائها للميت تطوعا بغير أجرة .
وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الفهرست

الصفحة	
١	فاتحة.....
٣	القسم الأول في أركان الايمان.....
٤	الايمان بالله عز وجل.....
٤	النوع الاول : توحيد الربوبية.....
٧	النوع الثاني : توحيد الألوهية.....
١٠	النوع الثالث : توحيد الاسماء والصفات.....
١٣	أنواع الصفات.....
١٣	أسماء الله عز وجل.....
١٥	أدلة توحيد الأسماء والصفات.....
١٩	الايمان بالملائكة.....
٢٠	صفات الملائكة الخلقية.....
٢٢	علاقة الملائكة بالكون والانسان.....
٢٥	عدد الملائكة.....
٢٥	الايمان بالملائكة تفصيلي وإجمالي.....
٢٧	أثر الايمان بالملائكة في حياة الانسان.....
٢٨	الايمان بالانبياء والمرسلين.....
٣٠	الواجب علينا نحو الرسل.....
٣٣	الايمان بمحمد ﷺ.....
٣٩	الايمان بكتب الله عز وجل.....
٤٣	الايمان باليوم الآخر.....
٥٠	تفصيل الايمان باليوم الآخر.....
٥٠	١ - فتنة القبر وسؤال الملكين.....
٥١	٢ - عذاب القبر ونعيمه.....
٥٣	٣ - اشراط الساعة.....
٥٥	أ - طلوع الشمس من المغرب.....
٥٦	ب - خروج الدابة.....
٥٧	ج - ظهور الدجال.....
٥٩	د - نزول عيسى عليه السلام.....
٦١	و - ظهور يأجوج ومأجوج.....

٦٢	٤ - بداية اليوم الآخر.....
٦٢	٥ - البعث.....
٦٣	٦ - الحشر.....
٦٤	٧ - جزاء الأعمال.....
٦٤	٨ - العرض والحساب.....
٦٧	٩ - الحوض.....
٦٨	١٠ - الميزان.....
٦٩	١١ - الصراط.....
٧١	١٢ - الجنة والنار.....
٧٢	الايمان بقضاء الله وقدره.....
٧٤	معنى الايمان بالقدر.....
٧٦	احتجاج الكفار بالقدر.....
٧٨	خفاء القدر وكرهه الحوض فيه.....
٧٩	أثر عقيدة القدر في المسلم.....
٨٥	حقيقة الايمان.....

القسم الثانى نواقض الايمان

٩٣	متى يصير الكافر مؤمنا (كيفية الدخول فى دين الله عز وجل).....
٩٣	الشهادتان مدخل هذا الدين.....
٩٣	أدلة الاصل المتقدم.....
٩٤	الاحاديث.....
٩٤	السنة العملية ووقائع السيرة.....
٩٧	عدم الاكتفاء باحدى الشهادتين ووجوب الاقرار بهما جميعا.....
٩٧	النطق بالشهادتين لا ينفع صاحبه اذا اقترن بما ينقض احدهما.....
٩٧	قاعدة عامة فى هذا الموضوع.....
٩٨	كيفية اسلام المرتد.....
٩٩	متى يصير المؤمن كافرا « نواقض الايمان ».....
٩٩

١٠٠ أنواع النواقض
١٠٠ النوع الأول (نقض توحيد الربوبية)
١٠١ النوع الثاني (نقض توحيد الاسماء والصفات)
١٠١ النوع الثالث (نقض توحيد الألوهية)
١٠٢ ما يناقض شهادة ان لا اله الا الله
١٠٤ النوع الرابع من النواقض
١٠٤ الطعن في الرسول ﷺ
١٠٥ انكسار بعض ما اخبر به
١٠٥ الرضى بالكفر وعدم الرضى بالاسلام كفر
١٠٥ اساليب الرضى بالكفر
١٠٦ عدم تكفير الكافرين والمشركين والملحدين وتصحيح مذاهبهم الكافرة
١٠٦ موالة الكفار واطهار موافقتهم على دينهم
١٠٧ نصوص قرآنية صريحة في خروج الموالين للكفار من دين الله
١٠٩ معنى الموالة للكفار
١١١ ما يقبل وما لا يقبل من الاعذار في هذا المقام
١١١ حدود الاكراه المعتبر
١١٢ شرط الاكراه المعتبر
١١٤ بعض مظاهر عدم الرضى بالاسلام
١١٤ الاستهزاء بشيء من أمور الاسلام
١١٤ ظهور الكراهية والغضب عند ذكر بعض أمور الاسلام
١١٥ نصوص لبعض العلماء فيما يكون سببا للردة
١١٥ كلام ابن حجر الهيتمي
١١٦ كلام ابن تيمية حول قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون
١١٦ كلام شارح العقيدة الطحاوية في نفس الموضوع
١١٧ كلام الحافظ ابن كثير حول قوله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون)
١١٨ كلام الشيخ احمد شاکر في نفس الموضوع
١١٨ كلام الشيخ احمد شاکر فيمن ينكرون حد السرقة
١١٩ فتوى ابن تيمية في كفر بعض الطوائف المرتدة عن الاسلام
١٢٠ الاحتياط في تكفير المعينين

خاتمة حكم أهل المعاصي

١٢٣ اقتراح المعاصي بمفرده لا يخرج من دين الله تعالى
١٢٤ ادلة هذا الاصل
١٢٥ ذكر بعض الاحاديث التي يخالف ظاهرها ذلك الاصل
١٢٦ موقف أهل السنة من هذه الاحاديث وتأويلهم لها بما يتفق مع ذلك الاصل
١٢٧ كلام الامام أبي عبيد القاسم بن سلام في هذا الموضوع
١٢٧ قرائن قاطعة توجب تأويل تلك الاحاديث
١٢٨ أهل السنة يثبتون للمعاصي عقوباتها المنصوص عليها
١٢٨ شبهة المرجئة والرد عليها
١٢٩ الكبائر
١٣٠ بعض الاحاديث الواردة في ذكر الكبائر
١٣٠ تعريف الكبيرة ومعياريها
١٣١ كلام العز بن عبد السلام في هذا الموضوع
١٣٢ ذكر بعض الكبائر
١٣٣ أسباب سقوط العقوبة عن العصاة
١٣٣ المراجع

من مطبوعات دار عمر بن الخطاب

- أصول الدعوة تأليف الدكتور/ عبد الكريم زيدان
- الوجيز في أصول الفقه تأليف الدكتور/ عبد الكريم زيدان
- التبيان في علوم القرآن تأليف الدكتور/ محمد علي الصابوني
- جامع العلوم والحكم
في شرح خمسين حديثاً من
جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي
- منهاج المسلم تأليف / أبو بكر الجزائري

الطبعة الوحيدة الخالية من الأخطاء
في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

للإمام النووي

طبعة محققة

○ الأذكار النووية

○ مختصر الطحاوية

مطبوعات دار عمر بن الخطاب

اسم المؤلف	اسم الكتاب
للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي	١ - تلبيس إبليس
لابن قيم الجوزية	٢ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي
للإمام النووي	٣ - الأذكار النووية
تحقيق عبد القادر الأرناؤوط	الطبعة الوحيدة المحققة في مصر
للغاسمي (طبعة محققة)	٤ - تهذيب موعظة المؤمنين
	من أحياء علوم الدين
للشيخ حافظ حكمي	٥ - معارج القبول
لابن رجب الحنبلي	٦ - جامع العلوم والحكم
للشيخ أبو بكر جابر الجزائري	٧ - منهاج المسلم
للصابوني	٨ - روائع البيان في تفسير آيات الأحكام
للككتور عبد الكريم زيدان	٩ - الوجيز في أصول الفقه
للإمام النووي	١٠ - رياض الصالحين
للككتور / محمد نعيم ياسين	١١ - الإيمان ١ ، ٢

كتب تحت الطبع

للإمام الشاطبي	١ - الاعتصام
اختصار الدكتور عبد الكريم زيدان وتحقيق الألباني	٢ - شرح الطحاوية
للشيخ حافظ حكمي	٣ - معارج القبول

(دار عمر بن الخطاب توفر لك جميع الكتب وبأسعار لا مثيل لها)

دار عمر بن الخطاب